موسوعة
روائع الشعر العربي

روائع الشعر المملوكي

جمع وإعداد

أنس بديوي
حسّان الطيبي

دار المعرفة
بيروت - لبنان

ISBN 9953-446-46-6

الطبعة الاولى
1426 هـ 2005 م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

جسر المطار ـ شارع البرجاوي ـ ص.ب: ٧٨٧٦ ـ هاتف: ٨٣٤٣٠١ ـ ٨٥٨٨٣٠ ـ فاكس: ٨٣٥٦١٤ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge, P.O.Box: 7876, Tel: 834301, 858930, Fax: 835614, Beirut-Lebanon
http//:www.marefah.com E.mail: info@marefah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نقدّم للقارىء العربي الجزء السابع من موسوعة (روائع الشعر العربي)، والذي يضم بين دفتيه مجموعة منتقاة بعناية من الشعر المملوكي، هذا الشعر الذي لم يأخذ حقه لدى الباحثين والدارسين من الاهتمام والرعاية، بله الدراسة والنقد، فالعصر المملوكي الذي حُدد زمنياً من قبل المؤرخين والنّقاد بين 648ـ 922هـ لم يُدرس ـ على سبيل المثال ـ كما دُرس الشعر الجاهلي أو كما دُرس الشعر العباسي، والسبب في ذلك لا يعود إلى قلة الدواوين الشعرية أو قلة الشعراء في العصر المملوكي، فهذا العصر زاخر بشعراء كُثر من ذوي الطبقة العالية ـ إذا استخدمنا تقسيم ابن سلام ـ ونحن لا يهمنا هنا البحث عن تلك الأسباب التي حدت بالدارسين العرب والأجانب إلى الابتعاد عن الاهتمام بهذا العصر، بل ما يهمنا هو التأكيد على وجود مادة شعرية كبيرة ومتنوعة وجيدة في ذلك العصر.

وتمشياً مع الخطة التي رسمناها في إعداد هذه الموسوعة الشعرية فقد قمنا بانتقاء مادة شعرية وفيرة من شعر ذلك العصر، تتناول جميع الأغراض الشعرية المعروفة في ذلك الوقت، هادفين من وراء ذلك إلى إظهار هذا الشعر للعيان، وتقديمه إلى القراء، لعلهم يجدون فيه ما تصبو إليه نفوسهم، ولعلنا بذلك قد أسهمنا في جلاء روح ذلك العصر، من خلال هذه المادة الشعرية التي تعكس حياة العرب والمسلمين في ذلك الوقت، ولعلنا بذلك أيضاً قد كشفنا الغطاء عن بعض الكنوز الشعرية التي كانت طيَّ النسيان.

والله من وراء القصد.

1

قال ابن نباتة (*) مادحاً الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

شُجُونٌ نَحوَها العُشَّاقُ فاؤوا ... وَصَبٌّ مَا لَهُ في الصَّبرِ راءُ (1)
وَصَحْبٌ إنْ غُرُوا بِملاَمِ مِثْلي ... فَرُبَّ أَصَاحِبٍ بِالإِثْمِ باؤوا (2)
وعَينٌ دَمْعُها في الحُبِّ طُهرٌ ... كَأَنَّ دمُوعَ عَيْني بَيرُحَاءُ (3)
وَلاحَ مَا لَهُ هاءٌ وميمٌ ... لَهُ مِنْ صَبْوَتِي ميمٌ وَهَاءُ
وَمثليْ مَا لِعشقَتِهِ هُدُوٌّ ... يُرامُ وَلاَ لِسَلوَتِهِ اهْتِدَاءُ (4)
كأنَّ الحُبَّ دَائِرةٌ بِقلْبِي ... فَحيْثُ الانتِهَاءُ الابتِدَاءُ
بِروحِي جِيرَةٌ رَحَلُوا بِقلْبٍ ... أَحَبَّ وأحسَنُوا فيما أسَاؤوا
بِهِمْ أيَّامُ عَيشِيْ واللَّيالِيْ ... هِيَ الغِلمَانُ كانَتْ والإمَاءُ (5)
تولَّى مِنْ جَمالِهِمُ رَبيْعٌ ... فجاءَ بِنَوءِ أَجْفَانِيْ الشِّتاءُ (6)

(*) ابن نباتة المصري هو جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك ولد سنة 686هـ، ونشأ بالقاهرة، وتلقى العلم والأدب، وأكبّ على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله، فرسخت فيه طريقته من الولوع بالتّورية والتّلميح والطّباق، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشّام من بلغ غايته في لطف التّصوّر ورقة اللفظ وانسجام العبارة، ومات سنة 768هـ.

(1) الشجون: الأحزان والهموم مفردها شجن - فاؤوا: رجعوا - الصب: المحب المشتاق.

(2) باؤوا: رجعوا.

(3) البيرحاء: الحمّى.

(4) هدوٌّ: هدوءٌ. السلوة: من سلا عنه إذا نسيه وانشغل عنه.

(5) الغلمان: العبيد. الإماء: الجواري، واحدتها أمة.

(6) تولى: ذهب بعيداً. النوء: المطر الغزير.

وَبَثَّ صَبَابَتي إنسَانُ عَيني فيا عَجَباً وفي الفمِ منْهُ مَاءُ[1]
على خَدِّي حَميمٌ مِنْ دُموعِيْ صَدِيْقٌ إنْ دَنوا ونَأوا سَواءُ[2]
فأبْكِيْ حَسْرَةً حَيثُ التَّنائِي وأبْكِيْ فَرْحَةً حَيْثُ اللِّقاءُ[3]
كَأنَّ بُكَايَ لي عَبدٌ مُجيْبٌ فما فَرَجي إذاً إلاَّ البُكَاءُ
بِعينِ اللهِ عَيْنٌ قَدْ جَفاهَا كَرَاهَا والأَحِبَّةُ وَالهَنَاءُ[4]
لِفِكْرَتِه سَرىً في كُلِّ وَادٍ كَأنَّ حَنيْنَهُ فِيهَا حِدَاءُ
ذَكَتْ أشواقُهُ فمتى تَرَاهَا قِبابُ قَباً كَما لَمَعَتْ ذُكَاءُ[5]
بِحَيْثُ الأُفقُ يشرِقُ مَطلعَاهُ وحَيثُ سَنَا النُّبوَّةِ والسَّنَاءُ[6]
وبَابُ محمَّدِ المرْجوِّ يُروَى لِقاصِدِهِ نجاحٌ أو نَجَاءُ
تَلوذُ بِجاهِهِ الفُقَراءُ مِثْلي مِنَ العَمَلِ الرَّديِّ والأمليَاءُ[7]
فأمَّا واجِدٌ فَروَى رباحٌ وأمَّا مقتِرٌ فَروَى عطاءُ
لَنا سَنَدٌ من الرَّجوَى لَدَيْهِ غَداة غدٍ يُعنعِنُهُ الوفاءُ[8]
وترتقبُ العُصاةُ نَدَى شفيعٍ مجابٍ قبلَ ما وقعَ النداءُ[9]
سَلامُ اللَّهِ أصباحاً وممسىً على مثواهُ والسُّحبُ البِطاءُ
كَما كَانَ الغَمامُ عَليهِ ظِلاً عَليهِ الآنَ يَسفَحُ ما يشاءُ[10]
ألا يا حَبَّذا في الرُّسلِ شَافي قلوبٍ شَفَّها لِلعِشقِ دَاءُ[11]

(1) الصبابة: الشوق وحرارته. إنسان العين: ناظرها.
(2) الحميم: ما انصهر من المعادن والأحجار.
(3) التنائي: البعاد والفراق.
(4) الكرى: النوم
(5) ذكت: زاد لهيبها. ذكاء: الشمس.
(6) السنا: النور. السناء: الرفعة والسيادة والمجد.
(7) تلوذ: تلجأ.
(8) يعنعنه: من عنعن الراوي إذا قال عن فلان عن فلان عن فلان إلى آخر السند.
(9) الندى: العطاء والفضل.
(10) يسفح: يسكب.
(11) شفَّها: أضناها وجعلها هزيلة.

فمرسلةٌ لها سُحُبَ العوَافي ... وَيعفى الدَّاءُ بادَرهُ الدَّواءُ

وما انتقبَتْ مناقِبُ أبْطَحيٍّ ... وعنها الأرضُ تُفصِحُ والسَّماءُ[1]

فيَشْهدُ نجمُ تِلكَ ونجمُ هذي ... ويَجريْ مِنْ يَديهِ ندىً وماءُ

على سَاقٍ سَعتْ شجرٌ وقامتْ ... حروبُ النصرِ وازدَحَم الظِّماءُ

ففي الدُّنيا لنا بجداهُ ساقٍ ... وفي الأخرى لنا الحوضُ الرَّواءُ

وفي نارِ المجُوسِ لنا دَليلٌ ... لأنفُسِهمْ بِهَا وَلها انْطِفاءُ

وفي الأسرَى وَصبْحَته فخارٌ ... يُنادي ما على صبحٍ غِطاءُ

فَقُلْ للملحدِينَ تَنقَّلوْها ... جَحيماً إنَّنا مِنْكُم بَراءُ[2]

وإنَّ أبي ووالدَهُ وعِرضِي ... لِعرْضِ مُحمَّدٍ مِنكُمْ وِقاءُ

وأنَّ محمداً لَحبيبُ إنسٍ ... وجَنِّهِمُو لِنعليهِ فِدَاءُ

نبيٌّ تجملُ الأنباءُ عَنْهُ ... جَمالَ الشمسِ يَجلوها الضُحاءُ

وأينَ الشمسُ منهُ سَناً وَلولا ... سَناهُ لما ألمَّ بِهَا بَهَاءُ

كأنَّ البَدرَ صَفَّرهُ خُشوعٌ ... لهُ والشَّمسَ ضَرَّجَها حَياءُ[3]

سَريٌّ في حُروفِ اللَّفظِ سرٌّ ... لمنطِقِهِ وللضَّادِ اختِباءُ

ألمْ ترَ أنَّها جَلَستْ لفخرٍ ... وقامَتْ خِدمةً للضَّادِ ظَاءُ

يُولِّدُ فضلَ مَولدِهِ سُعوداً ... بنو سَعدٍ بها أبداً وضاءُ

لمبعثِهِ على العَادينَ نارٌ ... وللهادينَ نورٌ يُستَضاءُ[4]

فخيرٌ ينعمُ السُّعداءُ فيهِ ... وَبأسٌ تحتويهِ الأشقياءُ

يجر على الثرى ذيلَ اتِّضاعٍ ... وينصبُ في مكارِمِهِ الثَّراءُ

ويكتُبُ بالنِّصالِ غداةَ رَوعٍ ... سُطوراً ما لِأحرُفِها هِجَاءُ[5]

---

(1) المناقب: مفردها منقبة: وهي الفعل الكريم والمفخرة.

(2) الملحدين: مفردها ملحد: مَنْ مال عن الدين وطعن فيه.

(3) ضرَّجها: صبغها.

(4) العادين: المعتدين، يستضاء: يُطلبُ ضوؤه.

(5) يوم الروع: يوم المعركة.

مـمـدحـةً ثـلاثـتَـهـا لِـضـرٌ ... ضِـرَابٌ أو طِـعـانٌ أو رِمـاءُ[1]
فـيـا لَـكَ مـنْ أخـي صـولٍ ونـسـكٍ ... تـقـرُّ لـهُ الـعِـدى والأولـيـاءُ[2]
سِـهَـامُ دعـاً لـهُ وسِـهَـامُ رَأيٍ ... لَـهَـا فـي كـلِّ مـعـركـةٍ مَـضـاءُ
دَرى ذُو الـجـيـشِ مـا صـنـعـتْ ظـبـاهُ ... ومـا يـدريْـهِ مـا صَـنَـعَ الـدُّعـاءُ[3]
وقـالَ الـجـودُ بـعـد الـحـلـم حَـسـبـي ... حَـيـاءً إنَّ شِـيـمَـتَـكَ الـحـيـاءُ
فَـنِـعـمَ الـحـصـنُ إنْ طـلـعـتْ خُـطـوبٌ ... ونِـعـمَ الـقـطـبُ إنْ دَارَ الـثَّـنـاءُ
ونِـعـمَ الـغـوثِ إنْ دهـيـاءَ دَارَتْ ... ونِـعـمَ الـعَـونُ إنْ دَارَ الـرَّجـاءُ[4]
ونِـعـمَ الـمـصـطـفى من معشرٍ مَـا ... نـجـومُ الـنـيـراتِ لـهـمْ كِـفـاءُ[5]
تَـقـدمُ سُـؤدُدٍ وقـديـمُ مَـجـدٍ ... عـلـى سعـدِ الـسُّـعـودِ لـهُ حـبَـاءُ[6]
ضَـفـتْ حـلَـلُ الـثَّـنـا وصَـفَـتْ لـديـهِ ... وآدمُ بَـعـدَهـا طِـيْـنٌ وَمَـاءُ
فَـلـولا مـعـربُ الأمْـدَاحِ فـيـهِ ... هـوى بـيـتُ الـقَـريـضِ ولا بِـنـاءُ[7]
ولـولاهُ لَـمـا حَـجَّـتْ وعَـجَّـتْ ... وفـودُ الـبـيـت ضـاقَ بـهـا الـفَـضَـاءُ
فـإن يُـتـلـى لَـهُ فـي الـحَـجِّ حَـمـدٌ ... فَـقـدْمَـاً قَـد تـلـتـهُ الأنـبـيـاءُ
أَعِـدْ لـي يـا رَجَـاءُ زمَـانَ قُـربٍ ... بـروضـتـهِ أعِـدْ لـي يَـا رَجَـاءُ
ولـثـمَ حَـصـىً لـتـرْبـتـهِ ذكـيٍّ ... كـأنَّ شـذاهُ فـي نَـفـسـيْ كـبـاءُ
وشـكـوى كُـربـةٍ فُـرِجَـتْ وكَـانَـتْ ... مِـنَ الـلأتـي يـمـدُّ بـهـا الـعـنـاءُ
ونـفـسٌ ذنـبـهـا كـالـنِّـيـل مَـدّاً ... وَمـا لِـوعـودِ تـوبـتِـهـا وَفـاءُ
مـشـوّقـةٌ مـتـى وُعـدَتْ بـخـيـرٍ ... تـقـلْ سـيـنٌ وواوٌ ثـم فـاءُ

(1) الضراب: الضرب بالسيف. الطعان: الطعن بالرمح. الرماء: الرمي بالسهام.
(2) النسك: التعبُّد.
(3) ظبا: مفردها: ظُبَة: وهي حد السيف أو السنان أو الخنجر أو ما شابهها.
(4) الدهياء: المصيبة والنائبة والخطب الجلل.
(5) كفاءٌ: مماثلون.
(6) السؤدد: السيادة.
(7) القريض: الشعر.

ولَـكِـنْ حُـبُّـهـا وشَـهـادَتـاهَـا ... مِـنَ الـنِّـيـرانِ نـعـمَ الأكـفـيـاءُ[1]
صَـفـيَّ الـلَّـهِ يـا أزكـى الـبَـرايـا ... بـحـبِّـكَ من عقـائدنـا الـصَّـفـاءُ[2]
ويـعـتـقـنـا الـمـشـفَّـعُ مـن جَـحـيـمٍ ... فـلا عـجـبٌ لـهُ مِـنَّـا الـولاءُ
عـلـيـكَ مِـنَ الـمـلائِـكِ كُـلَّ وَقـتٍ ... صَـلاةٌ فـي الـجِـنَـانِ لـهـا أدَاءُ
وأمـداحٌ بـألـسِـنَـةِ الـوَرى فـي ... مَـطـالِـعِـهـا ارتـقـاءٌ وانـتـقَـاءُ[3]
إذا خُـتـمـتْ تُـعـادُ فـكـلُّ تـالٍ ... لـهُ وقـفٌ عـلـيـهـا وابـتِـدَاءُ

2

قال الشاب الظريف (*) في النسيب في مطلع إحدى قصائد المدح:

يـا راقـدَ الـطَّـرْفِ، مـا لـلطَّرفِ إغـفـاءُ ... حدِّثْ بذاكَ، فمـا في الحبِّ إخفاءُ[4]
إنَّ الـلـيـالـيَ والأيـامَ مـن غـزلـيْ ... فـي الـحـسـنِ والـحـبِّ أبـنـاءٌ وأنـبـاءُ
إذْ كـلُّ نـافـرةٍ فـي الـحـبِّ آنـسـةٌ ... وكـلُّ مـائـسـةٍ في الـحـيِّ خـضـراءُ[5]
وصفـوةُ الـدَّهـرِ بـحـرٌ والـصَّـفـا سفـنٌ ... ولـلـخَـلاعَـةِ إرسـاءٌ وإسـراءُ

(1) الأكفياء: أكتفي بهما عن غيرهما.
(2) البرايا: المخلوقات: ويقصد الناس.
(3) الورى: الناس.
(*) الشاب الظريف 661ـ 688هـ/ 1263ـ 1289م: هو شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن الشيخ عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف. ولد في القاهرة، ونشأ في دمشق حيث أصبح والده مباشراً لاستيفاء أموال خزينة الدولة. عاش نحو ثلاثين سنة، وكانت وفاته قبل أبيه في دمشق.
الشاب الظريف شاعر رقيق مُقصِّد وموشِّح. وشعره رشيق الألفاظ سهل على الحُفّاظ، وإن كان لا يخلو أحياناً من الكلمات العامية. وفي شعره كثير من أوجه الصناعة. وأكثر شعره النسيب والغزل والأغراض الوجدانية العارضة، ومعظمه مقطّعات قصيرة. وله أيضاً مدح وشيء من الرثاء. وله شيءٌ من البديعيات في مدح الرسول ﷺ، وله نثرٌ من خطب ومقامات.
(4) الطرف: العين.
(5) الآنسة: الفتاة الطيبة القلب المحبوب قربها وحديثها.

3

قال ابن مليك الحموي[*] مادحاً:

فَسِرْ في الأرضِ في دِعةٍ وحِفظِ تحفُّ بكَ السلامَةُ وَالبقاءُ[1]
فَأرضٌ بِنْتَ عنها فَهْيَ قفرٌ وأرضٌ قَدْ حَلَلْتَ بِها سماءُ[2]
فيَا شوقيْ لكُمْ حينَ التَّنائِيْ وَيَا أُنسيْ بِكُمْ حينَ اللقاءُ
أعيذكَ أنْ تغيبَ فَدتكَ رُوحِي وقَدْ قلَّتْ لكَ الروحُ الفداءُ
فمَنْ إنْ غِبتَ يُولينَا جَميْلاً وَمَنْ يعتَادُنَا مِنهُ الحياءُ
وَمنْ يَجْلو ظلامَ الفَقرِ عنَّا وليسَ بِغيرِ وَجهِكَ يُستَضَاءُ
وَمنْ يَحلُوْ بِه تِكْرارُ مَدْحِي إذا مَا المدْحُ طرَّزَهُ الثَّناءُ
ومَنْ يَحنُو على أيتامِ نَظْمِيْ وأَنتَ كفيلُها ولَكَ الوَلاءُ
فقُربيْ مِنْ حَياتِكَ ليْ نَعيمٌ وَبُعدي عَنْ نَداكَ هُوَ الشَّقَاءُ[3]
فصبراً يا دمشقُ عليهِ صبراً ويا مصرُ بِهِ فلَكِ الهَناءُ
فبحرُ الجُودِ قَدْ وافاكِ حَقّاً وزادَكِ بَهجَةً هَذا الوَفَاءُ
إمامٌ بالتُّقى والحَقِّ يقضِي وَليسَ لِعِزٍّ علياهُ انقضَاءُ
غَنيتُ بمدحِهِ فطرِبتُ شَوقاً وَذُو الأشواقِ يُطربهُ الغِنَاءُ

(*) علاء الدين، علي بن محمد بن علي بن عبد الله المعروف بابن مليك، الحمويّ ثم الدمشقي، الفُقّاعيّ، الحنفي.
ولد بحماة سنة 840هـ، وتفقه في اللغة والأدب والدين، فقد أخذ اللغة والنحو والصرف والعروض عن الشيخ بهاء الدين بن سالم، وأخذ الأدب عن فخر الدين عثمان بن العيد التنوخي، وأخذ عن غيرهما من أعلام عصره. امتهن بيع الفقّاع، انتقل إلى دمشق وتابع عمله ببيع الفقّاع، ثم ما لبث أن ترك بيع الفقّاع ليتفرغ للعلم والشعر، مدح الأمراء والأعلام في عصره، توفي سنة 917هـ.

(1) تحفُّ: تحيط وتطوّق.

(2) بنتَ: بَعُدتَ.

(3) نداك: عطائك.

4

قال ابن نباتة يمدح ابن فضل الله:

جِسْمٌ سقيمٌ لا يُرامُ شِفاؤهُ ... سَلَبتْ سُوَيدا مُهجتي سَوْداؤهُ[1]
عَجباً لهُ جَفناً كما قَسَمَ الهوى ... فيْهِ الضَّنى وَبِمهجتي أدْوَاؤهُ[2]
يا مُعْرِضاً يَهوى فَنَا رُوحي وَلِيْ ... روحٌ تَمنَّى أنْ يَطولَ بقَاؤهُ
إنْ يَنْأَ عنِّي منك شخصٌ باخلٌ ... رُوحي وما مَلَكَتْ يديَّ فِدَاؤهُ
فَلَرُبَّ ليلٍ شقَّ طيفُكَ جنحَهُ ... والصُّبحُ لم ينشقَّ عَنْهُ رِدَاؤهُ
سَمحاً يُسابقْنيْ إلى القبلِ التي ... قَدْ كَانَ يُقنعنيْ بِهَا إيمَاؤهُ
وَمضيقُ ضمٍّ لو داره مُعَذِّبي ... ضاقَتْ عليهِ أرضُهُ وسمَاؤهُ[3]
جسمانِ مَرئيانِ جِسماً واحداً ... كالنَّظمِ شَدَّدَ حرفَهُ علمَاؤهُ
أفديْ الذِي هُوَ في سَناهُ وسَطوهِ ... بدرٌ وقتلى حُسْنِهِ شُهدَاؤهُ[4]
قامَتْ حلاهُ بوصْفهِ حتى غَدَا ... متغزِّلاً في خدِّهِ وَأوَاؤهُ
حتَّامَ بينَ مُذكَّرٍ وَمؤنَّثٍ ... قلبي الشجيُّ طويلةٌ برحَاؤهُ[5]
وعلى الغزالةِ والغزالُ لأدمُعي ... سيلٌ وَأقوالُ الوشاةِ غُثَاؤهُ[6]
سقياً لِمِصْرَ حِمى بسيطٌ بحرُهُ ... للواصفينَ مديدةٌ أفيَاؤهُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ بَلداً يُعالي بلدةً ... بينَ النُّجومِ لمَا ارتضاهُ علاَؤهُ
أمَّا عَليّ المستماحُ فكُلُّنا ... مُتَشيعٌ يَسْريْ إلَيْهِ وَلاؤهُ
المشتريْ سلَعَ الثَّناءِ بجودِهِ ... وَبهاؤُهُ لِعُطارِدٍ وَذكَاؤهُ

---

(1) لا يرام: لا يُطلب ولا يُرتجىٰ المهجة: دَمُ القلب.
(2) الضنىٰ: التعب والمرض ـ أدواء: جمع دواء.
(3) دراه: عَلِمه
(4) السنا: النور.
(5) البرحاء: الشِّدَّة.
(6) الغثاء: ما يحمله معه السيل من رغوة وأشياء.

دَلَّتْ مَنَاقِبُهُ على أنسابِهِ ... وحَماهُ عنْ تسآل مَنْ لألاؤهُ
ذُو الفَضْلِ مِنْ نَسَبٍ وَمِنْ شيمٍ فيا ... لِلَّهِ مَنبتُ عودِهِ وَنَمَاؤهُ
وَالعودُ صحَّ نجارُهُ فإذا سرى ... أرَجُ الثَّنا فَالعودُ فاحَ كبَاؤهُ
وَالبيتُ حيثُ سنا الصَّباحِ عمودُهُ ... وَبحيثُ أخبيةُ السعودِ خِبَاؤهُ
وَاللَّفظُ نثرٌ منْ صِفاتِ الحُسنِ لا ... بيضاء رَوْضِ حمًى ولا صَفرَاؤهُ
وَالجُودُ مَا لِحيَا الشآمِ عُمومهُ ... فينا ولا في نِيْلِ مِصْرَ فَناؤهُ[1]
وَالرَّأيُ نافذةٌ قَضايا رَسْمِهِ ... مِنْ قَبلِ ما نَوَتِ الإرادةَ رَاؤهُ
وَسعادةُ الدَّارينِ جَلَّ أساسُها ... بمعاقِدِ التقوى فجَلَّ بقَاؤهُ
من أُسْرةٍ عُمَرِيَّةٍ عَدَويَّةٍ ... شَهِدتْ بفضلِ مكانِها أعدَاؤهُ
مِنْ كلِّ ذي نسبٍ سَمتْ أعراقُهُ ... يومَ العَلا واستَبْطَحَتْ بطحَاؤهُ[2]
قومٌ هُمُو غُرَرُ الزَّمانِ إذا أَضَا ... أُمرَاؤهُ وُزراؤهُ شعَرَاؤهُ[3]
مَلؤوا الثَّرى جُوداً يزينُ رَبيعهُ ... والجوَّ ذِكراً تنجلِيْ أضوَاؤهُ
فالجوُّ تصدَحُ بالمحامِدِ عُجْمهُ ... والتُّربُ تنطِقُ بِالثَّنا خَرْسَاؤهُ[4]
مِنْ حَوْلِ منزلِهِ الرَّجاءُ مُحلِّقٌ ... وَمُقصِّرٌ حَمْدُ الفتى وَثَنَاؤهُ

5

قال صفي الدين الحلّي(*) في مطلع مدحةٍ له:

---

(1) الحيا: المطر.

(2) البطحاء: المكان المتسع يمر منه السيل، واستبطحت: اتسعت.

(3) الغرر: الأسياد والأشراف، وبيض الوجوه.

(4) عجمه: جمع أعجم، هو كل من لا يجيد الكلام.

(*) صفي الدين الحلي 677ـ 750هـ: هو صفي الدين أبو الفضل أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن سرايا الحِلّي الطائي. وُلد في الحكّة قرب الكوفة ونشأ فيها. اتصل بالملك المنصور نجم الدين غازي الأرتقي صاحب ماردين، وحظي عنده وعند ابنه وخليفته نجم الدين الصالح. كان شاعر عصره وأشهر شعراء زمانه برغم تقليده للشعراء =

أنـجـومُ أرضٍ أمْ نـجـومُ سَـمـاءِ، كـشَفَتْ أشعَتُها دُجى الظَّلماءِ[1]
أشـرَقـنَ فـي حُلَلِ الظَّلامِ فحدَّقَتْ حَـسـداً لـهُـنَّ كـواكـبُ الـجَـوزاءِ
مِنْ كُلِّ هيفاءِ المَعاطِفِ قُوِّمتْ قَـدّاً كَـقَـدِّ الـصَّعدةِ السَّمراءِ[2]
جِسمٌ كصَخرٍ في صَلابةِ جِرمِهِ، وجفُونُها في الدَّمعِ كالخَنساءِ[3]
تجري مدامعُها، ويضحَكُ وجهُهَا، فـتَـظَـلُّ بَـيـنَ تَـبَـسُّـمٍ وبُـكـاءِ
تَبكي لغُربَتِها وتبسِمُ إذ غَدَتْ فـي حَضرَةِ السُّلطانِ كلَّ مَساءِ
الـصَّالحِ المَلكِ الذي أكنافُهُ كَـهـفُ الـوُفـودِ وكَـعـبَـةُ الـفُـقـراءِ
مَـلِـكٌ بـسِـيـرَةِ عَـدلِـهِ وسَـمـاحِـهِ خَـفِـيَـتْ مـآثـرُ دولَـةِ الـخُـلَـفـاءِ
لا زالَ فـي أُفُـقِ الـسّـعـادَةِ راقِـيـاً فـوقَ الـمَـجـرّةِ فـي سَـنـاً وسَـنـاءِ[4]

6

قالت عائشة الباعونية[*] تمدح رسول الله ﷺ:

وُلِدَ الـحـبـيـبُ فـمـرحـبـاً بـوفـائِـهِ وبـحـسـنِ طـلـعـتِـهِ ونُـورِ بـهـائِـهِ

= العباسيين في المعاني والأغراض والأسلوب، وقد برع في القصائد الطوال وفي المقطّعات. وقد نظم في معظم أنواع الشعر من القصيد والشطّر والمخمّس والموشّح، وكان يتكلف في الصناعة تكلفاً كبيراً.

(1) الدجى: الظلام.

(2) الصَّعدة: القصبة، أو القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف.

(3) الجرم: الجسم.

(4) السنا: الضوء ـ السناء: العلو والارتفاع.

(*) عائشة الباعونية 922هـ/ 1516م: هي الشيخة أم عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونية الصالحية الدمشقية، منسوبة في الأكثر إلى قرية باعون من منطقة عجلون في الأردن. كان مولدها في الصالحية في الجانب الشمالي الغربي من مدينة دمشق في أسرة وجيهة معروفة بالعلم والأدب.

حفظت عائشة القرآن الكريم وهي في الثامنة من عمرها ثم تلقت أشياء من علوم اللغة والأدب والعروض والحديث والفقه. وكان من شيوخها في العلم والنسُك إسماعيل الحوراني ومحيي الدين الأرمـوي. =

وَتَشَعْشَع النورُ الذي سَجدتْ لَهُ ... في وجهِ آدمَ أهلُ أفقِ سمائِهِ[1]
وَبَدا جمالٌ بالجلالِ مُمنطَقٌ ... وَمتوَّجٌ بكمالِهِ وعلائِهِ[2]
وَأتى ختامُ المرسلينَ وخيرُ مَنْ ... وطىءَ الثَّرى ومَلا الوجودَ بآيِهِ[3]
متكمِّلاً في ذاتِهِ وصفاتِهِ ... مُتحقِّقاً في جَمعِهِ بِولائِهِ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما ذُكِرَ الحِمى ... كَلاً ولا زاروا حِمىً بولايهِ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما ارتاحوا إلى ... مُخضرِّ عيش في رُبا صَفرائِهِ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما بلغَ المنى ... قلبٌ وفازَ بكشفِ غيمِ غِطائِهِ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما بانَ الهُدى ... وهَذْيُ المحبِّ لمحوِهِ وفنائِهِ
وُلِدَ الذي لولا جلالةُ قدرِهِ ... لَمْ تحشرِ الأعيانُ تحتَ لوائِهِ
وُلِدَ الذي لولا مراحِمُ عَطْفِهِ ... ما ذاقَ قلبي الريَّ بعد ظمائِهِ
وُلِدَ الذي لولاهُ ما زالَ العنَا ... عنهُ بروحٍ هبَّ مِنْ تِلقائِهِ[4]
وُلِدَ الذي نَعِمَ الفؤادُ بحبِّهِ ... وغدا بهِ مستشفياً من دائِهِ
وُلِدَ الذي صلَّى عليهِ إلٰهُهُ ... وأثابَ من صلَّى بجودِ عطائِهِ
وُلِدَ الذي رَفَعَ المهيمنُ ذِكرَهُ ... وأمدَّهُ سبعينَ من أسمائِهِ

= وفي سنة 915هـ/ 1209م رحلت عائشة إلى القاهرة لأمر يتعلق بابنها. فاتصلت بأبي الثناء محمود بن آجا ومدحته ـ وكانت تعرفه من قبلُ ـ بقصيدة مطلعها:

حنيني لسفح الصالحية والجِسرِ ... أهاج الهوىٰ بين الجوانح والصدر

وعرض ابنُ آجا هذه القصيدة على الشاعر عبد الرحيم العباسي فأعجب بها فنشأت بينها وبين عبد الرحيم العباسي مراسلة بالشعر.

وتتلمذت عائشة في رحلتها هذه إلى القاهرة على أبي العباس القسطلاني، فأجازها بالتدريس والفتيا. فلما عادت إلى دمشق جلست للتدريس واشتغلت بالتأليف.

وفي مطلع سنة 922هـ/ 1516م قامت بزيارة لحلب ولقيت فيها السلطان قانصوه الغوري، وقد جاء إلى حلب لصدّ الجيوش العثمانية، ثم إنها رجعت إلى دمشق. وكانت وفاتها فيها أواخر تلك السنة.

(1) تشعشع النور: انتشر.

(2) ممنطق: يضع النطاق، وهو حزام يُلفُّ حول الخصر.

(3) ملا: ملأ.

(4) العنا: العناء وهو التعب والمشقة.

وَسَمـا ونُبِّـىءَ والـوجـودُ مكـتَّـمٌ ... في طيِّ غيبٍ في خفيِّ خفـائِـهِ
وَبَـرا الـوجـودَ لأجلِـهِ واختـصَّـهُ ... بكـرائِـمِ التَّخصيصِ في إسرائِهِ[1]
وَجَـلا عـلاهُ حـيـنَ أمَّ الأنـبـيَـا ... وَأقـامَ جـبـرائـيـلَ مـن وزرائِـهِ
وأقـامَـهُ فـي قـابـهِ مُسـتَجْلِيـاً ... آيَ الـتـجـلِّـي فـي سَمَـا أدْنـائـهِ
أهـلاً بـمـولِـدِهِ الـذي شـمـلَ الـهنَـا ... بِـورودِهِ ووفـى الـوفـا بـوفـائِـهِ
وتـتـابـعَـتْ مِـنَـن وحـلَّ بِـيُـمْـنِـهِ ... أُنْـسٌ مَـلا الأكـوانَ مـن سـرَّائِـهِ
مـا الـشَّـمـسُ إلاّ لـمـعـةٌ مـن نـورِهِ ... والـبـدرُ إلاّ مـن شُـعـاعِ سَـنـائِـهِ
وَالـوردُ إلاَّ دونَ رونـقِ خـدِّهِ ... وَالـمسكُ إلاَّ من عَبيقِ ثنائِهِ[2]
والـبـرقُ إلاَّ عـن فـؤادٍ ثَـغْـرُهُ ... يُـمـلـيْ ويـسـنـدُ عـن سَـنـا لألائِـهِ
بُـشـرى لِـعَـيـنِ بـالـجـمـالِ تـمـتَّـعَـتْ ... مِـنْ وجـهِـهِ وتـنـعَّـمَـتْ بِـلـقـائِـهِ
وَلأنْـفُـسٍ سَـلـكَـتْ سـواءَ سـبـيـلِـهِ ... وتـضـلَّـعَـتْ مـن فـيـضِـهِ وَصـفـائِـهِ
مـا بـعـدَ ذلـكَ مَـطـلَـبٌ لـمـحـقِّـقٍ ... مِـنْـهُ اسـتـمـدَّ فـكـانَ مـن خُـلـفـائِـهِ
يَـا أكْـرمَ الـشـفـعـاءِ جَـاريـة لـهَـا ... قلبٌ يقلِّبُ في لظى بُرَحائِهِ[3]
وَلـهُ رجـاءٌ فـي جـمـيـلـكَ يـا هُـدى ... أمـلـيْ فـجُـدْ كـرمـاً لـهُ بـرجـائِـهِ
وَأدِمْ لـهُ الإمـدادَ يـا خـيـرَ الـورى ... أبـداً ودارِكْ داءَهُ بـدوائِـهِ
واشـفـعْ إلـى الـمـولـى بـتـبـلـيـغِ الـمـنىٰ ... مِنْ جودِهِ الوافي وجَمِّ عطائِهِ[4]
وَبِـنـظـمِ نَـجـلـيْ فـي خَـواصِ عَـبـيـدِهِ ... وبـنـظـمِ نـفـسـي فـي خَـواصِ إمـائِـهِ
صـلَّـى عـلـيـكَ الـلَّـهُ يـا عـلـمَ الـهـدى ... وآجـلَ مـحـبـوب إلـى فـقـرائِـهِ
مَـا حـنَّ مـشـتـاقٌ لـوصـلـتِـكَ الـتـي ... فـيـهـا بـقـاءُ الـصـبِّ بـعـدَ فـنـائِـهِ
أبـداً ومـا جـادَ الإلـهُ بـرحـمَـةٍ ... لـفـتـىً بـمـا يـرجـوهُ مـن نـعـمـائِـهِ

(1) برا: خَلَقَ.
(2) الرونق: رونق السيف لمعانه ورهافته وحُسْنُهُ.
(3) البرحاء: الشِّدَّة.
(4) الجم: الكثير.

7

قال ابن عربي[*] يتحدث عن الطهارة وأشراط الصلاة:

وِمِنْ بَعْدِهِ سِرُّ الطَّهارَةِ واضِحٌ ... يَسِيرُ عَلى أَهْلِ التَّيَقُّظِ وَالذَّكا
فَكَمْ طاهِرٍ لَمْ يَتَّصِفْ بِطَهارَةٍ ... إذا جاوَرَ البَحْرَ اللَّدُنِيَّ واحْتَمى
وَلَوْ غاصَ فِي البَحْرِ الأُجاجِ حَياتَهُ ... وَلَمْ يَفْنِ عَنْ بَحْرِ الحَقِيقَةِ ما زَكا[1]
إذا استَجْمَرَ الإنسانُ وَتْراً فَقَدْ مَشى ... عَلى السُّنَّةِ البيضاء خَلْقاً لِمَنْ مَضى[2]
فإنِ شَفَعَ استجمارَه عادَ خاسِراً ... وفارَقَ مَنْ يَهْواهُ مِنْ باطِنِ الرَّدى
وإنْ غَسَلَ الكَفَّيْنِ وِتْراً وَلَمْ يَزَلْ ... بخيلاً بِما يَهْوى عَلى فِطْرَةِ الأولى
فَلا غُسِلَتْ كَفٌّ خَضِيبٌ ومِعْصَمٌ ... إذا لَمْ يَلُحْ سَيْفُ التَّوَكُّلِ مُنْتَضى[3]

(*) ابن عربي: هو الشيخ محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحاتمي المعروف بـ (ابن عربي).
ولد في مدينة مرسية في الأندلس في 17 رمضان عام 560هـ.
تلقّى العلم عن علماء عصره في إشبيلية ثم ارتحل إلى المشرق العربي فزار دمشق والحجاز ومصر وأقام فيها مدة طويلة متعلماً ومعلّماً.
مذهبه الفقهي هو المذهب الظاهري.
انتهى به المطاف في رحلاته العلمية إلى دمشق فأقام فيها ودفن فيها.
ممن أخذ عنهم أبو الفرج بن الجوزي وابن عساكر والحافظ السلفي.
له العديد من الكتب في التصوف والشعر والنوادر والمواعظ. وأهمها:
1 ـ الفتوحات المكية وهو أشهر كتب الصوفية على الإطلاق.
2 ـ الديوان.
3 ـ مجموعة رسائل.
4 ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار.
يعتبر ابن عربي إمام الصوفية في عصره بل حتى عصرنا الحاضر.
وقد اختلف فيه العلماء من عصره إلى الآن، بين قادح ومادح، ورماه بعضهم بالكفر والزندقة بسبب ألفاظه الملغوزة الباطنية. توفي في دمشق سنة 638هـ ودفن فيها.

(1) زكا: نما، تطهّر.
(2) استجمر: استنجى بالجمار.
(3) منتضىً: انتضى السيف: أخرجه من غمده.

إذا وُلِـدَ الـمَـوْلُـودُ قـابـضُ كَـفِّـهِ ... فَذاكَ دَلِيلُ البُخْلِ والجَمْعِ يا فَتى
وَيَبْسُطُها عِنْدَ المَماتِ مُخبِّراً ... بِتَرْكِ الذي حَصَّلْتَ فِي مَنْزِلِ الدُّنا
إذا صَحَّ غَسْلُ الوَجْهِ صَحَّ حَياؤُهُ ... وَصَحَّ لَهُ رفعُ السُّتورِ مَتى يَشا
وإنْ لَمْ يَمَسَّ الماءُ لِمَّةَ رأسِهِ ... وَلا وَقَعَتْ كفَّاه فِي ساحَةِ القَفا[1]
فَما انْفَكَّ مِنْ رِقِّ العُبُودِيَّةِ التي ... تسحرُها الأغيارُ فِي مَنْزِلِ السِّوى
وإنْ لَمْ يَرَ الكُرسيَّ فِي غَسْلِ رِجْلِهِ ... تناقَضَ مَعْنى الطُّهْرِ للحِينِ وانْتَفى
إذا مَضْمَضَ الإنسانُ فاهُ ولَمْ يَكُنْ ... بريّاً مِن الدَّعْوى وفَتِيّاً بِما ادَّعى
ومُسْتَنْشِقٍ ما شَمَّ ريحَ اتّصالِهِ ... ومُسْتَنْثِرٍ أوْدى بكَثْرَةِ الرَّدى[2]
صِماخاهُ ما ينفكُّ يطهرُ إنْ صغى إلى ... أحسنِ الأقوالِ واكتفَ واقتفى[3]

8

وقال ابن عربي في أحكام الجبائر والمسح على الخفين:

وإنْ لَبِسَ الجُرْمُوقَ وَهُوَ مُسافِرٌ ... عَلى طُهْرِه يَمْسَحُ وفِي سِرِّه خَفا[4]
ثَلاثَةُ أيّامٍ وإنْ كانَ حاضِراً ... بِمَنْزِلِهِ فالمَسْحُ يَوْماً بِلا قَضا
وفِي ذا خِلافٌ بيِّنٌ مُتَحَقِّقٌ ... يقولُ بِهِ أهلُ الشَّرِيعَةِ والهُدى
وفِي المَسحِ سِرٌّ لا أبُوحُ بِذِكْرِهِ ... وَلَوْ قُطِّعَتْ مِنْكَ المفاصِلُ والكُلى
ويَتْلُوهُ سِرٌّ فِي الجَبائِرِ بيِّنٌ ... لِكُلِّ مُريدٍ لَمْ يُرِدْ ظاهِرَ الدُّنا[5]

---

(1) اللِّمَّة: شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن.

(2) استنثر: أدخل الماء في أنفه ثم دفعه ليخرج ما فيه.

(3) صماخاه: مثنى صماخ: قناة الأذن التي تفضي إلى غشاء الطبل.

(4) الجرموق: الخف الصغير يلبس فوق الخف.

(5) الجبائر: جمع جبيرة: ما يوضع على موضع الكسر من عيدان وخرق من أجل أن تُجبر العظام.

9

وقال ابن عربي معدِّداً أركان الإسلام:

وأركـانُـهـا خَـمْـسٌ عِـتـاقٌ نـجـائِـبُ ... تسيرُ على حُكْمِ الحقيقةِ بالصُّوى[1]
فــأَوَّلُــهــا الإيــمــانُ بــالله بَــعْــدَه ... رسولٌ عَزيزٌ جاءَ بالصِّدْقِ والهُدى
فَيَعْرِضُ للمَحْبُوبِ شَفْعَ شَهادَةٍ ... فأَوْتَرَها الرَّحمٰنُ فِي سُورةِ النِّسا
وعَرَّفَهُ مِقْدارَ نَفْسٍ ضَعِيفَةٍ ... وأَيَّدَه بالحالِ فِي سابِقِ القَضا
وثُمَّ صَلاةٌ والزَّكاةُ وَصَوْمُنا ... وَحَجٌّ وهذي خَمْسَةٌ ما بِها خَفا

10

وقال ابن عربي مميزاً بين أركان الصلاة وبين سننها:

فصل منها:

فإن نَسِيَ الإنسانُ رُكْناً فإنَّهُ ... يُعِيدُ ويَقْضِي ما تَضَمَّنَ واحتَوى
وإن لَمْ يَكُنْ رُكْنٌ وَعَطَّلَ سُنَّةً ... فَلَمْ يَأْنَسِ الزُّلْفى وَلَمْ يبلغْ المُنى[2]
وذلِكَ فِي كُلِّ العِباداتِ سائِرٌ ... ولَيْسَ جَهُولٌ بالأُمورِ كَمَنْ دَرى
إذا كانَ هذا ظاهِرُ الأَمْرِ فالذي ... تَوارى عَنِ الأَبصارِ أعظَمُ مُنْتَشا
وهذا طَهورُ العارفينَ فإن تكنْ ... مِن أحزابِهِم تحظى بتقريبِ مُصْطَفى

11

وقال ابن عربي ذاكراً بعض النصائح لتكون الصلاة مقبولة عند الله سبحانه وتعالى:

---

(1) الصوى: ج: صُوَّة ما نصب من الحجارة ليستدل به على الطريق ـ العتاق والنجائب: الإبل القوية التي تشارك في السبق.

(2) إشارة إلى أن مَن عطّل ركناً: فإن العبادة تكون غير صحيحة.

وَكَمْ مِن مصلٍّ ما لَهُ مِنْ صَلاتِهِ سِوى رؤيَةِ المِحْرابِ والكَدِّ والعَنا
وآخرَ يَحْظى بالمُناجاةِ دائِماً وإنْ كانَ قَد صَلَّى الفريضةَ وابتَدا
وَكَيْفَ وسِرُّ الخَلْقِ كانَ إماماً وإنْ كانَ مأمُوماً فَقَدْ بَلَغَ المَدى
فَتَحْرِيمُها التَّكْبِيرَ إنْ كنتَ كابِراً وإلاّ فِحِلُّ المَرء أو حِرمُهُ سَوا[1]
وتَحليلُها التَّسليمَ إنْ كنتَ دارِياً لِرَجْعَتِهِ العَلياء فِي لَيلَةِ السُّرى[2]

12

قال الشاب الظريف يمدح حسام الدين الرازي:

حَبَّذا الشامُ إنْ سَمَتْ بِحُسامِ الـ ـدِّينِ، مِنْها البِطاحُ وَالكُثُبُ[3]
مِنْ معشَرٍ قد سَمَوا وَقَدْ كَرُمُوا فِعلاً، وَطابُوا أصْلاً إذا انتَسَبُوا
يا ضاحكاً والحَياةُ عابسةٌ وثابتاً والجبالُ تضطَرِبُ
الدهرُ روحٌ وأنتَ فيهِ قضيـ ـبُ البانِ غُصناً وغيرُكَ الحَطبُ
خُذْ مِدَحاً لم أُرِدْ بها مِنَحاً حسبي أنِّي إلَيْكَ أنتسِبُ

13

قال ابن عربي متحدثاً عن بعض أسرار الصوفية وعن علاقته مع الذات الإلٰهية:

إذا كُنتَ تَطْلُبُ ما تَرْكَبُ وَكانَ لَكُمْ كَوْنُهُ المَذْهَبُ[4]
وَقمْتَ بِهِ حِينَ قامَتْ بِكُمْ صِفاتٌ تُعارُ وَلا تُكْسَبُ
فَمِنْهُ إلَيْهِ يَكُونُ الذي تُسَمُّونَهُ المَلْجأُ المَهْرَبُ
أتاكُمْ بِجِبْرِيلِهِ مُنْزِلاً بِوَحْيٍ عَلى قَلْبِكُمْ يَكْتُبُ

---

(1) كابر القوم: سيدهم.
(2) السُّرىٰ: المسير ليلاً.
(3) البطاح: جمع بطحاء: المكان المتسع يمر منه السيل ـ. الكثب: جمع كثيب: وهو التل من الرمل.
(4) المذهب: الطريق.

وَمـا هُـوَ جِـبـريـلٌ أَرْسـالِـهِ ... وَلَـكِـنَّـهُ مَـثَـلٌ يُـضْـرَبُ
فَـلَـسْـتُ نَـبِـيّـاً وَلا مُـرْسَـلاً ... وإنِّـي لَـهُ وارِثٌ أُحْـجَـبُ
وإنْ جَـمَـعَـتْ بَـيْـنَـنـا حَـضْـرَةٌ ... فـإنِّـي أنـا الـحـاجِـبُ الأَقْـرَبُ[1]
لأَنِّـي خَـديـمٌ لَـه تـابِـعٌ ... أوامِـرَهُ سَـيِّـدٌ مُـنْـجِـبُ
يَـقُـولُ لِـيَ الـلَّـهُ مِـنْ عَـرْشِـهِ: ... وَلِـيّ أنـا ذَلِـكَ الـمَـطْـلَـبُ
ظَـهَـرْتُ بِـصـورةِ أرسـالِـنـا ... إلـيـكُـمْ وإيَّـاكُـمُ أَطْـلُـبُ
فَـأَنْـتَ الـوَلِـيُّ لَـنـا الـمُـجْـتَـبـى ... لَـكَ الـوَهْـبُ والأَخْـذُ والـمَـنـصبُ
نَـصَـبْـتَ مِـنَ أَسْـمـائِـنـا سُـلَّـمـاً ... لَـكُـمْ فـاعْـرُجُـوا فِـيـهِ لا تَـرْهَـبُـوا
وَلا تَـرْغَـبُـوا عَـنْ وُجُـودِي إذا ... وَصَـلْـتُـمْ وَفِـيـهِ ألا فَـارْغَـبُـوا[2]
وَكَـمْ قُـلْـتُ فِـيـكُـمْ وَلَـمْ تَـسْـمَـعُـوا ... قِـواكُـمْ أنـا فَـافْـرَحُـوا واطْـرَبُـوا
إذا مـا سَـعَـيْـتَ لأَمْـرٍ أنـا ... لَـكَ الـرِّجلُ فِي سَعْـيِـهـا فـاعْـجَـبُـوا
تَـعـالَـيْـتُ عَـنْ ذا وعَـنْ ذا فَـمـا ... أنـا مِـثْـلُـكُـمْ فَـكُـلُـوا واشْـرَبُـوا
هَـنـيـئـاً مَـريـئـاً ولـكِـنْ بِـنـا ... فَـنَـحْـنُ لَـكَ الـمَـأْكَـلُ الـمَـشْـرَبُ
فـإنِّـي الـقَـوِيُّ وَعَـيْـنُ الـقَـوِيِّ ... وإنِّـي الـمُـقَـوِّي الـذِي يُـطْـلَـبُ
فَـجُـولُـوا بِـمَـيْـدانِ أَسْـمـائِـنـا ... فَـمَـيْـدانُ أَسْـمـائِـنـا مَـلْـعَـبُ
أُفَـسِّـرُ قَـوْلِـي بِـمـا أَشْـتَـهِـي ... لِـتَـضْـمِـيـنِـهِ كُـلَّ مـا يَـرْغَـبُ
فَـسُـبْـحـانَ مَـنْ كُـلُّـنـا عَـيْـنُـهُ ... وَلَـسْـنـا وَلَـيـسَ وَمـا نَـكْـذِبُ

14

قال عبد الرحيم البرعي[*] في مدح سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة

(1) الحضرة: خلاف الغيبة.
(2) ترغبوا: رغب فيه: أراده.
(*) هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي الهاجري اليمني الصوفي. لم تُعلم سنة ولادته، وسنة وفاته في 803هـ، وهو إمام مشهور من أئمة الصوفية وله ديوان شعر كبير في المدائح النبوية =

والسلام:

وقال على لسان المقري محمد صاحب الخير:

أَتَأْمُرُني بالصَّبْرِ والطَّبْعُ أَغْلَبُ ... وتَعْجَبُ منْ حالي وحالُكَ أَعْجَبُ
وتَطْلُبُ مِنِّي سَلْوَةً عَنْ رَبائِبٍ ... وراهُنَّ أَرْواحُ المُحِبِّينَ تَطْلُبُ
فَما قَرَّ لي دَمْعٌ ولا كَفَّ مَدْمَعٌ ... ولا طابَ لي عَيْشٌ ولا لَذَّ مَشْرَبُ
زَمانِيَ أَشْكُو مِنْكَ عَتْبَكَ دائِماً ... فَلا أَنا مَشْكِيٌّ ولا أَنْتَ مُعْتِبُ
تَرُومُ ذهُولي عَنْ فَريقٍ مُفارِقٍ ... ورَكْبٌ بأَكْتافِ الأَباطِحِ طُنَّبوا
وتَسْأَلُني عنْ زَيْنَبَ ابْنَةَ مالِكٍ ... ولا سأَلَتْ عَنِّي ولا عَنْكَ زَيْنَبُ
مُرَوِّعَتي بالبَيْنِ هَلْ مِنْ زيارَةٍ ... تَعيشُ بها الأَرْواحُ من قَبْلِ تَذْهَبُ
فَلَمْ يَبْقَ شيْءٌ غَيْرُ فَضْلَةِ مُهْجَةٍ ... وقَلْبٍ على جَمْرِ الغَضى يَتَقَلَّبُ[1]
أُوري بِذِكْرِ الرَّكْبِ وهُوَ مُشَرِّقٌ ... وأَبْكي فَيُبْكيني الفريقُ المُغَرِّبُ
إِلى الجِيرَةِ الغادينَ شَوْقي وإِنَّني ... على وَلَهي أَبْكي الرُّسُومَ وأَنْدُبُ
إذا وَصَلوا طابَ الزَّمانُ بِوَصْلِهِمْ ... وإنْ هَجَروا فالهَجْرُ عِنْديَ أَطْيَبُ
تَحِنُّ لِتَرْدادِ الحَنينِ حَشاشَتي ... ويَسْتَعْذِبُ التَّعْذيبَ قَلْبي المُعَذَّبُ
وطَيْفِ خَيالٍ زارَني بَعْدَ هَجْعَةٍ ... لَدى وَطَنٍ يَنْأَوْنَ عَنْهُ ويَقْرُبُ
يُعَلِّلُني ذِكْري لَيالٍ تَقَدَّمَتْ ... ولكِنَّهُ من حَيْثُ يَصدُقُ يَكْذِبُ
وساجِعَةٍ تَبْكي فأَبْكي وإِنَّها ... لَتَعْجِمُ شَكْواها وأَشْكو فأُغْرِبُ[2]
أَلا لَيْتَ شِعْري عَنْ رُبا الأَثْلِ هَلْ غَدا ... وراحَ على العِلاّتِ فيهِنَّ صَيِّبُ[3]
وذَرَّ فَراديسَ العَقيقَيْنِ هَيْدَبٌ ... على كُلِّ شَعْبٍ مِنْهُ يَرْفَضُّ هَيْدَبُ
وهَلْ رَوَّعَ البَرْقُ الرِّياضَ بِضاحِكٍ ... يُفَضِّضُ أَزْهارَ الرِّياضِ ويَذْهَبُ
يَظَلُّ يُناغي الشَّمْسَ لَؤْلُؤُ ظِلِّهِ ... ويُضْبِحُ دُرُّ النُّورِ بالنُّورِ يَلْهَبُ

= والحقيقة المحمدية، وله من النثر (مولد النبي).

(1) الغضى: نوع من الشجر.

(2) الساجعة: الحمامة، وسجع الحمام هديله.

(3) صيّب: المطر الكثير.

وهَلْ عَذَباتُ البانِ رَنَّحَها الصَّبا *** فعانَقَها ثُمَّ انْثنى وهْيَ تَلْعَبُ
أُحَيْبابَ قلْبي فرَّقَ الدَّهْرَ بَيْنَنا *** فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ بَعْدَكُمْ فيهِ أرْغَبُ
سِوى الكَرَمِ الفَيَّاضِ والصَّفْحِ والرِّضا *** أُرَجِّيهِ بالظَّنِّ الذي لا يُخَيَّبُ
مِنَ الهاشِميِّ الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الذي *** إليهِ العُلا والفَضْلُ والفَخْرُ يُنْسَبُ
أعَزُّ الوَرى أصْلاً وفِعْلاً ومَنْشأً *** وأعْلى وأسْما في الفَخارِ وأحْسَبُ
وأحْسَنُ خَلْقِ الله خَلْقاً وخِلْقَةً *** وأطْوَلُهُم في الجُودِ باعاً وأرْحَبُ
وأكْرَمُ بَيْتاً من لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ *** ومِنْ غَيْرِهِمْ وابْنُ الأطايِبِ أطْيَبُ
تَسَلْسَلَ مِنْ أعْلى ذُؤابَةِ هاشِمٍ *** أشَمُّ رَحِيبُ الباعِ أرْوَعُ أغْلَبُ(1)
سَرى لَيْلَةَ المِعْراجِ يَقْصِدُ حَضْرَةً *** بِها الكأسُ من راحِ المُحِبِّينَ تَشْرَبُ
وحَفَّتْ بِهِ الأمْلاكُ مِنْهُمْ مُبَشِّرٌ *** بِما نالَ مِنْ فَضْلٍ ومِنْهُمْ مُرَحِّبُ
وأدْناهُ رَبُّ العَرْشِ منهُ على العُلا *** فكانَ كَقابِ القَوْسِ أوْ هُوَ أقْرَبُ(2)
وآتاهُ في الحَشْرِ الشَّفاعَةَ واللِّوا *** على الرُّسْلِ والحَوْضِ الذي لَيْسَ يَنْضَبُ
فآياتُهُ بالمُعْجِزاتِ نَواطِقٌ *** وراياتُهُ بالفَتْحِ والنَّصْرِ تُنْصَبُ
صِفوُهُ بِما شِئْتُمْ فَواللّهِ ما انْطَوى *** على مِثْلِهِ في الكَوْنِ أُمٌّ ولا أَبُ
أيُنْبي الصَّفا المَكِّيُّ عَنْ جِيرَةِ الحِمى *** ومَنْ ضَمَّهُ البيتُ العَتيقُ المُحَجَّبُ
وعَنْ عَرَفاتٍ والمُحَصَّبِ من مِنى *** فأُمْنِيَتي خَيْفا مِنى والمُحَصَّبُ
ومَنْ لي بأهْلِ الدَّارِ من أهْلِ طَيْبَةٍ *** فَوَجْدِيَ مَوْجُودٌ وقَلْبي مُقَلَّبُ
إلى رَوْضَةٍ مِنْ بَيْنِ قَبْرٍ ومِنْبَرٍ *** عَلَيْها رِياحُ الخُلْدِ تَصْبُو وتَجْنَبُ
شَذاها مِنَ الفِرْدَوْسِ مِسْكٌ وعَنْبَرٌ *** على غايَةِ الوَصْفَيْنِ أذْفَرُ أشْهَبُ
ألا أبْلِغُوا عَنِّي المُحِبِّينَ أنَّهُمْ *** وإنْ سَكَنُوا قَلْبي عن العيْنِ غُيَّبُ
أحِنُّ إلَيْهِمْ مِن دِيارٍ بَعيدَةٍ *** وأسْألُ عَنْهُمْ مَنْ يَجيءُ ويَذْهَبُ
غَرامي بِهِمْ فَوْقَ الغَرامِ ومُهْجَتي *** تَذُوبُ ودَمْعي في المَحاجِرِ يُسْكَبُ(3)

---

(1) الأشم: المرتفع ـ الأروع: ذكي الفؤاد.
(2) القاب: المقدار ما بين المقبض وطرف القوس.
(3) المهجة: دم القلب.

ومَنْ كانَ مَشْغُوفاً بِحُبِّ مُحَمَّدٍ ... وحُبِّ أبي بَكْرٍ فَكَيْفَ يُعَذَّبُ
سَلامٌ على الصِّدِّيقِ إذْ هُوَ لَمْ يَزَلْ ... لِخَيْرِ البَرايا في الحَياتَيْنِ يُصْحَبُ(1)
وَثانِيهِ في الغارِ الخَليفَةُ بَعْدَهُ ... لأُمَّتِهِ نِعْمَ الحَبيبُ المُقَرَّبُ
أجابَ وقَدْ صَمُّوا وأبْصَرَ إذْ عَمُوا ... وصَدَّقَ بالحَقِّ المُبينِ وكَذَّبُوا
وصاحِبُهُ الفارُوقُ ذاكَ المُبارَكُ الـ ... أغَرُّ أميرُ المُؤْمِنينَ المُهَذَّبُ
ضَجيعُ رَسولِ اللَّهِ مُظْهِرُ دِينِهِ ... غَضَنْفَرُهُ في اللَّهِ يَرْضى ويَغْضَبُ
بِهِ اتَّسَعَ الإسْلامُ واتَّضَحَ الهُدى ... ولَمْ يَبْقَ غيرُ الحَقِّ للنَّاس مَذْهَبُ
وعُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ مَنْ سَبَّحَ الحَصى ... بِكَفَّيْهِ واري الزَّنْدِ والبَرْقُ خُلَّبُ
كثيرُ البُكا والذِّكْرِ مُنْفِقُ مالَهُ ... وجَهَّزَ جَيْشَ العُسْرِ والعامُ مُجْدِبُ
لَدى الحَشْرِ يَلقى اللَّهَ وهُوَ مُطَهَّرٌ ... بَريءٌ شَهيدٌ بالدِّماءِ مُخَضَّبُ
ومَنْ كَعَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ... كَريمٌ بِهِ الأمْثالُ في الجُودِ تُضْرَبُ
أخُو الحِلْمِ بَحْرُ العِلْمِ حَيْدرَةُ الرِّضا ... إمامٌ بِهِ صَدْعُ الهِدايَةِ يُشْعَبُ
هِزَبْرٌ ولكِنْ صَيدُهُ الصَّيْدُ في الوَغى ... ومِخْلَبُهُ الرُّمْحُ الأَصَمُّ المُكَعَّبُ(2)
وعَمَّيْ رَسُولِ اللَّهِ والحَسَنَيْنِ مَنْ ... بِهِمْ شَرُفاتِ المَجْدِ تَزْهُو وتُعْجَبُ
ومِنْ قَوْمِهِمْ قَوْمٌ إلى اللَّهِ هاجَروا ... وخَلُّوا مَعانِي دُورِهِمْ وتَغَرَّبُوا
وراضوا على حُبِّ الحَبيبِ نُفُوسَهُمْ ... فَكانَ لِوَجْهِ اللَّهِ ذاكَ التَّقَرُّبُ
وآواهُ قَوْمٌ آخَرونَ وناصَروا ... وذَبُّوا العِدى واسْتَمْنَعُوا وتَغَلَّبوا
نَوافِلَةُ الأَنْصارِ مِنْ غيرِ ذُو حَدٌّ ... تَسامَى بِها فَرْعٌ طويلٌ وَمَنْصَبُ
أولئِكُمُ الأنْصارُ والسَّادَةُ الأُولى ... نَشا مِنْهُمُ فَرْعٌ طويلُ ومَنْصَبُ
سَلامٌ على ذاكَ النَّبيِّ وآلِهِ ... وأزْواجِهِ والصَّحْبِ ما جَنَّ غَيْهَبُ
غَداةَ اللِّقا مِنْهُمْ أُسُودُ ضَراغِمٌ ... بِسِرٍّ سَرابيلِ الحديدِ تَجَلْبَبوا
يَخُوضونَ بَحْراً دونَه البَحْرُ مِنْ دَمٍ ... وأمْواجُهُ بِيضٌ وسُمْرٌ وشُذَّبُ(3)

(1) البرايا: المخلوقات.
(2) الهزبر: الأسد الكاسر.
(3) بيض وسمر: سيوف ورماح.

فَكُلُّ طَويلِ الباعِ مُقْتَحِمُ الوَغى أَغَرُّ طويلُ العُمْرِ لاقيهِ يُغْطَبُ
يَجُودُ على شَوْقِ الرِّماحِ بِنَفْسِهِ ويُرْدي بِهِ في غَمْرَةِ المَوْتِ مُقْرَبُ
وسِرْبالُهُ في الرَّوْعِ دِرْعٌ دَرِيَّةٌ وأَبْيَضُ من ماءِ الحديدِ مُشَطَّبُ[1]
عَلَيْهِمْ سَلامُ اللَّهِ إذْ مَهَّدوا الهُدى ودانَ لَهُمْ بالسَّيْفِ شَرْقٌ ومَغْرِبُ
على حُبِّ مَنْ هابَتْ لِسَطْوَةِ بأْسِهِ وهَيْبَتِهِ العُظْمى نِزارٌ ويَعْرُبُ
نَبيٌّ حِجازيٌّ رَضِيٌّ مُكَرَّمٌ كَريمٌ جَوادٌ صادِقُ الوَعْدِ مُنْجَبُ
إلى صاحِبِ الجاهِ العريضِ رَمَتْ بِنا هُمُومٌ لَها في ابْنِ العَواتِكِ مَطْلَبُ[2]
مِنَ الخَيْرِ والنِّيَّابَتَيْنِ تَراسَلَتْ إلى مَقْصِدٍ من دونِهِ الهَولُ يُرْكَبُ
فَقامَتْ على بابِ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ مَقامَ ذَليلٍ خائِفٍ يَتَرَقَّبُ
وحَطَّتْ بِبَحْبُوحِ المَكارِمِ والرِّضا لَدى سَيِّدٍ منهُ المَكارِمُ تُوهَبُ
على السَّاحَةِ الخَضْراء والمَشْهَدِ الذي يَكادُ بِزُوَّارِ النَّبيِّ يُرَحِّبُ
سَلامٌ على ذاكَ الحَبيبِ فإنَّني إليهِ على بُعْدي أَحِنُّ وأَطْرَبُ
عَسى يا رسُولَ اللَّهِ نَظْرَةُ رَحْمَةٍ إلينا وإلاَّ دَعْوَةٌ ليسَ تُحْجَبُ
فأَنْتَ حِمانا من زَمانٍ مُعانِدٍ بِهِ يُنْكَرُ المَعْروفُ والدِّينُ يُسْلَبُ
سَمِيُّكَ يا مَوْلايَ طالَ عُكُوفُهُ على كَعْبَةِ العِصْيانِ والرّأْسُ أَشْيَبُ
فَخُذْ بِيَدِ المُقْري واشْفَعْ لَهُ ولي فَواللَّهِ إنِّي مُذْنِبٌ وهُوَ مُذْنِبُ
وقُمْ يا رسولَ اللَّهِ بي وبِصاحِبي وقُلْ ذا كهذا لا خِلافٌ مُرَقَّبُ
فَقَدْ عَظُمَتْ أَوْزارُنا وذُنُوبُنا ولَمْ نأْتِ شَيْئاً للكَرامَةِ يُوجِبُ
وقَطَّعَتِ الأَيَّامُ أَسْبابَ بَيْنِنا ولكِنْ إلَيْكُمْ يَلْجأُ المُتَسَبِّبُ
أَحاطَ بِنا طوفانُ زَلاَّتِنا وما لَنا فيه إلاَّ فُلْكُ صَفْحِكَ مَرْكِبُ
إذا ما هَمَمْنا بالزِّيارَةِ عاقَنا بِعادُكَ عَنَّا لا الجَفا والتَّجَنُّبُ
إلَيْكَ تَوَسَّلْنا بِكَ اصْفَحْ وجُدْ وَعُدْ فَما مِنْكَ بُدٌّ لا ولا مِنْكَ مَهْرَبُ

(1) سرباله: لباسه.
(2) العواتك: جمع عاتك، وهو الكريم.

وقُلْ أنْتُمَا مِنّي ولي ومَعي وبي وعِنْدي فأَهْوالُ القِيامَةِ تَصْعُبُ
نَلُوذ ونَدْعو المُسْلِمينَ لِظِلِّكُمْ إذا أُوخِذَ الجالِ بِما كان يَكْسَبُ
فَما مِنْكَ إلاّ نَفْحَةٌ هاشِمِيَّةٌ عَلَيْنا وإلاّ رَحْمَةٌ تَتَشَعَّبُ
وصَلى عَلَيْكَ اللّهُ ما دَرَّ عارِضٌ وما لاحَ في السَّبْعِ الطَّرائِقِ كَوْكَبُ[1]
صَلاةً تَعُمُّ الآلَ والصَّحْبَ دائِماً بِلا غايَةٍ ما دامَتِ الصُّحْفُ تُكْتَبُ

15

قال بهاء الدين زهير[*] يصف أشواقه وعذاباته في حبه:

أُحَدِّثُهُ إذا غَفَلَ الرّقيبُ وَأسألُهُ الجَوَابَ فَلا يُجيبُ
وَأطمَعُ حينَ أعطِفُهُ عَساهُ يَلينُ لأنّهُ غُصْنٌ رَطيبُ
أذوبُ إذا سمِعْتُ لَهُ حديثاً تكادُ حَلاوَةٌ فيهِ تَذوبُ
وَيَخفِقُ حينَ يُبصِرُهُ فؤادي وَلا عجبٌ إذا رَقَصَ الطَّرُوبُ
لقَد أضْحى منَ الدُّنْيا نَصِيبي وَما ليَ منهُ في الدّنْيا نَصِيبُ
فَيا مَوْلايَ قُلْ لي أيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ لَعَلّني منهُ أتُوبُ
أرَاكَ عليّ أقْسَى النّاسِ قَلباً وَلي حالٌ تَرقّ لَهُ القُلوبُ
حَبيبٌ أنتَ قلْ لي أمْ عَدوٌّ فَفعلُكَ لَيسَ يَفعلُهُ حَبيبُ
حَبيبي فيكَ أعدائي ضُرُوبٌ حَسودٌ عاذِلٌ وَاشٍ رَقيبُ[2]

---

(1) العارض: السحابُ المطلُّ.

(*) البهاء زهير: هو الوزير الشاعر الكاتب أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبي الأزدي المصري، صاحب السهل الممتنع، والغزل الرقيق والعتاب الرفيق.
ولد بوادي نخلة قرب مكة سنة 581هـ، ونشأ بمصر ببلدة قوص، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة، فلما نُكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه الملك الناصر، صاحب الكرك وقبض على الصالح واعتقله، حفظ البهاء عهد صاحبه، ولم يخدم غيره، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصّالح ملك الديار المصرية فقدم إليها في خدمته، واتخذه وزيراً ـ حتى مات في شوال سنة 656هـ.

(2) ضروب: أنواع.

وَهـا أنـا ذا وَحـقِّـكَ فـي جِـهـادٍ ... عسَى من وَصْلِكَ الفتحُ القريبُ
سـأُظـهِـرُ فـي هَـوَاكَ إلَـيْكَ سِـرّي ... وَمـا أدري أأُخْـطـىءُ أمْ أُصِـيـبُ
أرَى هـذا الـجَـمـالَ دَلـيـلَ خَـيـرٍ ... يُـبَـشّـرُنـي بـأنّـي لا أخـيـبُ

16

قالت عائشة الباعونية تصف حالة عشقها الإلٰهي:

حـبـيـبـي أنـتَ مِـنْ قَـلـبي قـريـبُ ... ومـن سَـرّي جَـمـالُـك لا يـغـيْـبُ
خَلعْت الحسنَ في خِلَعِ التّجَلّي ... فـشـاهـدتُ الـجـمـالَ ولا رقـيـبُ
وأبْـديْـتَ الـوِصـالَ فـلا صُـدودٌ ... ولا وَهـمٌ ولا شـيءٌ يُـريـبُ
وَطُـفـتَ عـليَّ فـي حـانِ الـتَّـصـابي ... بـكـأسٍ عـيـشُ شـارِبِـهِ يَـطـيـبُ
بـراحٍ نـلـتُ أقـصـى الـرَّي مـنْـهُ ... وفـي زَيٍّ تـراءتْ لـي الـغـيـوبُ
وَزالـتْ بـاسـتِـوَا شـمـسِـي ظِـلالـي ... تـجـلٍّ لـيـسَ يـعـقـبُـهُ غُـروبُ[1]
وَصِـرتَ إلـى مـقـامٍ لـيـس فـيْـهِ ... سـواكَ حـبـيـبُ قـلـبـي لـه نَـصيْـبُ
تُـنـادِمُـنـي وتَـسـقـيـنـي مُـدامِـي ... وَيـحـضـرنـيْ لـديْـكَ فـلا يَـغـيـبُ
وَتـذكـرنـيْ وَتـشـهـدنِـيْ جَـمـالاً ... تـقـدَّسَ أنْ يـكـونَ لـه ضَـريْـبُ[2]
فـلا خـوفٌ وأنـتَ أمـانُ قـلـبـيْ ... ولا سُـقـمٌ وأنـتَ لـيَ الـطـبـيـبُ
ولا حـزنٌ وأنـتَ سـرورُ سِـرِّي ... ولا سُـؤلٌ وأنـتَ لـيَ الـحـبـيـبُ

17

قال ابن مليك الحموي يصف فقره وسوء حاله:

مـولايَ عَـزَّ الـطَّـلَـبُ ... وَبِـيْ أضَـرَّ الـسَّـغَـبُ[3]
ولَـمْ يـكُـنْ لِـشـقـوتِـيْ ... عَـنِّـيَ يُـغـنِـيْ الأدَبُ

---

(1) باستوا: أي باستواء.
(2) ضريب: مثيل أو نظير.
(3) السَّغب: الجوع.

وَالشعرُ منهُ انقطعَ الْـ ... حبلُ وقَلَّ السببُ
والجدُّ لا يحوي وَلا ... عنِّيَ يُغني اللَّعِبُ
والخَطبُ قَدْ عمَّ ولا ... تفيدُ فيهِ الخطبُ
وقلَّ في الدهرِ العطَا ... وزادَ فيهِ العَطَبُ
والفقرُ قدْ لازمَني ... وأينَ مِنْهُ الهَرَبُ

18

قال عبد الرحيم البرعي يمدح إبراهيم بن محمد الحكمي رضي الله عنه:

إلى صارِمِ الدِّينِ الفَتى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... رَمَتْ بي مَقاديرٌ جرَتْ وخُطُوبُ[1]
وحطَّتْ بيَ الآمالُ في خَيْرِ مَنْزِلٍ ... لَدى خَيْرِ مَنْ يأْوي إليهِ أدِيبُ
فوافَيْتُ أعْلى النَّاسِ نَفْساً ومَنْصِباً ... وأخْصَبَ رَبْعاً والزَّمانُ جَدِيبُ[2]
فَتًى سِرُّ تَوْحِيدِ الإلٰهِ وسَيْفُهُ ... بِهِ العَيْشُ يَحْلُو والزَّمانُ يَطيبُ
هُوَ الكَوْثَرُ الفَيَّاضُ في آلِ فارِحٍ ... أغَرُّ يُنادي لِلنَّدى فَيُجِيبُ[3]
غَمامٌ يَعُمُّ الخَلْقَ ظِلاً ونائِلاً ... لِكُلٍّ مِنَ الرَّاحينَ فيهِ نَصيبُ
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زائِراً ... وشانِي وُقيتَ الشَّانِئِينَ عَجيبُ[4]
أُؤَمِّلُ مِنْكَ البِرَّ والبِرُّ واسِعٌ ... وأرْجو نَداكَ الجَمَّ وهُوَ قَريبُ[5]
فَقُمْ بي وعامِلْني بِما أنْتَ أهْلُهُ ... فإنَّ رَجائي فيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
وصُنْ ماءَ وَجْهي عَنْ زَمانٍ مُعانِدٍ ... وصِلْ حَبْلَ أُنْسي والغَريبُ غَريبُ
ودُمْتَ مَنارَ الدِّينِ ما لاحَ بارِقٌ ... وما اهْتَزَّ غُصْنٌ في الأراكِ رَطيبُ

(1) الصارم: السيف.
(2) جديب: مقفر لاخير فيه.
(3) الكوثر: نهر في الجنة.
(4) الشانئين: المبغضين، مفرده شانىء.
(5) الجمّ: الكثير.

ولا زِلْتَ مأمولي وغَوْثي ونُصْرَتي ... على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنوبُ

19

قال ابن عربي يصف علاقة المخلوق مع الخالق ﷻ:

جلَّ الإلٰهُ فَما تُحصى مَعارِفُهُ ... وَلا عَوارِفُه وَلا مَواهِبُهُ[1]
وَلَنْ يُصاحِبَهُ مِنْ خَلْقِهِ أحدٌ ... لَكِنَّهُ اللَّهُ في المشروعِ صاحِبُهُ
وَمَنْ يَكونُ بِهذا الوَصْفِ فارضَ بِهِ ... رَبّاً فإنَّكَ بالبُرهانِ كاسِبُهُ
واعْلَمْ بأنَّكَ مَجْبُورٌ على خَطَرٍ ... فِي خَرْجِ ما أَنْتَ بالرَّحْمٰنِ واهبُهُ[2]
فَمَنْ يُوافِقُكُمْ فَأَنْتَ شاكِرُهُ ... وَمَنْ يُخالِفْكُمُ فَما تُطالِبُهُ
لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ ما عِنْدَهُ خَبَرٌ ... فاللَّهُ طالِبُهُ ما أَنْتَ طالِبُهُ
لَوْلا الوُجُودُ ولَوْلا سِرُّ حِكْمَتِهِ ... ما كانَ لِي أَمَلٌ فِيمَنْ أُصاحِبُهُ
إنِّي خَصيصٌ لِما أولِيهِ مِنْ كَرَمٍ ... إنِّي خَسيسٌ لِجانٍ إذ أُعاقِبُهُ
العَفْوُ أَوْلى بِنا إنْ كُنتَ ذا كَرَمٍ ... فإنَّني عارفٌ بِمَنْ أُراقِبُهُ[3]
الخَلقُ مِنْ خَلْقِ أَشْفَتْ مَكانَتُهُ ... ولا يُجانِبُني إذا أُجانِبُهُ
لِعِلّةٍ ولِجَهْلٍ قامَ بِي فأَنا ... لِلْجَهْلِ في المَنْعِ أنْسى إذْ أُعاتِبُهُ
فاللَّهُ يَغْفِرُ لِي ما قَدْ جَنَتْهُ يَدي ... مِمَّا يَكُونُ لَهُ مِمّا أقارِبُهُ
فالجَهْلُ غالَبْتُهُ والجَهْلُ مِنْ شِيَمِي ... وَما يُغالِبُني إذا أُغالِبُهُ
إنِّي عَجِبْتُ لِمَنْ قَدْ قالَ مِنْ عَجَبٍ ... اللَّهُ مَنْ كَثُرَتْ فِينا أُعاجِبُهُ

(1) مواهبه: عطاياه.
(2) مجبور: مقهور، وفي الاصطلاح: إسناد فعل العبد إلى الله.
(3) أراقبه: الترقب والانتظار.

20

قال الشاب الظريف في مطلع إحدى مدائحه:

لـي مـن هـواكَ بـعـيـدُه وقـريـبُـهُ ... ولـك الـجـمـال بـديـعُـهُ وغـريـبُـهُ
إنْ لـم تـكُـنْ عـيـنـي فـإنَّـك نـورُهَـا ... أو لـم تـكُـنْ قـلـبـي فـأنـتَ حـبـيـبُـهُ
هـلْ حُـرمـةٌ أو رحـمـةٌ لـمـتـيَّـم؟ ... قـد قـلَّ فـيـكَ نـصـيـرهُ ونـصـيـبُـهُ
أَلِـفَ الـقـصـائـدَ فـي هـواكَ تـغـزُّلاً ... حـتـى كـأنَّ بـكَ الـنـسـيـبَ نـسـيـبُـهُ
هـبْ لـي فـؤاداً بـالـغـرام تـشـبُّـه ... واسْـتَـبْـقِ فَـوْداً بـالـصُّـدودِ تُـشِـيْـبُـهُ
والـنـجـمُ أقـربُ مـن لـقـاكَ مـنـالُـهُ ... عـنـديْ وأبـعـدُ مـن رضـاكَ مـغـيـبُـهُ
لـم يـبـقَ لـي سـرٌّ أقـولُ، تُـذيـعُـهُ ... عـنِّـي، ولا قـلـبٌ أقـولُ تـذيـبُـهُ

21

قال ابن نباتة يمدح المؤيد:

عوّضْ بكأسِكَ ما أتلفتَ من نَشَبِ ... فالكأسُ من فضةٍ والراحُ من ذهبِ (1)
واخطبْ إلى الشُّربِ أمَّ الدَّهرِ إن نُسبت ... أختَ المسرةِ واللَّهوِ، ابنةَ العنبِ
غرَّاءُ حاليةُ الأعطافِ تخطرُ في ... ثوبٍ من النُّورِ أو عقدٍ من الحببِ (2)
عذراءُ تُنجزُ ميعادَ السرورِ فما ... تُومي إليكَ بكفٌ غيرِ مختضبِ
مَصُونةٌ تجعلُ الأستارَ ظاهرةً ... وجنةٌ تتلقي العينَ باللَّهبِ
لو لم يكُنْ مِنْ لِقاها غيرُ راحَتنا ... مِنْ حرفةِ المتعبين العقلِ والأدبِ
فهاتِ واشربْ إلى أن لا يبينَ لنا ... أنحنُ في صعدٍ نستنُّ أمْ صببِ (3)
خَفَّتْ فلو لم تُدرْها كفُّ حامِلِها ... دارَتْ بلا حاملٍ في مجلسِ الطربِ

---

(1) النَّشَب: المال.
(2) الحبب: الفقاقيع على وجه الماء.
(3) نستنُّ: نسلُكُ ونسير.

يـا حـبـذا الـراحُ لـلأرواحِ سـاريـةً ... تقضي بسعدِ سَراها أنجمُ الحببِ
مـن كـفّ أغـيـدَ تـروي عـن شـمـائـلِـهِ ... عن خدِّهِ المشتهَى عن ثغرهِ الشَّنِبِ[1]
عـلـقـتُـهُ مِـنْ بـنـي الأتـراكِ مـقـتـربـاً ... مِنْ خاطِري وهوَ منِّي غيرُ مقتربِ
حـمـالـةُ الـحـلْـي وَالـديـبـاجِ قـامـتُـهُ ... تبَّتْ غصونُ الرُّبَا حمالةُ الحطبِ
يا تـالـيَ الـعـذَلِ كـتـبـاً فـي لـواحـظِـهِ ... الـسـيـفُ أصـدقُ أنـبـاءً مـنَ الـكـتـبِ
كـمْ رمـتُ كـتـمَ الـجـوى فـيـهِ فـنـمَّ بـهِ ... إلى الـوُشـاةِ لـسـانُ الـمـدمَـعِ الـسـربِ
جـادتْ جـفـونـي بـمـحـمرّ الـدُّمـوعِ لـهُ ... جـودَ الـمـؤيـدِ لـلـعـافـيـنَ بـالـذَّهـبِ
شـادَتْ عـزائـمُ إسـمـاعـيـلَ فـاتـصـلـتْ ... قـواعـدُ الـبـيـتِ ذِي الـعـلـيـاءِ والـرُّتـبِ
مـلـكٌ تُـدُلُّـكَ فـي الـجـدوى شـمـائِـلـهُ ... عـلـى شـمـائـلِ آبـاءٍ لـهُ نُـجـبِ
مـحـجَّـبُ الـعـزِّ عـن خـلـقٍ تـحـاولـهُ ... وجـودُ كـفَّـيـهِ بـادٍ غـيـرُ مـحـتـجـبِ
قد أتعبَ السيفَ من طولِ القرَاعِ به ... فـالـسـيـفُ في راحـةٍ منـهُ وفي تـعـبِ
هـذا وَلـلـحـلـمِ مَـعـنًـى فـي خـلائِـقِـهِ ... لا تـسـتـطـيـلُ إلـيـهِ سَـوْرَةُ الـغـضَـبِ[2]
يُغضيْ عن السببِ المردي بصاحِبهِ ... عفواً ويُعطي العَطا جَماً بلا سَببِ
ويحفظُ الدّين بالعلمِ الذي اتضحَتْ ... ألـفـاظُـهُ فـيـهِ حـفـظَ الأفْـقِ بـالـشُّـهـبِ
يَـمِّـمْ حِـمـاهُ تـجـدْ عـفـواً لـمـقـتـرِفٍ ... مـالاً، لـمـفـتـقـرٍ جَـاهـاً، لـمـقـتـربِ
ولا تطع في السُّرى والسيرِ ذا عذَلٍ ... واسجُد بذاكَ الثرَى الملثومِ واقتربِ[3]
وعذْ منَ الخوفِ والبؤسى بذي هِمَمٍ ... لـلـمَـدْحِ مـجـتـلـبٍ لـلـذمِّ مـجـتـنِـبِ
ذاكَ الكريمُ الذي لوُ لـمْ يَجدْ لكفَتْ ... مـدائـحٌ فـيـه عـنـدَ الـلَّـهِ كـالـقـرُبِ
نـوعٌ مـنَ الـصـدقِ مرفـوعُ المنـارِ غداً ... في الصالحاتِ من الأعمالِ في الكتبِ
وواهـبٌ لـو غـفـلـنـا عـنْ تـطـلُّـبِـهِ ... لـجـاءَنـا جُـودُهُ الـفـيـاضُ في الطَّـلـبِ
أسـدى الـرغـائـبَ حـتـى مـا يـشـارِكُـهُ ... في لفظِها غيرُ هذا العشرِ من رجبِ

(1) الأغيد: المتثنِّي في نعومة.

(2) سورة الغضب: شدَّته وهياجه.

(3) العذل: اللَّوم.

واعتادَ أن يهبَ الآلافَ عاجلةً ... وإنْ سرَى لألوفِ الجيشِ لم يَهبِ
كمْ غارةٍ عن حمى الإسلامِ كَفكَفَها ... بالضَّربِ والطَّعنِ أو بالرُّعبِ والرّهبِ
وغايةٍ جازَ في آفاقِها صُعُداً ... كأنما هُوَ والأسراعُ في صَببِ
ومرملٍ ينظرُ الدُّنيا على ظمإٍ ... مِنها ويطوي الحشَا ليلاً على سَغبِ
نادتهُ أوصافهُ اللاتي قدِ اشْتهرَتْ ... لِمَ القعودُ على غيرِ الغِنى فَثبِ
فقامَ يعملُ بينَ الكثبِ ناجيةً ... كأنّما احتملتْ شيئاً مِنَ الكتبِ
حتى أناخَتْ بمغناهُ فقالَ لها ... يا وصلةَ الرِّزقِ هذي فِرقَةُ التَّعبِ
لا عيبَ في ذلكَ المغنى سوى كرمٍ ... يسلو عَنِ الأهلِ فيهِ كلُّ مغتربِ
كَم ليلةٍ قالَ لي فيها ندى يدِهِ ... يا أشعرَ العربِ امدحْ أكْرمَ العرَبِ
فصبَّحتْهُ قوافيَّ التي بُهرَتْ ... بخرَّدٍ مثلِ أسرابِ المها عُرُبِ(1)
ألبستهُ وشيَهَا الحالي وَألبسَني ... نوالَهُ وشيَ أثوابِ الغِنى القُشُبِ(2)
فرُحتُ أفخرُ في أهلِ القريضِ بهِ ... وراحَ يفخرُ في أهلِ السّيادَةِ بي(3)
يا ابنَ الملوكِ الأولى لَوْلا مهابتهُمْ ... وجودُهم لمْ يطعْ دهرٌ ولم يَطبِ
الجائدِينَ بما نالتْ عزائمهُمْ ... والطاعنينَ الأعادي بالقَنا السلبِ
والشائدينَ على كيوانِ بَيْتَ على ... تغيبُ زهرُ الدَّرَاريْ وهْوَ لمْ يغِبِ
بيتٌ من الفخرِ شادوهُ على عُمدٍ ... وبالمجرَّةِ مدُّوهُ على طنبِ(4)
للَّهِ أنتَ فمَا تُصغي إلى عَذَلٍ ... يومَ النَّوالِ ولا تلوي على نشبِ
أنشأتَ للشعرِ أسباباً يقالُ بهَا ... وهلْ تنظَّمُ أشعارٌ بلا سَببِ
أنتَ الذي أنقَذَتْنِي من يَدَي زمني ... يدَاهُ من بعد إشرافي على العطَبِ
أجابني قبلَ أنْ ناديتُ جودُكَ إذْ ... ناديتُ جودَ بني الدُّنيا فلم يجبِ
فإنْ يكُنْ بعضُ إمداحِ الورى كذِباً ... فإنَّ مَدحكَ تكفيرٌ من الكَذِبِ

---

(1) خرَّد: جمع خريدة وهي الفتاة العذراء التي لم تُمس.

(2) القشب: جمع قشيب وهو الجديد من كل شيء.

(3) القريض: الشعر.

(4) الطنب: حبلٌ يشدُّ به الخباء.

22

قال الشاب الظريف يذمُّ الزمان وأهلَهُ، ويفخرُ بنفسه:

لَيتَ الليالي التي أولَتْ بَشاشتَها ... إنْ لم تُدم هبةَ اللذَّاتِ لم تُهبِ
مَا بالُها غلبَتْ حُزني على فرحِي ... وَألقتِ الجدَّ بين النُّجحِ والطَّلبِ
مَا اختصَّ بي حادثٌ منْها فأغبنهَا ... كذاكَ شيمتُهَا في كلِّ ذِي أدبِ
مالي وللشعراءِ المنكِرِي شَرفي ... وَفوقَ دُرِّهمُ ما تحتَ مخشلبي[1]
إنْ غِبتُ عنهمْ تباهُوا في قصائِدهِمْ ... بغيبةِ الشمسِ تبدو زيْنَةُ الشُّهُبِ

23

قال صفي الدين الحلّي:

تَراءَتْ لَنا، بينَ الأكِلّةِ والحُجبِ، ... فَتاهَ بِهَا طَرْفي، وهَامَ بِهَا قَلبي
وأعجَبُ شيءٍ أنَّها مُذْ تَبرّجَتْ ... رأتْ حُسنَها عَيني، ولم يَرها صَحبي[2]
تَلَقّيتُها بالرّحبِ منّي كَرامَةً، ... ومنها تَعَلّمنا التّلَقّي بالرَّحبِ
عَجبتُ لمَسْرَاها، وأُعجبتُ باللّقا، ... فَيا عَجَبي ممَّا رأيتُ، ويا عُجبي
غَزالَةُ سِربٍ كُنتُ أخشَى نِفارَها، ... فأصبَحتُ مع فَوزي بها آمِنَ السِّربِ
خَفَضتُ جَناحَ الذُّلِّ رَفعاً لقَدرِها، ... فأوجبَ ذاكَ الخفضُ رَفعي عن النَّصبِ
وَناجَيتُها فيما أُحبُّ سَماعَهُ، ... مُشافَهَةً، لا بالرسائلِ والكُتبِ
لقَد أصبَحَتْنَا من مُدامِ خطابِها، ... وما قُلتُ إلحاحاً علَيها: ألاَ هُبّي[3]

---

(1) المخشلب والمشخلب: هما لفظتان للنبط فيما يشبه الدرر من حجارة البحر وليس بدر، أو هو على شكل خرز أبيض يشابه اللؤلؤ يخرج من البحر وهو أقل قيمة منه. وردت هذه اللفظة في شعر المتنبي وقد أهملها الجوهري.

(2) تبرَّجت: تزينت وأظهرت زينتها.

(3) يشير إلى قول عمرو بن كلثوم: ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا.

حمَلتُ الظَّمَا شَوقاً إلَيها، فسَاقَني إلى عَينِ تَسنيمِ أدَمتُ بها شُرْبي[1]
عَلِمْتُ بها ما كنتُ أجهَلُ عِلمَه، وكُنتُ بها أُنبأ فصِرتُ بها أُنبي[2]
كَسَتني منَ العِزِّ المُقيمِ مَلابِساً حِساناً ولم تَقصِد بذاكَ سِوى سَلبي
وأصبَحَ مَوتي كالحَياةِ بوَصلِها، فإن غِبتُ كان البُعدُ في غايةِ القُربِ
وكَمْ جَعَلَتْ منّي عليَّ طَليعَةً، فعَيني لها في ذاكَ عَينٌ على قَلبي
فكلٌّ يَرى شَمساً من الشَّرقِ أشرَقتْ، وتُشرِقُ شَمسُ العارفينَ من الغَربِ
فيا حَضرَةَ القُدسِ التي مُذ شَهِدتُها تَيَقَّنَ قَلبي بالوصولِ إلى رَبِّي
حنانَيكِ قد أشهَدتني كلَّ واجبٍ عليَّ، فلي من ذاكَ شُغلٌ عن النَّدبِ
فأنتِ لَنا قُطبٌ علَيهِ مَدارُنا، وأيُّ رَحًى أضحَتْ تدورُ بلا قُطبِ[3]

24

قال ابن نباتة في قصيدة يمدح فيها المؤيد ويستدرُّ عطاءه:

بالغْتَ في شَجني وفي تَعْذيبي وَمعَ الأذى أفديكَ من محبوبِ
يا قاسياً هَلاَّ تعلَّمَ قلبُهُ لينَ الصّبا من جسمهِ المشروبِ
آهاً لوردٍ فوقَ خدِّكَ أحمرٍ لو أنَّ ذاكَ الوردَ كانَ نصيبي
ولواحظٌ ترِثُ الملاحةَ في الظُّبا إرْثَ السماحةِ في بني أيوبِ
فتحَتْ بنو أيوبَ أبوابَ الرَّجا وأتتْ بحارُهمو بكلِّ عجيبِ
وَبملكهِمْ رفعَ الهدى أعلامَهُ وَحمى سُرادقَ بيتهِ المنصوبِ[4]
وإلى عمادِهمُ انتهتْ علياؤُهمْ وإلى العلاءِ قدِ انتهتْ لنجيبِ

---

(1) تسنيم: عين ماء في الجنة.

(2) أنبي: أي أخبِر.

(3) الرحىٰ: أداة يُطحن بها، وهي حجران مستديران يوضع أحدهما فوق الآخر ويُدارُ الأعلى على قطب.

(4) السرادق: كلُّ ما أحاط بشيء من حائط أو مِضرَب.

مــلــكٌ بــأدنــى ســطــوِه ونــوَالــهِ أنــســى نــدى هــرمٍ وبــأسَ شــبــيــبِ
الـجـودُ مـلءُ مـطـامـعٍ والـعـلـمُ مـلءُ مـسـامـعٍ والـعـزُّ مـلءُ قـلـوبِ
أَلِـفـتْ بـأنـبـوبِ الـيـراعـةِ وَالـقـنـا يـمـنـاهُ يـومَ نـدًى ويـومَ حـروبِ
فـإذا نـظـرتَ وجـدتَ أرزاقَ الـورى ودمَ الـعـداةِ يـفـيـضُ مـن أُنـبـوبِ
كَـم مِـدحـةٍ لـي صُـغـتـهـا وَأثـابـهـا فـزَهـتْ عـلى التفضيضِ والتذهيبِ
وَتـعـوَّدتْ فـي كـلِّ مـصـرٍ عـنـده مـرعـى يـقـابـلُ جـدبَـهـا بـخـصـيـبِ
يـا رُبّ بـشـرٍ مِـنـهُ طـائـيُّ الـنـدَى يـلـقـى مَـدائـحـنَـا لـقـاءَ حـبـيـبِ

25

يقول الشاب الظريف ذاكراً العرب ومشيراً إلى انتمائه ومحبته لهم:

قِف بِـالـرَّكـائـبِ أو سُـقْـهـا بـتـرتـيـبِ عـسـى تـسـيـرُ إلـى الـحـيِّ الأَعَـاريـبِ
واسأل نـسـيـمـاً ثَـفـتْ أعـطـافـنـا أصلا مِنْ أينَ جاءتْ؟ ففيها خمرةُ الطِّيبِ[1]
يـا ربـةَ الـهـودجِ الـمـحـمـيِّ جـانِـبُـه إِلامَ حـبُّـكِ يُـغـريـنـي ويُـغـري بـي[2]

26

قال شهاب الدين محمود[*] يمدح الملك الأشرف صلاح الدين خليل بمناسبة فتحه مدينة عكا:

(1) ثفى الشيء ثفياً: جاء على أثره ـ أعطافنا: جمع عِطف: وعِطفُ كلِّ شيءٍ جانبه ـ أصلاً: جمع أصيل.

(2) الهودج: أداة ذات قبة توضع فوق الجمل لتركب فيها النساء.

(*) الشهاب محمود 644ـ 725هـ: هو شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد بن محمود، ولد بدمشق سنة 644هـ وتلقى ثقافته فيها، واتصل بمشاهير علماء عصره، ولازم ابن الظهير وسلك طريقته في النظم والكتابة وبرع فيهما، كما برع في الأدب والفقه.

تولى الكتابة في ديوان الإنشاء بدمشق وهو في الثلاثين من عمره تقريباً، واستمر في هذا المنصب حتى سنة 692هـ، ثم انتقل إلى مصر وكتب هناك في ديوان الإنشاء، ثم عاد إلى دمشق وولي كتابة السر فيها حتى وافته المنية سنة 725هـ ودفن في سفح جبل قاسيون. كان الشهاب محمود حسن =

الحمدُ لِلَّهِ زَالتْ دولةُ الصُّلُبِ | وعَزَّ بالتُّرْكِ دِينُ المصْطَفى العَربي
هَذا الذي كانتِ الآمَالُ لو طَلَبتْ | رُؤياهُ في النومِ لاستحْيَتْ مِنَ الطَّلَبِ
ما بَعْدَ عَكَّا وقد هُدَّتْ قواعِدُها | في البحرِ للشِّرْكِ عندَ البَرِّ من أرَبِ[1]
عقيلةٌ ذَهبَتْ أيدي الخطوبِ بِهَا | دَهراً وشَدَّتْ عليها كَفُّ مُغْتَصَبِ
لم يبقَ مِنْ بعدِها للكُفرِ إذ خَرِبَتْ | في البرّ والبحرِ ما يُنْجي سِوَى الهَرَبِ
كَم رامَهَا ورَماها قبلَه مَلِكٌ | جَمُّ الجيُوشِ فلمْ يظفرْ ولم يُصِبِ
لم تُرْضِ هِمَّتَهُ إلا الذي قَعَدَتْ | للعجْزِ عنهُ ملوكُ العُجْمِ والعَرَبِ
ليثٌ أبَى أنْ يردَّ الوجهَ عن فِرَقٍ | يدعونَ رَبَّ الوَرَى سبحانَهُ بأبِ
لم يُلْهِهِ مُلكهُ بلْ في أوائِلِهِ | نالَ الذي لم يَنلْهُ الناسُ في الحِقَبِ[2]
فَأصبحَتْ وَهيَ في بحرَيْنِ مَاثلةً | ما بين مضطَرِمٍ ناراً ومضطَرِبِ
جيشٌ من التُّرْكِ تَرْكُ الحربِ عندهُمُ | عارٌ وراحتُهم ضَرْبٌ من الوَصَبِ[3]
تَسَنَّموها فلم يَتْرُكْ تَسَنُّمُها | في ذلكَ الأُفقِ بُرْجاً غيرَ مُنْقَلِبِ
يا يومَ عَكّا لقد أنسيتَ ما سَبَقَتْ | بهِ الفتوحُ وما قد خُطَّ في الكُتُبِ
لم يَبْلُغِ النُّطْقُ حَقَّ الشُّكْرِ فيكَ فما | عسَى يقومُ بهِ ذُو الشِّعْرِ والخُطَبِ
كانت تُمنَّى بِكَ الأيامُ من أممٍ | والحمد لله شاهَدْنَاكَ عن كَثَبِ
أغضبتَ عُبَّادَ عيسى إذ أبدتَهُمُ | لِلَّهِ أيُّ رِضاً في ذلك الغضبِ
وأطْلعَ اللَّهُ جيشَ النَّصرِ فابتدرتْ | طلائعُ النَّصرِ بين السُّمْرِ والقُضُبِ[4]
وأشرفَ المصطفى الهَادي البشيرُ على | ما أسلفَ الأشرفُ السلطانُ من قربِ

= الخُلق، وكان عالماً متواضعاً، وقد برع في الشعر وفاق أقرانه، وقد مدح السلاطين ورجالات الدولة في عصره. له كتاب (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) و(مقامة العشاق) و(منازل الأحباب ومنازه الألباب).

(1) الأرب: الغاية والأمنية.

(2) الحقب: جمع حقبة: وهي المدّة الطويلة أو السنة.

(3) الوصب: الوجع والمرض والتعب.

(4) السمر: الرماح ـ القضب: جمع قضيب، وهو السيف القاطع.

فَقَرَّ عَيْناً بهذا الفتحِ وابتهجتْ ... بفتحهِ الكعبةُ الغرّاءُ في الحُجُبِ
وسارَ في الأرضِ سَيْرَ الرِّيحِ سُمْعَتُهُ ... فالبَرُّ في طَرَبٍ والبحرُ في حَرَبِ
وخاضَتِ البيضُ في بحرِ الدماءِ وما ... أبدتْ من البيضِ إلا ساقَ مختضبِ[1]
وخاضَ زُرْقُ القَنا في زُرْقِ أعينِهِم ... كأنَّهَا شُطُنٌ تهوي إلى قُلُبِ[2]
توقَّدَتْ وَهْي تُرْوَى في نحورِهِمُ ... فزادَهَا الريُّ في الإشراقِ وَاللَّهَبِ
أَجْرَتْ إلى البحرِ بحراً من دمائِهِمُ ... فَراحَ كالراحِ إذ غرقاهُ كالحَبَبِ
وذابَ من حرِّها عنهُمْ حديدُهُمْ ... فَقَيَّدتْهُمْ بِهَا رُعْباً يَدُ الرَّهَبِ
كَم أبرزَتْ بَطلاً كالطَّوْدِ قَدْ بطلتْ ... حواسُهُ فَغدَا كالمنزِلِ الخرِبِ
كَأَنَّهُ وَسِنانُ الرمحِ يطلُبُهُ ... برجٌ هَوَى ووراهُ كوكبُ الذَّنبِ
بُشْراكَ يا مَلِكَ الدُّنيا لقد شَرُفَتْ ... بكَ المماليكُ واستعلَتْ على الرُّتَبِ
ما بَعْدَ عكَّا وقد لانَتْ عريكَتُها ... لدَيْك شيءٌ تلاقيْهِ على لَغَبِ[3]
فانهضْ إلى الأرضِ فالدُّنيا بِأجمعِهَا ... مَدَّتْ إليكَ نواصِيهَا بِلا نَصَبِ
كَم قَدْ دَعَتْ وَهْي في أسْرِ العِدا زمناً ... صِيْدَ الملوكِ فلم تُسمَعْ ولم تُجَبِ[4]
أتيتَها يا صلاحَ الدينِ معتقداً ... بأنَّ ظنَّ صلاحِ الدينِ لم يَخِبِ
أدركتَ ثأرَ صلاحَ الدينِ إذ غضبت ... منهُ لسرٍّ طَواهُ اللَّهُ في اللَّقبِ
وَجِئتَها بِجيوشٍ كالسُّيولِ على ... أمثالِهَا بينَ آجامٍ من القُضُبِ[5]
وحُطْتَها بالمجانيقِ التي وقفتْ ... إزاءَ جُذْرانِهَا في جَحفلٍ لَجِبِ[6]
مرفوعةً نَصَبُوا أضعافَها فغَدا ... للكَسْرِ والحَطمِ منها كلُّ منتَصِبِ
وَرُضْتَها بنقوبٍ ذلَّلت شمماً ... منها، وأبْدَتْ مُحَيَّاهَا بلا نُقُبِ

---

(1) البيض: جمع أبيض وهو السيف.
(2) الشطن: الحبل الطويل يستقى به من البئر.
(3) اللَّغب: التعب والإعياء.
(4) الصيد: جمع أَصْيَد: كل ذي حولٍ وطولٍ من ذوي السلطان.
(5) الآجام: جمع أَجَمة: الشجر الكثيف الملتف.
(6) المجانيق: جمع منجنيق.

وغنَّتِ البيضُ في الأعناقِ فارْتَقَصَتْ أبراجُها لَعِباً منهُنَّ باللُّعَبِ
وخَلَّفتْ بالدَّمِ الأسوارَ فابتهجَتْ طيباً وَلَوْلاَ دِماءُ الموتِ لَمْ تَطِبِ
ظَنُّوا بروجَ البيوتِ الشُّمِّ مَعْقِلَهُمْ فاستَعْقَلتْهُم ولم تُطْلِقْ ولم تَهَبِ
فَأحرَزَتْهم ولكنْ للسيوفِ لِكَي لا يَلتجيْ أَحَدٌ منهُمْ إلى الهربِ
وَجالَتِ النَّارُ في أرجَائِهَا وعَلَتْ فأطفأتْ ما بِصَدرِ الدِّينِ مِنْ كُرَبِ
وَأَقْلَتَ البَحرُ مِنْهُمْ مَنْ يُخَبِّرُ مَنْ يلقاهُ مِنْ قومِهِ بالويْلِ والحَرَبِ
عَلا بِكَ المُلْكُ حتى إنَّ خيمتَهُ على الثُّرَيَّا غَدَتْ ممدُودَةَ الطُّنُبِ[1]
فَلا بَرِحْتَ عزيزَ النَّصرِ مبتَهِجاً بكلِّ فَتْحٍ مبينِ المنْحِ مُرتَقَبِ

27

قال شرف الدين الأنصاري(*) يمدح الملك الناصر بن العزيز الأيوبي صاحب حلب:

بِكَ افتخرَ الأملاكُ من آلِ أيُّوبِ وَعندَكَ نَالوا في العُلا كلَّ مَطلُوبِ
كفيتَهُمُ الأحْدَاثَ طِفْلاً ويافِعاً تُبيْدُ عَدُوّاً أو تجودُ بموهوبِ
فَكَمْ مُلْكَ جَبَّارٍ سَلَبْتَ بِجَحْفَلٍ يُوَسِّعُ بالإقدامِ ضَنْكَ الأسَاليبِ[2]

(1) الثريا: مجموعة من النجوم في السماء ـ الطنب: حبل يشدُّ به الخباء.

(*) شرف الدين الأنصاري 586ـ 662هـ: هو عبد العزيز بن محمد بن خلف الدمشقي، شاعر من شعراء حماة؛ لقب بالصاحب، وشيخ الشيوخ، وانتسب إلى الأوس من الأنصار. ولد بدمشق سنة 586هـ وسكن حماة واستكمل علومه فيها، وسمع الحديث وتفقه، واتجه إلى الأدب فأتقنه. وكانت بيئة حماة العلمية مزدهرة في عهد الملوك الأيوبيين ولا سيما في عهد الملك المنصور الأول. صحب والده فزار بغداد وغيرها وسمع فيها عن مشاهير علمائها وعاد إلى بلاد الشام وتنقل في أرجائها، وأثر عنه أنه حدّث بدمشق وحماة والقاهرة. وزار بعلبك وأقام بها وقتاً قصيراً، وعقد فيها بعض الصداقات، ثم رجع إلى حماة واستقر فيها نهائياً، ولقي فيها الرعاية والتشجيع من ملوكها حتى نبه شأنه وعلت منزلته فأصبح يدعى بشيخ شيوخ حماة إلى جانب والده الذي كان قاضي قضاتها.

(2) الجحفل: الجيش الكبير ـ الأساليب: الطُرُق، مفردها أسلوب.

وَدَهْيَاءَ فـي يـومِ عـصـيـبٍ أَدَرْتَـهَـا ... على رأسِ مَلْكٍ فيهِ بالتاجِ معصُوبِ[1]
ومـا عَـرِفَـتْ تُـرْكُ الأعَـاجِـمِ ذِلَّـةً ... لـغـيـرِكَ مُـذْ حَـلَّـتْ بـلادَ الأعَـارِيـبِ
بَـرزْتَ لـنـا يـا يـوسـفُ بـنَ مـحـمَّـدٍ ... فـخِلْنـا ابنَ أيوبٍ بَدا وابنَ يعقوبِ
جـلالـةُ مُـلْـكٍ فـي جَـمَـالِ نُـبُـوَّةٍ ... لأزهـرَ مَـرْجُـوٍّ الـعـواطِـفِ مـرهـوبِ
جِـهـادٌ إلـى أهـلِ الـمـحـاريـبِ مُـحْـسِـنٌ ... وَحُسْنٌ بهِ تُسْبَى الدُّمَى في المحارِيبِ
لـكَ الـلَّـهُ مـن مَـلْـكٍ كـريـمٍ مـؤيَّـدٍ ... مِنَ اللَّهِ مَحْبُوٍّ الـمـهَـابَـةِ محبوبِ
تـجـولُ الأمـانـي والـمـنـايـا فَـتَـنْـتَـهـي ... إلـى أمـرِهِ فـي كـلِّ بِـشْـرٍ وتَـقـطـيـبِ
نَظَمْتُ الدَّراريَ فيكَ لا الدُّرَّ مِدْحَةً ... لأنَّـكَ بـحـرٌ زاخِـرٌ بـالأعَـاجـيـبِ
وأرْسَـلـتُ مـكـتُـوبـي إلـيْـكَ مـسـلِّـمـاً ... وبِالـرَّغـمِ مِـنِّـي أنْ بَـعَـثْـتُ بـمـكـتـوبـي

28

قال الشاب الظريف يفتخر بالعرب ويعتزُّ بانتمائه إليهم:

قـومٌ هُـمُ الـعَـرَبُ الـمـحـمـيُّ جـارُهُـمُ ... فـلا رعَـى الـلَّـهُ إلا أوجُـهَ الـعَـرَبِ
أعـزُّ عـنـدَي مـنْ سَـمـعِـي ومـنْ بَـصـرِي ... وَمِـنْ فـؤادي وَمِـنْ أَهْـلـي ومِـنْ نَـسَـبـي
لَـهُـمْ عـلـيَّ حـقـوقٌ مُـذْ عـرَفْـتُـهُـمُ ... كـأنَّـنِـي بَـيْـنَ أمٍ مـنـهُـمُ وأبِ
إنْ كـانَ أحـسنُ مـافـي الـشـعـرِ أكـذَبُـهُ ... فـحُـسْـنُ شـعـريَ فـيـهِـمْ غـيرُ ذِي كَـذِبِ
يَـا سَـاكِـنـي طـيـبـةَ الـفـيـحـاءِ هَـلْ زمـنٌ ... يُـدْني الـمـحـبَّ لـنـيـلِ الـحـبِّ والأرَبِ
أرضٌ مَـعَ الـلَّـهِ عـيـنُ الـشـمـسِ تـحـرِسُـهَـا ... فَـإنْ تـغِـبْ حَـرَسَـتْـهَـا أعْـيُـنُ الـشُّـهُـبِ

29

قال ابن نباتة في قصيدة يمدح فيها المؤيد:

مَا ضَرَّ مَن لمْ يجِدْ في الحبِّ تعذِيبي ... لـو كـان يـحـمـلُ عـنـي هـمَّ تـأنـيـبـي

---

(1) الدهياء: المصيبة، الخطب الجلل.

أشكـو إلى اللَّـهِ عُـذَّالاً أُكَـابـدُهـم — وما يـزيـدُونَ قـلـبي غيـرَ تـشـبيـبِ[1]
وخـاطـرٍ خـنِـثِ الأشـواقِ تـعـجـبـهُ — سوالفُ التركِ في عطفِ الأعاريبِ
كـأنـني لـوجـوهِ الـغـيْـدِ معـتـكـفٌ — ما بينَ أصداغِ شعرٍ كالمحاريبِ[2]
كأنني الشمعُ لما باتَ مشتعلَ الـ — ـفـؤادِ قـالَ لأحـشـائي الأسى ذُوبي
لا يقربُ الصَّبرُ قلبي أَوْ يُفارِقُهُ — كـأنـهُ الـمـالُ في كـفِّ ابنِ أيُّـوبِ
لـولا ابنُ أيوبَ ما سِرنا لـمغتـرِبٍ — في الـمـكـرُماتِ ولا فُزْنـا بـمرغـوبِ
دَعـا الـمـؤيـدُ بـالـتـرغـيـبِ قـاصـدَهُ — فـلـو تـأخَّـرَ لاسـتـدعـى بـتـرهـيـبِ
مَـلِـكٌ إذا مـرَّ يـومٌ لاَ عـفـاةَ بـهِ — فـليسَ ذلكَ من عمرٍ بـمـحـسـوبِ
لـلـجـودِ والـعـلـمِ أقـلامٌ بـراحَـتِـهِ — تجري المقاصدُ منها تحتَ مكتوبِ
مجموعةٌ فيهِ أوصافُ الأولى سَلفوا — كـمـا تـتـرجَـمُ أخـبـارٌ بِـتـبـويـبِ
إذا تـسـابـقَ لـلـعـلـيـاءِ ذُوْ خَـطـرٍ — سَـعـى فـأدْركَ تـبـعـيـداً بـتـقـريـبِ
وإن أمـالَ إلى الـهـيـجـاءِ سُـمـرَ قـنـا — أجـرى دمـاءَ الأعـادي بـالأنـابـيـبِ[3]
قَد أقسمَ الجودُ لا ينفكُّ عنْ يدِه — إمَّـا لـعـافـيـهِ أو لـلـنـسـرِ والـذِّيـبِ
أمـا حِـمـاهُ فـقـدْ أضحى بـدولـتِـهِ — مـلاذَ كـلِّ قـصـيِّ الـدارِ مـحـروبِ
غـريـبـةُ الـبـابِ تُـقـري مـنْ ألـمَّ بِـهَـا — فـخـلِّ بـغـدادَ واتـرُكْ بـابَـهَـا الـنـوبي
وانـعـمْ بـوعـدِ الأمـاني عِـنـدَ رؤيـتـهِ — فـإنَّ ذلـكَ وعـدٌ غـيـرُ مـكـذوبِ
واعجبْ لأيدي جوادٍ قطُّ ما سئمَتْ — إنَّ الـبـحـارَ لآبـاءُ الأعـاجـيـبِ
كـلُّ الـعُـفـاةِ عـبـيـدٌ في صـنـايـعـهِ — ودارُ كـلِّ عـدوٍّ دارُ مـلـحـوبِ[4]
يَـا مـانِـحِي مـنـنـاً مـن بـعـدِهـا مِـنَـنٌ — كـالـمـاءِ يـتـبـعُ مـسـكـوبـاً بـمـسـكـوبِ
مَـنْ كـانَ يـلـزمُ مـمـدوحـاً عـلـى غـرَرٍ — فـمـا لـزِمْـتُـكَ إلا بَـعـدَ تـجـريـبِ

---

(1) تشبيب: نقول شبَّبْتُ بفلانة: تغزّلتُ بها ووصفت حسنها.

(2) الغيد: جمع غيداء وهي المتمايلة والمتثنية في لين ونعومة ـ أصداغ: جمع صُدْغ: وهو جانب الوجه من العين إلى الأذن.

(3) القنا: الرماح.

(4) العفاة: جمع العافي: وهو الضيف وكلُّ طالب حاجة.

أنت الذي نَبَّهتْ فِكري مدائحهُ وَدرَّبْتني والأشيا بتدريبِ
حتى أقمتُ قريرَ العينِ في دَعةٍ وذِكْرُ مدحِكَ في الآفاقِ يَسْرِي بي
مَدْحٌ يغارُ لمسودِّ المدادِ بهِ حمرُ الحلى وَالمطايا والجَلابيبِ

30

قال الشاب الظريف يمدح القاضي محي الدين بن النحاس:

دَعني وَشِعْري ومَنْ في جَفنِهِ مَرضي فَلَمْ يَزَلْ مرضُ الأجفانِ تَطبيبي
وخُذْ شَواهِدَ ما أمليْتُ مِنْ فِكَرٍ تُثْني عَليْكَ بملفوظٍ وَمكتوبِ
فالدُّرُّ يَحْسُنُ مثقوباً لناظِمِهِ وحُسنُ لفظِيَ دُرٌّ غيرُ مثقوبِ
وكلَّمَا قيْلَ: شِعرٌ أوْ يُقالُ فَمَا أراهُ إلا رَذاذاً مِنْ شَآبيبي[1]

31

قال ابن مطروح متضرِّعاً إلى الله أن يقبل توبته:

يَا أَيُّهَا الشَّامِخُ في قُرْبِهِ يَا أَيُّهَا الظَّاهِرُ في حُجْبِهِ
بِالبَابِ كَلْبٌ وَجِلٌ خَائِفٌ مِن طُولِ مَا أَسْلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ[2]
جَاءَكَ يَسْتَغْفِرُ مَا قَدْ جَنَى مُلْقىً مِنَ الذُّلِّ على جَنْبِهِ
وَهْوَ مَعَ الخوفِ شَديْدُ الرَّجَا فَأَنْتَ يَا مَولايَ أَوْلَى بِهِ
مُنَكَّسٌ من خَجَلٍ رأسَهُ باسِطٌ خدَّيْهِ على تُرْبِهِ
فَهَلْ لهُ غَيْرُكَ مِنْ رَاحِمٍ هَلْ يَرْحَمُ الْكَلْبَ سِوَى رَبِّهِ
وَهَلْ لهُ مِنْكَ طُمَأْنِينَةٌ تَدْخُلُ بالأَمْنِ على قَلْبِهِ؟

---

(1) الرذاذ: المطر الخفيف ـ والشآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر.
(2) وَجِلٌ: خائف.

32

قال البوصيري (*) في إحدى مدائحه للرسول الأعظم ﷺ:

أزمَعوا البَيْنَ وَشَدُّوا الرِّكابَا فاطلبِ الصَّبرَ وخَلِّ العِتابَا[1]
وَدَنَا التَّوديعُ مِمَّنْ وَدِدْنَا أنَّهُمْ دامُوا لَدَيْنَا غِضَابَا
فَاقْرِ ضَيْفَ البَيْنِ دمْعاً مُذالاً يَا أَخَا الوَجْدِ وقَلْباً مُذابَا[2]
فَمَنِ اللاَّئِمُ صَبّاً مَشُوقاً أنْ بَكَى أحْبَابَهُ والشَّبَابَا؟
إنَّمَا أغْرَى بِنا الوَجْدَ أَنَّا ما حَسَبْنَا لِفِراقٍ حِسَابَا
وَعُرَيْبٌ جَعَلُوا بالمُصَلَّى كلَّ قَلبٍ يَومَ سارُوا نِهابَا[3]
عَجَباً! كيفَ رَضُوا أنْ يَحلُّوا مِنْ قُلوبٍ أحْرَقوهَا قِبابَا؟
أضْحَتِ الأرضُ التي جاوَروهَا يَحْسُدُ العَنْبَرُ مِنْها الترابَا
لا تُكَذِّبْ خَبَراً أنَّ سَلْمَى سَحَبَتْ بالتُّرْبِ ذَيْلاً فَطابَا
وَكَسَتْهُ حُلَلَ الرَّوْضِ حَتَّى تَوَّجَتْ مِنْها الرُّبا وَالهِضَابَا
ابْتَسَمَتْ عَنْ مِثْلِ كَأْسِ الحُمَيَّا نَظَمَ الماءُ عليها حُبابَا[4]
سُمْتُها لَثْمَ الثَّنايَا، فقالَتْ: إنَّ مِنْ دُونِكَ سُبْلاً صِعابَا[5]
حَرَسَتْ عَقْرَبُ صُدْغَيَّ خَدِّي وَحَمَتْ حَيَّةُ شَعْرِي الرُّضَابَا[6]

(*) البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حمّاد بن تحسُّن بن أبي سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج البوصيري الدّلامي أبو عبد الله شرف الدين. ولد في إحدى قرى بهنسا في صعيد مصر سنة 608هـ وتوفي سنة 697هـ. عانى في حياته من الفقر والمرض، فارتحل إلى عدة مدن طالباً المال، فمدح الأمراء وأصحاب النفوذ، وقد اشتهر بشعره الديني، ولا سيما منه الذي يمدح فيه النبي ﷺ.

(1) أزمعوا: عزموا ـ الركاب: موضع رجل الراكب من السرج.

(2) أقر: أطعِم وأكرِم. مذالاً: مرسَلاً طويلاً.

(3) عريب: تصغير للعرب.

(4) الحميا: الخمر.

(5) سمتها: فاوضتها وطلبت منها.

(6) الصدغ: طرف الوجه من العين إلى الأذن ـ الرضاب: الرّيق العذب.

وَيْحَ مَنْ يَطْلُبُ مِنْ وَجْنَتَيَّ الـ … ـوَرْدِ، أَوْ مِنْ شَفَتَيَّ الشَّرابَا
حَقُّ مَنْ كانَ لـهُ حُبُّ سَلْمَى … شُغُلاً أَنْ يَسْتَلِذَّ العَذابَا
وَلِمَنْ يَمدَحُ خَيْرَ البَرايَا … أَنْ يَرَى الفَقْرَ عَطاءً حِسابَا
وَكَفانِي باتِّباعِي طَريقاً … رَغِبَ المُخْتارُ فيها رِغابَا
كلَّمَا أُوتِيتُ مِنها نَصيباً … قُلْتُ: إني قدْ مَلكْتُ النِّصابَا
يا حَبيباً وَشَفيعاً مُطاعاً … حَسْبُنا أَنَّ إليكَ الإيَابَا
لَمْ نَقُلْ فيكَ مقالَ النَّصارَى … إذْ أَضَلُّوا في المَسيحِ الصَّوابَا
إنَّما أنتَ نَذيرٌ مُبِيْنٌ … أَنْزَلَ اللَّهُ عليك الكِتابَا
لِلِسانٍ عربيٍّ بَلِيغٍ … أَفْحَمَ العُرْبَ فعَيَّتْ جَوَابَا
يُطْمِعُ الأسْمَاعَ فيه بياناً … وَسنَا طِبِّهِ على العَقْلِ يابىٰ(1)
حَوَتِ الكُتْبُ لُبَاباً وَقِشْراً … وَهْوَ حاوٍ مِنَ اللُّبابِ لُبَابَا(2)
يَجْلِبُ الدُّرَّ إلى سامعِيهِ … كَلِمٌ لَمْ يُرَ فيه اجْتِلابَا
أَشْرَقَتْ أنوارُه فرأَيْنا الـرَّأْ … سَ رَأْساً وَالذُّنابَى ذُنابَا
وَرَأَى الكُفَّارُ ظِلاً فَضَلُّوا … وَيْحَهُمْ ظَنُّوا السَّرابَ الشَّرابَا!
وإذا لَمْ يَصِحَّ بالعِلْمِ ذَوْقٌ … وُجِدَ الشَّهْدُ مِنَ الجَهْلِ صَابَا(3)
كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنيداً … كُلَّمَا أَبْصَرَ حقّاً تَغابَى؟
وَإذا جِئْتَ بآياتِ صِدْقٍ … لم تَزِدْهُم بِكَ إلاَّ ارْتِيابَا
أنتَ سِرُّ اللَّهِ في الخَلْقِ وَالسِّرْ … رُ عَلى العُمْيِ أَشَدُّ احْتِجابَا
عاقِبٌ ماحٍ مَحا اللَّهُ عَنَّا … بِكَ ما نَحْذَرُ مِنْهُ العِقَابَا
خَصَّهُ اللَّهُ بِخُلْقٍ كريم … وَدَعا الفَضلَ له، فاسْتَجابَا
وَله مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ ما شَرْ … رَفَ قَوْسَيْنِ بذكرٍ وَقابَا(4)

---

(1) يابىٰ: أي يأبىٰ.
(2) اللباب: الجوهر والقلب.
(3) الصَّاب: من الأشجار، له طعمٌ مرّ.
(4) القاب: ما بين مقبض القوس وطرفها.

مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ   بَانَ عَنْهُ كُلُّ واشٍ وَغابَا
وَعلومٍ كَشَفَتْ كلَّ لَبْسٍ   وَجَلَتْ عَنْ كلِّ شمسٍ ضَبَابَا[1]
لَمْ يَنَلْها باكتِسابٍ وفضلُ الـ   ـلهِ ما ليسَ يُنالُ اكْتِسابَا
وَإِذا زارَ حبيبٌ مُحِبّاً   لا تَسَلْ عن زائرٍ كيفَ آبَا[2]
كلُّ مَنْ تابَعَهُ نالَ منْهُ   نَسَباً مِنْ كلِّ فضْلٍ قِرابَا
شَرَّفَ الأنسابَ، طُوبى لأَصْلٍ   وَلِفَرْعٍ حازَ منه انتسابَا
دينُه الحقُّ، فَدَعْ ما سِواهُ   وَخُذِ الماءَ، وَخَلِّ السَّرابَا
جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالعطايَا   والتُّقَى والبَأْسَ والبِرَّ دَابَا
أَنْقذَ الهَلْكَى، ورَبَّى اليَتامَى   وفَدَى الأَسْرَى، وفَكَّ الرِّقابَا
بَصَّرَ العُمْيَ، فيا لَيْتَ عَيْني   مُلِئَتْ مِنْ أَخْمَصَيْهِ تُرابَا
أَسْمَعَ الصُّمَّ، فَمنْ لي بِسَمْعي   لو تَلَقَّى لَفْظَهُ المُستطابَا
ودَعا الهَيجاءَ، فارْتاحتِ السُّمْـ   ـرُ اهْتِزازاً والسُّيوفُ انْتِدابَا[3]
تَطْرَبُ الخَيْلُ بِوَقْعٍ فتَخْتا   لُ إلى الحَرْبِ، وتَغْدُو طِرابَا
مِنْ عِتاقٍ رَكِبَتْها كُماةٌ   لَمْ يَخافوا لِلمَنُونِ ارْتِكابَا[4]
كلُّ نَدبٍ لوْ حَكَى غَرْبَهُ السَّيْـ   ـفُ لَما اسْتصحبَ سَيْفٌ قِرابَا[5]
قاطعَ الأهلِينَ في اللَّهِ جَهْراً   لَمْ يَخَفْ لَوْماً، ولم يَخْشَ عابَا[6]
لَمْ يُبالِ حينَ يَغْدُوا مُصِيباً   في الوغَى أو حينَ يَغْدو مُصابَا
مِنْ حُماةٍ نَصَروا الدِّينَ حتَّى   أَصْبَحَ الإسلامُ أَحْمَى جَنابَا
رَفَعُوا الإسلامَ مِنْ فوقِ خَيْلٍ   أَرْكَبَتْ كلَّ عُقابٍ عُقابَا

(1) اللبس: الشبهة وعدم الوضوح.
(2) آبا: آب، أي: عاد ورجع.
(3) الهيجاء: الحرب. السمر: الرماح. الانتداب: الإسراع في الإجابة.
(4) العتاق: من الخيل. النجائب، وهي الخيل الأصيلة ـ الكماة: الفرسان.
(5) قِرابا: غمد السيف.
(6) العاب: الأمر المعيب.

خَضَبُوا البيضَ مِنَ الهامِ حُمْراً ما تَزالُ البِيضُ تَهْوَى الخِضابَا[1]
لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْها لِلحُروبِ العُونِ إلاَّ الضِّرابَا[2]
أَرْغَمَ الهاديْ أُنوفَ الأعاديْ بِرِضاهُم، وأَذَلَّ الرِّقابَا
فأطاعته الملوكُ اضطِراراً وأجابتْه الحُصونُ اضطرابَا
وصناديدُ قُرَيْشٍ سَقاها حَتْفَها، سَقْيَ اللِّقاحِ السِّقابَا[3]
حَلَبُوا شَطْرَيْهِ في الجودِ والبَأْ سِ، فأَحْلَى وأَمَرَّ الحِلابَا
وجَدُوا أَخْلاَفَ أَخْلاَقِهِ في الخِصْـ بِ، والجَدْبِ تَعافُ الخِصابَا[4]
دَرُّها أطيبُ دَرٍّ، فإنْ أَمْـ كَنَكَ الحَلْبُ فَراعِ العِطابَا
جَيَّشَ الجَيْشَ وَسرَّى السَّرايا ودَعا الخَيْلَ عِتَاقاً عِرابَا
وهُوَ المَنْصُورُ بالرُّعْبِ لو شا ءَ لأغنى الرُّعْبُ عنها ونابَا
لو تَرى الأحزابَ طاروا فِراراً خِلْتَهُمْ بينَ يدَيهِ ذُبابَا
أَوَ لَمْ تَعجَبْ له وهْوَ بَحْرٌ كيفَ يَسْتَسْقي نَداهُ السَّحابَا؟
كانتِ الأرضُ مَواتاً، فأحيا بالحَيَا مِنْهَا المواتَ انسِكابَا
نَزَعَتْ عنها مِنَ المَحْلِ ثَوْباً وكَسَتْها مِنْ رِياضٍ ثِيابَا[5]
سَيِّدٌ، كيفَ تأمَّلْتَ مَغْنا هُ رَأَتْ عَيْناكَ أمراً عُجابَا
مَنْ يَزُرْهُ مُثْقَلاً بالخَطايَا عادَ مَغْفُورَ الخَطَايا مُثابَا
ذِكْرُه في الناسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ قالَ لِلكَوْنَيْنِ: طِيبَا فطَابَا
وسِعَ العالَمَ عِلْماً وجُوداً فَدَعَا كُلاًّ، وأرْضَى خِطابَا
فَتَحَلَّتْ مِنْه قَومٌ عُقُوداً وتَحَلَّتْ منهُ قومٌ سِخابَا[6]

(1) البيض الأولى: السيوف ـ والبيض الثانية: النساء ـ الهام: الرؤوس ـ الخضاب: ما يُخضَبُ به من حِنَّاء ونحوه.

(2) الذكور: السيوف القوية ـ العُون: جمع عوان، وهي الحرب الشديدة.

(3) اللقاح: النوق. السقاب: أولاد النوق ـ

(4) الأخلاف: جمع الخلف، وهو حلمة ضرع الناقة ـ الخصاب: التمر الرديء.

(5) المحل: القحط وانقطاع المطر.

(6) السخاب: قلادة تتخذ من قرنفل وسُكٍّ ومحلَب ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ.

لـيـتَـنـي كـنـتُ فـيـمَـنْ رآهُ أتَّـقِـي عـنْـهُ الأذى والـسِّـبـابَـا
يـومَ نـالَـتْـهُ بـإفْـكٍ يَـهـودٌ مِـثْـلَـمـا استَـنْـبَـحَ بَـدْرٌ كِـلابَـا[1]
فـاذْعُـنـي حَـسَّـانَ مَـدْحٍ وزِدْنـي إنَّـنـي أحْـسَـنْـتُ مـنـه الـمَـنـابَـا
يـا رسـولَ الـلَّـهِ عُـذْراً إذا هِـبْـتُ مَـقـامـاً، حَـقُّـه أنْ يُـهـابَـا
إنَّـنـي قُـمْـتُ خَـطـيـبـاً بِـمَـدْحِـيـكَ، ومَـنْ يَـمْـلِـكُ مـنـه الـخِـطابَـا؟
وتَـرامَـيْـتُ بـهِ فـي بِـحـارٍ مُـكْـثـراً أمـواجَـهـا والـعُـبَـابَـا[2]
بِـقَـوافٍ شُـرِعَـتْ لـلأَعَـادِي وجَـدُوهـا فـي نُـفُـوسٍ حِـرابَـا
هِـيَ أمْـضَـى مِـنْ ظُـبَـى الـبِـيـضِ حَـدّاً فـي أعـادِيـكَ، وأنْـكَـى ذُبـابَـا[3]
فـارْضَـهُ جَـهْـدَ مُـحِـبٍّ مُـقِـلٍّ صَـانَـه حُـبُّـكَ مِـنْ أنْ يُـعـابَـا
شـابَ فـي الإسـلامِ، لـكـنْ لـه فـيـكَ فـؤادٌ حُـبُّـه لـنْ يُـشـابَـا
يَـتَـهَـنَّـى بـالأمـانـيِّ إنَّـهُ قـبـلَ مـمـاتٍ أنـابَـا[4]
كـلـمـا أوْسَـعَـهُ الـشَّـيْـبُ وَعْـظـاً ضَـيَّـقَ الـخـوفُ عـلـيـه الـرِّحـابَـا
ضَـيَّـعَ الـحَـزْمَ، وفـيـه شـبـابٌ وأتَـى مُـعْـتَـذِراً حِـيـنَ شـابَـا
وَغَـدا مِـنْ سُـوءِ مـا قَـدْ جَـنـاهُ نـادِمـاً يَـقْـرَعُ سِـنّـاً وَنـابَـا
أفَـلاَ أرْجُـو لـذَنْـبِـيْ شَـفـيـعـاً مـا رَجـاهُ قَـطُّ راجٍ فـخـابَـا؟
أحـمـدُ الـهـادي الـذي كـلَّـما جِـئْـتُ إلـيـه مُـسْـتَـشـيـبـاً أثـابَـا
فـاعـذِرُوا فـي حُـبِّ خـيـرِ الـبـرايـا إنْ غَـبَـطْـنـا أو حَـسَـدْنـا الـصِّـحـابَـا
إنْ بَـدا شـمـسـاً وصـاروا نـجـومـاً وطَـمَـى بـحـراً وفـرُّوا ثِـغـابَـا[5]
أقْـلـعَـتْ سُـحْـبُ سُـفْـنِـهِـمْ سِـجـالاً مِـنْ عـلـومٍ وَوَرَدْنـا انْـصِـبـابَـا[6]

---

(1) الإفك: الكذب.
(2) العُباب: ارتفاع الموج واصطخابه.
(3) الظُّبىٰ: مفردها الظبة وهي حد السيف أو السنان ـ أمضىٰ: أكثر مضاءً.
(4) البيت مكسور في نهاية الشطر الأول.
(5) طمىٰ: ماء البحر إذا ارتفع وامتد. الثغابا: جمع الثَّغَب، الغدير في ظل الجبل.
(6) سجالاً: متتابعاً، مرَّةً ـ بعد مرَّة. وردنا: أتينا نحو الماء.

وَغَـدَوْنـا بـيْـنَ وَجْـدٍ وَفَـقْـدٍ يَـعْـظُـمُ الـبُـشْـرَى بِـهِ وَالـمُـصـابَـا
وَتَـبـارَأْنـا مـن الـنَّـصْـبِ وَالـرَّفْـضِ وَأَوْجَـبْـنَـا لـكـلٍّ جَـنـابَـا[1]
إنَّ قـومـاً رضِـيَ الـلَّـهُ عَـنْـهُـمْ مـا لـنـا نُـلْـقَـى عـلـيـهـم غِـضَـابَـا؟
إنَّـنـي فـي حُـبِّـهـم لا أُحـابـي أحـداً قـطُّ وَمـنْ ذا يُـحـابَـى؟[2]
صَـلَـوَاتُ الـلَّـهِ تَـتْـرَى عـلـيـه وَعـلـيـهِـم طـيِّـبـاتٌ عِـذابَـا[3]
يـفْـتَـحُ الـلَّـهُ عـلـيـنـا بِـهَـا مِـنْ جُـودِهِ وَالـفَـضْـلِ بـابـاً فَـبَـابَـا
ما انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الصُّبْحِ سَيْفاً وَفَـرَى مِـنْ جُـنْـحِ لَـيْـلٍ إهـابَـا[4]

33

قال الشاب الظريف يمدح الأمير ناصر الدين الحراني:

أُعـيـذُ قـلـبـاً ثَـوى حُـبُّ الأمـيـرِ بـهِ من أنْ يُرى بسوى حبِّيهِ مُلتهبا[5]
لا تنظرُ العينُ منهُ السيفَ منصلتاً إن فارقَ الغمدَ حلَّ الهامَ فَاحتجبا[6]
لو أقسمَ المُدْلجُ السَّاري على قمرٍ باسمِ الأميرِ دعاهُ قطُّ ما غَرَبَا[7]
وَلَو وَضَعتَ اسمَهُ يوماً على ذَكَرٍ طاحَتْ رؤوسُ الأعادي وهوَ ما ضَربا
ولـو تـلـوتَ عـلـى مَـيْـتٍ مـنـاقِـبَـهُ ردَّ الإلٰـهُ لـهُ الـروحَ الـتـي سَـلَـبَـا
ولو مَزجتَ بماءِ المُزْنِ ما اكتسبَتْ من لُطفِ شيمتِهِ ما غصَّ مَن شَرِبا[8]

---

(1) تبارأنا: طلبنا البراءة ـ النصْب: البلاء.
(2) أحابي: أميل إلى شخص دون آخر وأختصُّه.
(3) تترىٰ: تتوالى.
(4) انتضىٰ: استلَّ ـ فرىٰ: قطع وشقَّ ـ الإهاب: الجلد.
(5) ثوىٰ: أقام.
(6) المنصلت: المجرَّد من غمده ـ الغمد: بيت السيف ـ الهام: الرؤوس جمع هامة.
(7) المدلج: الذي يسير في بداية الليل ـ الساري: الذي يسير في أيِّ وقتٍ من الليل.
(8) المزن: السحاب الماطر.

لَـمَّـا انـتـسـبْـتُ إِلـى أبـوابِـهِ كـبُـرَتْ ... بي هِـمـةٌ صـغَّـرتْ فـي عـينـيَ الـرُّتـبَـا
لـو رُمـتُ أسـحبُ أذيـالـي عـلـى فـلـكٍ ... لـمـدَّ لـي سـبـبٌ مـن جـودِهِ سـبَـبَـا

34

قال بهاء الدين زهير يصف حاله بعد أن حلَّ به المشيب:

سَلامٌ على عَـهـدِ الشّـبيـبَـةِ وَالـصِّـبَـا ... وَأهـلاً وَسَـهـلاً بـالـمَـشـيـبِ ومَـرْحَـبَـا
وَيـا راحِـلاً عـنِّـي رَحَـلـتَ مُـكَـرَّمـاً ... وَيـا نـازِلاً عِـنْـدِي نـزَلـتَ مُـقـرَّبَـا
أَأَحْـبـابَـنـا إنَّ الـمَـشـيـبَ لَـشـارِعٌ ... لِيَنسَخَ أحكامَ الصَّبابةِ والصِّبَا[1]
وَفـيَّ مـعَ الـشَّـيـبِ الـمُـلـمِّ بـقِـيَّـةٌ ... تـجـدِّدُ عـنـدي هِـزَّةً وَتـطـرُّبَـا
أحِـنُّ إلـيـكُـم كُـلَّـمـا لاحَ بـارِقٌ ... وَأسألُ عنكُمْ كلَّما هَبَّتِ الصَّبَا[2]
وَما زالَ وَجهي أبيَضاً في هواكُمُ ... إلى أن سرَى ذاكَ البَياضُ فشيَّبَا
وَلَـيسَ مَشيباً ما ترَوْنَ بعارِضي ... فَلا تَـمـنَـعُـونـي أنْ أهـيـمَ وَأطـرَبَـا
فَما هُوَ إلاَّ نورُ ثَغرٍ لَثَمتُهُ ... تعلَّقَ في أطرَافِ شَعري فألْهَبَا
وَأعجَبَني التجنيسُ بيني وَبينَهُ ... فلمَّا تبدَّى أشنَباً رُحتُ أشيَبَا[3]
وهيفاءَ بيضاء الترائبِ أبصرَتْ ... مَشيبي فأبدتْ رَوْعةً وَتَعَجُّبَا[4]
جَنَتْ لي هذا الشَّيبَ ثمَّ تجنَّبَتْ ... فوَاحربَا مِمَّنْ جَنى وَتجنَّبَا
تَناسَبَ خدِّي في البَياضِ وخَدُّها ... وَلوْ دامَ مُسوَداً لقد كانَ أنسَبَا
وَإنّي وَإنْ هَزَّ الغرامُ مَعاطِفي ... لآبَى الدُّنَايَا نَخوَةً وَتَعرُّبَا[5]
أتـيـهُ عـلـى كـلِّ الأنـامِ نَـزَاهـةً ... وَأشمَخُ إلاَّ للصَّديقِ تأدُّبَا[6]

---

(1) الصبابة: شدة الوجد والشوق ـ الصِّبا: الشباب والحداثة، الشوق.
(2) الصَّبا: ريح مهبُّها من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار.
(3) الأشنب: من أسنانه بيضاء.
(4) الترائب: عظام الصدر حيث تكون القلادة، مفردها: تريبة.
(5) آبىٰ: أرفض ـ تعرُّباً: تشبُّهاً بأخلاق العرب.
(6) أتيه: أفخر.

وَإِنْ قلتُمُ أهوَى الرَّبابَ وزَيْنَباً صَدقتم سَلُوا عني الرّبابَ وَزَيْنَبَا
ولكن فتًى قد نالَ فضْلَ بلاغَةٍ تَلَعَّبَ فيها بالكَلامِ تلَعُّبَا

35

قال البرعي يمدحه ﷺ:

أَنَسْمَةُ طِيبٍ أم صَبا طِيبَةٍ هَبَّا سُحَيْراً دَعى قَلْبِي فأَسْرَعَ ما لَبَّى[1]
وطَلْعَةُ نُورِ التَّمِّ أَمْ نُورُ أَحْمَدٍ تَشَعْشَعَ حتَّى شَقَّ ساطِعُهُ التُّرْبا[2]
فَذانِكَ زاداني سُرُوراً وأَفْرَجا هُمومِي وحَلاً عن عُرا كَبِدِي كَرْبا
وهَيْهاتَ ما كُلُّ النَّسِيمِ حِجازياً ولا كُلُّ نُورٍ يُبْهِجُ الشَّرْقَ والغَرْبا
لِسُكَّانِ تِلْكَ الأَرْضِ عَهْدٌ مُؤكَّدٌ لَدَيَّ وخَيْرُ العَهْدِ ما أَنْصَبَ الحبَّا
وما زِلْتُ أَسْتَنْشِي النَّسِيمَ لأَرْضِهِمْ على بُعْدِ دارَيْنا وأَسْتَمْطِرُ السُّحُبا
تُذَكِّرُني الأَشْواقُ مَنْ لَسْتُ ناسِياً فَتَجْرِي دُمُوعِي في مَحاجِرِها صَبَّا[3]
فيا لِي مِنَ الذِّكْرى ويا لِي مِنَ الهَوى ويا دَمْعُ ما أَجْرى ويا قَلْبُ ما أَصْبى
خَلِيلِيَ من حُبِّي كأَنَ يُرُعْكُما رَحِيلُ فَرِيقٍ فارَقُوا الهائمَ الصبَّا[4]
فأَصْبَحَ لا عَهْدٌ قَرِيبٌ بِهِمْ ولا طَلِيعَةُ عِلْمٍ عَنْهُمُ تَشْرحُ القَلْبا
دَعَتْهُ حَماماتُ الحِمى لِلْبُكا فَلَمْ تَدَعْ إِذْ تَداعَتْ في الأَراكِ له لُبَّا
وأَثْمَلَهُ مَرُّ النَّسِيمِ فَما دَرى أَنَسْمَةُ طِيبٍ أَمْ صَبا طَيْبَةٍ هَبَّا
وَمَا ذاكَ إلاَّ رَوحُ رَوضةِ جَنَّةٍ ثَوى في ثَراها سَيِّدِ العَرَبِ العُربا[5]
نَبِيٌّ هَدى مَنْ ضَلَّ مِنَّا بِهَدْيهِ وأَدْرَكَ بالتَّوْحِيدِ مَنْ يَعْبُدُ النُّصْبا

---

(1) سحيراً: وقت السحر.
(2) تشعشع: أضاء وأشرق.
(3) المحاجر: جمع محجر، وهو موقع العين من الرأس.
(4) الصبًا: الصب وهو الرقيق المشتاق.
(5) الروح: رائحة الشيء.

رَجَوْنا بِهِ من ظُلْمَةِ الظُّلْمِ رَحْمَةً ... فَمَدَّ عَلَيْنا ظِلَّ حِلَّتِهِ الغَلْبا
وما زالَ يَدْعُونا إلى الله وَحْدَهُ ... إلى أَنْ رَضِينا اللَّهَ سُبْحانَهُ رَبّا
ولَوْلاهُ ما كانَ الوُجُودُ بِمُوجَدٍ ... ولا أَرْسَلَ الرَّحْمٰنُ رُسْلاً ولا نَبّا
فما اشْتَمَلَتْ أَرْضٌ على مِثْلِ أَحْمَدٍ ... ولا اسْتَوْدَعَ الرَّحْمٰنُ رُحْماً ولا صُلْبا
تَظاهَرَتِ الأَخْبارُ من قَبْلِ بَعْثِهِ ... بأَنْ يُظْهِرَ الرَّحْمٰنُ أَعْلى الوَرى كَعْبا(1)
وبَشَّرَنا مُوسى وعِيسى ابْنُ مَرْيَمٍ ... بِهِ ومِنَ الأَخْبارِ مَنْ قَرَأَ الكُتْبا
ولَمّا اسْتَقَلَّتْ أُمُّهُ حَمْلَه رَأَتْ ... بِهِ بَرَكاتٍ من عَدِيدِ الحَصى أَرْبى(2)
وأُهْبِطَتِ الأَمْلاكُ لَيْلَةَ وَضْعِهِ ... وناداهُ مَنْ في الكَوْنِ رَحْباً بِهِ رَحْبا
ونُكِّسَتِ الأَصْنامُ في كُلِّ وَجْهَةٍ ... وغُلَّتْ يَدُ الشَّيْطانِ تَبّاً له تَبّا
وأُخْمِدَتِ النِّيرانُ في أَرْضِ فارِسٍ ... وكُلُّ يَهُودِ الشَّامِ قَدْ عَدِمُوا خَبّا
ولاحَ شُعاعُ النُّورِ في شِعْبِ مَكَّةٍ ... فقامَتْ رِجالُ الحَقِّ تَسْتَبِقُ الشِّعْبا
فَلَمّا رأَوْهُ أَكْبَرُوهُ وفاخَرَتْ ... بِطَلْعَتِهِ البَطْحاءُ أُفُقَ السَّما عُجْبا(3)
ورأَوْا مِنْهُ مِلْءَ العَيْنِ طِفْلاً مُبارَكاً ... يُناسِبُ غُرّاً من بَنِي غالِبٍ غُلْبا
ولَمْ يُنْكِرُوا من آلِ وَهْبِ بْنِ زَهْرَةٍ ... خُؤُولَتَهُمْ إذْ كانَ أَكْرَمُهُمْ وَهْبا
فَلاقَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُ أَيْمَنَ طائِرٍ ... وأَسْعَدَ فألٍ وانْثَنى جَدْبُها خَصْبا
وجَلَّلَ أَهْلَ الشَّرْقِ والغَرْبِ أَنْعُماً ... يَقِلُّ مِدادُ البَحْرِ عن حَصْرِها كَتْبا
وعَلَّمَ أَهْلَ الرُّشْدِ ذِكْراً مُبارَكاً ... حَوى الزَّجْرَ والأَحْكامَ والفَرْضَ والنَّدْبا
وبالَغَ في الإنْذارِ حتى إذا عَتَتْ ... علَيْهِ رِجالُ الشِّرْكِ خاطَبَهُمْ حَرْبا
وما زالَ حتى فَلَّ شَوْكَةَ بأْسِهِمْ ... وأَبْدَلَهُمْ بالسَّيْفِ من أَمْرِهِمْ رُعْبا
وحَلَّ بِلُطْفِ اللَّهِ عُقْدَةَ عِزِّهِمْ ... وذلِكَ حِينَ اسْتَعْمَلَ الطَّعْنَ والضَّرْبا
ولَمْ يُبْقِ لِلْكُفّارِ حِصْناً مُمَنَّعاً ... ولا مَسْلَكاً وَعْراً ولا مُرْتَقى صَعْبا

---

(1) الكعب: الشرف والظفر.
(2) أربى: أكثر.
(3) البطحاء: الأرض المتسعة يمر فيها السيل.

فكان فَنا الطَّاغِينَ في كُلِّ بَلْدَةٍ ومُنْتَجَعَ الرَّاجِينَ في السَّنَةِ الشَّهْبا[1]
يُبارِي هُبُوبَ الرِّيحِ جُودُ يَمِينِهِ إذا ما شَمالُ الشَّامِ ناوَحَتِ النَّكْبا
لَئِنْ كانَ إبْراهِيمُ خُصَّ بِخُلَّةٍ فهذا نَبِيٌّ أُوتِيَ القُرْبَ والحُبَّا
وإنْ كان فَوْقَ الطُّورِ موسى مُكَلِّما فأَحْمَدُ جازَ السَّبْعَ واخْتَرَقَ الحُجْبا
وإنَّ فَجَّرَ اليَنْبُوعَ موسى مِنَ الصَّفا فأحْمَدُ أروى من أنامِلِهِ الرَّكْبا
وإنْ كَلَّمَ الأمْواتَ عِيسى ابْنُ مَرْيَم فأَحْمَدُ في يُمْناهُ سَبَّحَتِ الحَصْبا[2]
لَقَدْ فَضَلَ الأمْلاكَ والرُّسْلَ رِفْعَةً عَلَيْهِمْ وسادَ الجِنَّ والعُجْمَ والعُرْبا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأنْبِياءَ جَمِيعَهُمْ عَلَيْهِ يَحِيلُونَ الشَّفاعَةَ في العُقْبى[3]
فَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ أنا لَها سِواهُ وأيٌّ يَنْتَهِي مِثْله قُرْبا
غَداةً تَرى مَنْ تَحْتَ ظِلِّ لِوائِهِ حَبِيباً وحَوْضاً طَيِّباً بارِداً عَذْبا
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ عُذْ بِكَرامَةٍ لِمَنْ لا يَرى غَيْرَ الذُّنُوبِ له كَسْبا
وقُلْ أَنْتَ يا عَبْدَ الرَّحِيمِ غَداً مَعِي بِحَضْرَةِ قُدْسٍ عِنْدَ مِنْ يَغْفِرُ الذَّنْبا
وكُنْ من أذى الدَّارَيْنِ حِصْنِي فإنَّني أَعُدُّكَ لِي من كُلِّ نائِبَةٍ حَسْبا
ومَهْما تَناءَتْ عَنكَ دارِي فإنَّنِي لأُصْبِحُ يا شَمْسَ الهُدى جارَكِ الجَنْبا
فما كان عَوْدِي إذْ حَجَجْتُ ولَمْ أَعُدْ إلَيْكَ جَفاءً لا ومَنْ فَلَقَ الحَبَّا[4]
ولكِنْ تَصارِيفُ الزَّمانِ عَجِيبَةٌ وأَنْتَ إذا اسْتَعْتَبْتَ أَجْدَر بالعُتْبى
فَصِلْ حَبْلَ مَدْحِي فيك واقْبَلْ وسِيلَتِي لأُدْرِكَ حَسَّاناً بِفَضْلِكَ أَوْ كَعْبا[5]
وأَكْرِمْ مَعي نَسْلِي وأَهْلِي وجِيرَتِي وسالِفَ آبائِي وصَحْبِي وذا القُرْبى
وصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ما ذَرَّ شارِقٌ وما ابْتَهَجَتْ في اللَّيْلِ أُفُقُ السَّما شُهْبا
صَلاةً وتَسْلِيماً عَلَيْكَ ورَحْمَةً مُبارَكَةً تَنْمُو فَتَسْتَغْرِقُ الحَصْبا

(1) الشهبا: المجدبة، ليس فيها مطر.

(2) الحصباء: الحجارة الصغيرة.

(3) العقبىٰ: الخاتمة، ويوم الحساب.

(4) فلقَ الحبَّ: كناية عن الله ﷻ

(5) حسان: هو حسان بن ثابت، وكعب هو كعب بن زهير شاعرا الرسول الكريم .

تَـخُـصُّـكَ يـا مَـوْلايَ حَـيّـاً ومَـيِّـتـاً وتَشْمَلُ في تَعْمِيمِها الآلَ والصَّحْبا

36

قال الشاب الظريف يصف مجلس لهوٍ ومجون:

يـا حبَّذا نـهـرُ الـقـصـيـرِ، ومَـعْـربَـا ونـسـيـمُ هـاتِـيـكَ الـمعَـالـمِ وَالـرُّبَـا[1]
وَسَـقـى زمـانـاً، مـرَّ بـيْ فـي ظِـلِّـهَـا مـا كـانَ أعْـذَبَـهُ لـديَّ وأطـيَـبَـا
أيّـامَ أولـعُ بـالـخُـدُودِ نـقـيـةً والـقـدُّ أهـيـفَ، والـمقـبَّـلُ أشْـنَـبَـا[2]
وأزورُ حـانـاتِ الـمُـدام ولا أرَى غـيـرَ الـذي قـضـتِ الـخلاعَـةُ مـذْهَـبَـا
مَـالـي، ومـا فَـاتَـتْ سـنِّـيَّ أَصَـابِـعـي لـم أقْـضِ بـالـلَّـذَّاتِ أوطارَ الـصِّـبَـا[3]
فـلأهـجـرنَّ أخَـا الـوَقَـارِ وشَـأنَـهُ ولأرْكَـبَّـنَّ مـن الـغَـوايَـةِ مَـركَـبَـا
ولأطـلـعـنَّ شـمـوسَ كـلِّ مـسـرَّةٍ وأكـونَ مَـشْـرِقَ أُفـقِـهَـا وَالـمـغْـرِبَـا
يـا صَـاحـبـيَّ خُـذا مـقـالـةَ مُـغـرَم قـولَ امـرىءٍ عـرفَ الأمـورَ وَجـرَّبَـا
لـم يـخـلُـقِ الـرحـمٰـنُ شـيـئـاً عَـابِـثـاً فـالـخـمـرُ مـا خُـلِـقَـتْ لأن تُـتـجـنَّـبَـا
وَتـغـنَّـيَـا لا بِـالـحـطِـيْـمِ وَزَمْـزَمِ بَـلْ بـالـحِـمـى وَبـسـاكِـنـيْـهِ وَزيـنَـبَـا

37

قال بهاء الدين زهير مواسياً أحد أصدقائه بغرقٍ سفينته وذهاب كلِّ ما فيها:

لا تَعتِبِ الدّهرَ في خَطْبٍ رَمَاكَ بِهِ إنِ اسـتَـرَدَّ فَـقِـدْماً طالَ مـا وَهَـبَـا[4]
حـاسِبْ زَمَـانَـكَ فـي حالَـي تَـصَـرُّفِهِ تَـجِدْهُ أعـطاكَ أضـعـافَ الـذي سَـلَـبَـا

---

(1) القصير ومعربا: منطقتان قرب دمشق.
(2) أهيف: ضامر ـ والأشنب: بارد الأسنان أبيضها.
(3) أوطار: جمع وطر وهو الحاجة والرغبة.
(4) الخطب: المصيبة.

وَاللَّـهُ قَـدْ جَـعَـلَ الأيَّـامَ دائِـرَةً ... فـلا تَـرَى رَاحَـةً تَـبْـقَـى وَلا تَـعَـبَـا

وَرَأسُ مالِكَ وَهيَ الرُّوحُ قد سلمَتْ ... لا تـأسَـفَـنَّ لـشَـيْءٍ بَـعـدَهَـا ذَهَـبَـا

مـا كُـنـتَ أوَّلَ مَـمـنُـوٍّ بـحَـادِثَـةٍ ... كذا مضَى الدَّهرُ لا بِدْعاً وَلا عَجَبَا[1]

وَرُبَّ مـالٍ نَـمَـا مِـنْ بَـعـدِ مَـرْزِئَـةٍ ... أمَا ترَى الشّمعَ بعدَ القَطِّ ملتهِبَا[2]

38

وقال ابن نباتة يمدح الشريف ابن أبي الركب:

شَبَّ الـحشَـا قولُ الكواعِبِ شابا ... وآهـاً لـهـنَّ كـواعِـبـاً وشَـبـابـا[3]

ومضى الـصّبا ومن التصابي بعده ... صـيَّـرْتُ لـلـدمـعِ الـدمـاءَ خُـضَـابـا

هَـيـهـات أَقْـصُـرُ لـهـوَه وتـوزَّعَـتْ ... أوقـاتُ مـن فـقـدَ الـصّـبـا وَتَـصَـابـا

وغَضَضْتُ جفني عن مُغازَلَةِ الظِّبا ... وَلَـقَـدْ أجـرَّ لـبـرْدِهِ أهـدَابـا

ولـقـد أرُودُ الـحـيَّ خـلـتُ رِمَـاحَـهُ ... دَوحـاً ومـوقـعَ نـبـلـهِ أعـشـابـا

فـأديـر إمَّـا بـالـمـدَام مـعَ الـدُّمـى ... أو بـالـدِّمـاء مـع الـكُـمـاةِ شَـرابـا[4]

أسدٌ تـآلـفـني الـظِّـبـاءُ وتـخـتـشـي ... مِـنْ صَـارمـي الـصـقـرُ الـغـيـورُ ذُبـابـا

أيـامَ فـي ظِـلَّـيْ صِـبـاً وصـبـابـةٍ ... أُحْـبـى بـألـطـافِ الـمـهـا وأحـابـى

مـن كـلِّ نـاشِـرَةِ الـوَفـاطـائـيَّـةِ ... قـد نـاسـبـتْ بـنـوَالـهـا الأنـسـابـا

غـيـدآءُ تُـسـفـرُ عـن مـحـاسـن دُمـيَـةٍ ... حلَّتْ بِصدْغَيْ شعرِها محرَابَا[5]

سَـلَـبَـتْ بـمـقـلـتِـهَـا فُـؤاداً واجِـبَـاً ... حـتـى عـرفْـتُ الـسـلَـبَ والإيـجـابـا

إنْ شِـئـتُ مـن كـاسـاتـهـا أو ثـغـرِهـا ... أرشفتُ خمراً أو لثمتُ حُبابا[6]

---

(1) ممنوٌّ: مُصابٌ.

(2) القطّ: القطع، يريد قطع الفتيلة ـ مرزئة: مصيبة.

(3) شبَّ: أشعَلَ.

(4) الكماة: جمع كمي وهو الفارس الكامل السلاح.

(5) الغيداء: الفتاة المتثنية بلين ولطافة.

(6) الحباب: فقاقيع تظهر على وجه الماء أو الخمر.

أو شئتُ إنْ غابتْ يغيبُ رقيبُها ... فذكرتُ موصولَ اللِّقا ورَبابا
وَلهجْتُ بالأغزالِ أتبعُ زُورَها ... صِدقاً بمدحِ ابنِ النبيِّ منابا
وإذا الحسينُ سمَاله حسْنُ الثَّنا ... فلقدْ أطالا مظهراً وأطابا
أزكى الورى أصلاً وأعلاهُمْ يداً ... فرعاً وأكرمهُمْ جَنًى وجَنابا
وأجلَّ أحساباً فكيفَ إذا جَلَتْ ... سُوَرُ الكتابِ بمدحِهِ أنسابا
نجمُ الفواطمِ مِنْ كَرائمِ هاشمٍ ... والمرضعينَ مِنَ الكرامِ سَحابا
والخمسةُ الأشباحُ نوراً قبلَ ما ... رَقَمَ السِّماكُ من الدُّجى جلبابا[1]
ذو الفَضلِ لا تُحصى مواقِعُ سحبِهِ ... والشخصُ منفرداً يضيءُ شِهابا
وَمناقِبُ البيتِ الذي من أُفقِهِ ... بدَتِ الكواكبُ سنَّةً وكِتابا
وعجائبُ العلمِ التي من بحرِها ... ماسَ اليراعُ بطرسِهِ إعجابا[2]
ومحاسنُ الأقوالِ والشيمِ التي ... قسِمتْ لديهِ وسُمِّيتْ آدابا
عَلَويّةٌ أوصافُها عُلْويَّةٌ ... قد بذَّت الإيجازَ والإسهابا
في كفِّهِ قلمٌ يُخافُ ويُرتجى ... فيُجانِسُ الإعطاءَ والأعطابا
عَصَمتْ منافعهُ العواصمَ تارةً ... شهداً يصوبُ بها وطُوراً صَابا
بسدادِهِ تُجلى الخطوبُ ويُجتلى ... صوبُ الكلامِ أوانِساً أتْرابا
عجباً له مما تضيءُ سُطُورُهُ ... سُبُلَ الهدى وتحيِّرُ الألبَابا
جمدَتْ بهِ سُحُبُ الحيا ولو أنَّهُ ... يومَ الوغى لمسَ الحديدَ لذَابا[3]
إنْ جادَ أرضاً لفظُهُ فكأنَّما ... نبتَتَ لِسكرِ عُقولِنا أعنابا
حتَّى إذا جاءتْ صَواعِقُ رُعبِهِ ... أضحى جميعُ نباتِها عِنَّابا
لِلَّهِ درُّكَ يا حِمى حَلبٍ لقدْ ... أمطرْتَ صوبَ ندائهِ وصَوابا
من كلِّ فاتنةِ الترسُّلِ لو بدَتْ ... لنُهاكَ يا عبدَ الرحيمِ لغابا

(1) رقم الشيء: نقشه وطرزه وخططه.
(2) الطِّرس: الصحيفة أو الكتاب.
(3) الحيا: المطر الخفيف.

ونـظـيـمـةٍ دَرَتِ الـبـداوةُ أن فـي ... حَـضـرِ الـمـمـالِـكِ عِـنـدهـا أَغْـرابـا
هَشَمتْ فَخارَ العُرْبِ هاشمُ واحتوتْ ... حتَّى القريضَ لنَسْلِها أَسْلاَبا[1]
قـلـعـتْ بِـهـا أوتـادَ كـلِّ مُـعـانِـدٍ ... وتـمسَّكَتْ هيَ للسَّما أسبَابـا
ولـمثلها الضِّلِّيلُ ضلَّ فكيفَ لو ... يُـدْعـى تـكَـلّـف بـدأةً وجـوابـا
يـا ابـنَ الـوصـيِّ وصـيـةً بـمـقـصِّـرٍ ... مِـنْ بـعـدِ مـا جَـهِـدَتْ قُـواهُ ولابـا
فـي نـظـمِـهِ عَـنـكُـم وخـطٌّ يـراعِـهِ ... صـغـر فـلا أَلِـفـاً أجَـادَ ولا بَـا
بـابُ الـبـديـعِ فـتـوحُـكُـم وأنـا امـرؤٌ ... لا طـاقـةً فـي الـبـديـعِ ولا بـا

39

قال البوصيري مهنئاً فخر الدين عثمان بقدومه، ويعرِّضُ ببعض النصارى:

أريحُ الصَّبا هَبَّتْ عَلَى زَهَرِ الرُّبا ... فأصبَحَ منها كلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبا؟[2]
أمِ الرَّاحُ أهْدَتْ للرِّياحِ خُمارَها ... فأسْكَرَ مَسْراها الوُجُودَ وطَيَّبا؟[3]
أَلَمْ تَرَني هَزَّ التَّصابي مَعاطفي ... وراجَعني ما راقَ مِنْ رَوْنَقِ الصِّبا؟
فمن مُخْبِري ماذا السُّرُورُ الذي سَرَى ... فلا بُدَّ حَتْماً أنْ يكونَ لهُ نَبا[4]
فقالوا: أعادَ اللَّهُ للناسِ فَخْرَهُمْ ... وَلِيّاً إلى كلِّ القلوبِ مُحَبَّبا
فقلتُ: أَفَخْرُ الدِّينِ عثمانُ؟ قال لي: ... بَلَى!؟ قُلْ لَهُ: أهْلاً وَسَهْلاً ومَرْحَبا
وقـال الـورَى: لـلَّـهِ دَرُّكَ قـادِمـاً ... سُقِينا به من رحمةِ اللَّهِ صَيِّبا[5]
ونـادَى مُـنـادٍ بـيـنَـهـم بِـقُـدُومِـهِ ... فَرهَّبَ منهُمْ سامِعِينَ ورَغَّبا[6]
فـأَوْسَـعَـهُـمْ فَـضْـلاً فـآمَـنَ خـائِـفـاً ... وَأَنْصَفَ مظلوماً وأخصَبَ مُجْدِبا

(1) القريض: الشعر.
(2) الصَّبا: ريحٌ تَهَبُّ من المشرق عند تساوي الليل والنهار.
(3) الرَّاح: الخمر.
(4) نبا: نبأ، وهو الخبر. سرى: مشىٰ ليلاً.
(5) الصيب: المطر.
(6) رهَّبَ: خوَّف.

وقد أخَذَتْ منه البسيطةُ زِينَةً ... فَفَضَّضَ منها الزهرَ حَلْياً وذَهَّبا
فيا فرحَةَ الدُّنْيا وَفرحَةَ أهلِها ... بِيَوْمٍ له مِنْ وَجْهِ عثمانَ أعربا
وشاهَدَ منهُ صُورةً يُوسُفِيَّةً ... تباهَى بها في الحُسنِ وَالبَأْسِ مَوْكِبا
مُفَوِّضُ أمْرِ العالَمينَ لِرأيِهِ ... فكانَ بهِمْ أوْلَى وأدرَى وأذْرَبا[1]
أعيدوا على أسماعِنا طِيبَ ذِكْرِهِ ... لِيُطْفِىءَ وجْداً في القلوبِ تَلَهَّبا
ولا تَحْجُبُوا الأبصارَ عَنْ حُسْنِ وجهِه ... فقدْ كانَ عنها بالبِعادِ مُحَجَّبا
وَليٌّ إذا ضاقتْ يَديْ وَذكَرْتُهُ ... مَلَكْتُ نِصَاباً أوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبا[2]
تَوَسَّلْ بِهِ في كلِّ ما أنتَ طالبٌ ... فكم نلتُ منه بالتوسُّلِ مَطْلَبا!
وعِشْ آمِناً في جاهِهِ، إنَّ جاهَهُ ... لِقُصَّادِهِ راضَ الزمانَ وهَذَّبا
تَغَرَّبْتُ يَوْماً عَنْ بِلادي وزُرْتُه ... فَنِلْتُ غِنًى ما نالَهُ مَنْ تَغَرَّبا
على أنَّني ما زِلْتُ مِنْ بَرَكاتِه ... غنِيّاً وفي نَعْمائِه مُتَقَلِّبا
وكُنْتُ لِما يَرْضاهُ بالغيبِ فاعِلاً ... وكُنتُ لِما لَمْ يَرْضَهُ مُتجنِّبا
ولا كان ديناري مِنَ النُّصح بَهرَجاً ... لَدَيْهِ، ولا بَرْقِي مِنَ الوُدِّ خُلَّبا[3]
أَمَوْلايَ أنَسَيْتَ الوَرَى ذِكرَ مَنْ مَضَى ... وأغنى نَداكَ المادحينَ وأتعَبا
ولي أدبٌ حُرٌّ أُحَرِّمُ بَيْعَه ... وما كانَ بَيْعُ الحُرِّ للحُرِّ مَذْهَبا
وقد أهجرُ العذْبَ الزُّلالَ عَلى الصَّدَى ... إذا كَدَّرَتْ لي السَّمْهَرِيَّةُ مَشْرَبا[4]
وأنْصِبُ أحْياناً شِباكَ قَناعَةٍ ... أَصِيدُ بها نُوناً وَضَبّاً وجُنْدَبا[5]
ومَهْما رآني شاعِرٌ مُتَأَسِّدٌ ... تَذَأَّبَ منها خِيفَةً وتَثَعْلَبا
أُراقِبُ مَنْ عاشَرْتُ منهُمْ كأنَّني ... أُراقِبُ كلباً أوْ أُراقِبُ عَقْرَبا
كأنّي إذا أَهْديهِمُ عَنْ ضَلالِهِمْ ... أُبَصِّرُ أعْمَى أوْ أُقَوِّمُ أحْدَبا

---

(1) ذَرِب اللسانُ: فصُح، وذرِب السيفُ: صار حادّاً وماضياً.

(2) النِّصاب: الكمية والمقدار ـ المنصب: ما يتولاه المرء من العمل.

(3) البهرج: الباطل والزَّيف ـ الخُلَّب: الزائف والمخادع.

(4) السمهرية: الرماح الصلبة.

(5) النون: السمكة.

فلا بُوركَ المُسْتَخْدَمون عِصابَةً ... فكمْ ظالم منهم عَلَيَّ تَعَصَّبا!
إذا ما بَرَى أقلامَهُ خِلْتُ أنه ... يَسُنُّ لَهُ ظُفْراً وناباً ومِخْلَبا
يغالِطُني بعضُ النَّصارَى جَهالةً ... إذا أُوْجَبَ المُلْغَى وَأَلْغَى المُوجَّبا
وما كانَ مَنْ عَدَّ الثَّلاثَةَ واحداً ... بأَعْلَم مِنّي بالحِسابِ وأكْتَبا
وَما الحَقُّ في أفواهِ قوم كأنَّها ... أَوَانٍ حوَتْ ماءً خَبيثاً مُطَحْلَبا[1]
مُفَلَّجَةٍ أسنانُها فكأنَّها ... أَصابَ بها الزِّنْجارُ أَحْجَارَ كَهرَبا[2]
كأنَّ ثَناياهُم من الخَبَثِ الذي ... تَحَضْرَمَ في نِيَّاتِهِمْ وَتَزَبَّبا[3]
عجبْتُ لأمْرٍ آلَ بالشَّيْخِ مُخْلصاً ... إلى أنْ يُعَرَّى كاللُّصوصِ وَيُضرَبا
بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثيابَه ... وَأَبْصرتُ جِسماً بالدِّماءِ مُخَضَّبا
وَحلَّفتُهُ باللَّهِ ما كانَ ذَنْبُه؟ ... فأقْسَمَ لي باللهِ ما كانَ مُذْنبا
وَلكنْ حبيبٌ راحَ فِيَّ مُصَدِّقاً ... كلامَ عَدُوٍّ ما يزالُ مكَذِّبا
فقلت: ومَن كان الأمير حبيبَه ... فلا بدَّ أنْ يَرْضَى عليه وَيَغْضَبا
فصبْراً جميلاً فالمقدَّرُ كائنٌ ... فقد كانَ أمراً لم تجِدْ منهُ مَهْرَبا
فإبليسُ لَمّا كانَ ضِدّاً لآدمٍ ... تَخَتَّلَ في عِصْيانِهِ وَتَسَبَّبا[4]
وقد كانَتِ العُقْبَى لآدَمَ دونَهُ ... فتابَ عليه اللَّهُ مِنْ بعْدُ وَاجْتبى[5]
وَمِنْ قبلِ ذا قد كنتُ ذاكِراً ... نَهَيْتُكَ أنْ تَلْقى الأميرَ مُقَطِّبا
دَعاكَ إلى أمرٍ مُهِمٍّ فجِئْتَهُ ... كأنَّكَ في عُرْسٍ أَتَيْتَ مُشَبِّبا[6]
فلا تَنْسَ فينا للأمير قضِيَّةً ... فَتَفْتَحَ باباً للعِتابِ مُجَرَّبا
وَإيَّاكَ أنْ تُبْطي عَلَيَّ بِراتِبي ... فيَبْقَى عليكَ اللَّومُ منه مُرَتَّبا

---

(1) مطحلباً: أي ملوَّثاً بالطحالب.
(2) الزنجار: الصدأ ـ كهربا: أحجار كريمة ـ الفلج في الأسنان: التباعد فيما بينها.
(3) تحضرم: تحول إلى حصرم ـ تزبَّبا: تحول إلى زبيب.
(4) تختل: استعمل الختل وهو الخداع والمكر.
(5) العقبىٰ: النهاية والخاتمة.
(6) متشبِّباً: متغزلاً فرحاً غلب عليك طيش الشباب.

وَخَفْ صارِماً هِزَّ المَدِيحُ فِرِنْدَهُ ... حَبيبٌ إليه أَنْ يُهَزَّ وَيُنْدَبا[1]
فلا فارَقَتْ منه السَّعادَةُ قائماً ... وَلا فلَّتَتْ منه الحَوادِثُ مَضْرِبا
ولا زالَ دينُ اللَّهِ يَرْضَى الذي قَضَى ... به في بَني الغالي وَيأبى الذي أبَى

40

قال الشاب الظريف يصف تجربة حبٌ مرَّ بها:

صَدَقْتُم، قَدُّهُ يَحكِي القَضِيْبَا ... أَلَمْ تَرَهُ حَوى زَهْراً وَطيْبَا؟[2]
مَلأتُ يَديهِ مِنْ يَاقوتِ دَمْعِي ... وَكُنْتُ مَحَقْتُ لُؤلُؤَهُ نحيْبَا[3]
ذُهِلْتُ عن النَّسيبِ بِهِ فباتَتْ ... محاسِنُهُ تُعلِّمني النَّسيْبَا
أيَا قمراً، أعِذْ عِندي طُلُوعاً ... وإلاَّ فاتَّخذْ عِنْدي مَغيبَا
ويالَيلَ الذَّوائِبِ طُلْتَ فاقصُرْ ... وكُنْ من تحتِ أَخْمصِهِ قَريْباً[4]

41

قال بهاء الدين زهير:

رَسُولَ الرِّضَا أهْلاً وَسهلاً وَمرْحَبَا ... حديثُكَ ما أحلاهُ عندي وَأطيَبَا
ويَا مُهْدِياً مِمّنْ أُحبّ سَلامَهُ ... علَيكَ سَلامُ اللَّهِ ما هبَّتِ الصَّبَا[5]
ويَا مُحسِناً قد جاءَ من عندِ محْسنٍ ... ويَا طَيِّباً أهدَى مِنَ القوْلِ طَيِّبَا
لقد سرَّني ما قَد سَمِعْتُ منَ الرِّضَا ... وَقد هَزَّني ذاكَ الحَديثُ وَأطْرَبَا

---

(1) الصارم: السيف ـ الفرند: لمعانه وصفاء معدنه.
(2) القضيب: الغصن.
(3) لؤلؤه: يقصد دمعهُ.
(4) الذوائب: شعر مقدم الرأس، الناصية. الأخمص: باطن القدم الذي لا يمس الأرض.
(5) الصَّبا: ريح تهب من المشرق.

وَبَشَّرْتَ باليَوْمِ الذي فيهِ نَلتَقي ألا إنَّهُ يَوْمٌ يكونُ لَهُ نَبَا
فعرِّضْ إذا ما جُزْتَ بالبَانِ وَالحِمَى وَإيَّاكَ أنْ تَنسَى فتذكرَ زَيْنَبَا
سَتكْفيكَ مِنْ ذاكَ المسمَّى إشارَةٌ وَدَعْهُ مَصُوناً بالجَمَالِ محَجَّبَا
أشرْ لي بوَصْفٍ وَاحدٍ من صِفاتِهِ تكنْ مثلَ مَن سَمَّى وَكَنَّى وَلَقَّبَا
وَزِدني منْ ذاكَ الحَديثِ لعَلَّني أصَدِّقُ أمْراً كنتُ فيهِ مُكذِّبَا
سأكتُبُ ممَّا قد جرَى في عِتابِنَا كتاباً بدَمعي للمُحَبِّينَ مُذهَبَا
عجِبتُ لطيفٍ زارَ باللَّيلِ مَضْجَعي وَعادَ وَلم يَشفِ الفُؤادَ المُعذَّبَا
فأوْهَمَني أمْراً وَقلتُ لَعَلَّهُ رَأى حالَةً لم يَرْضَها فتَجَنَّبَا
وَما صَدَّ عن أمْرٍ مُريبٍ وَإنَّمَا رَآني قَتيلاً في الدُّجَى فتَهَيَّبَا(1)

42

قال ابن نباتة يمدح كمال الدين بن الزملكاني:

قَضَى ومَا قُضِيَتْ مِنْكُم لبانَاتُ متيمٌ عبثَتْ فيهِ الصَّباباتُ
ما فاضَ من جفنِهِ يومَ الرحيلِ دمٌ إلاَّ وفي قلبِهِ منكُمْ جِراحاتُ
غِبْتُمْ فغابَتْ مسرَّاتُ القلوبِ فلا أنتمْ بزعمي ولا تلكَ المسراتُ
أحبابَنا كلُّ عضوٍ في محبَّتِكُمْ كليمُ وجدٍ فهلْ للوصلِ مِيقاتُ(2)
يا حبَّذا في الصَّبا عن حَيِّكم خبرٌ وفي بروقِ الغَضَا منكُم إشاراتُ(3)
وحبَّذا زمنُ اللهوِ الذي انقرضَتْ أوقاتُهُ الغرُّ والأعمالُ نيّاتُ
حَيثُ المنازلُ رَوضاةٌ مدبَّجَةٌ وحيثُ جاراتها غيثٌ سحاباتُ(4)
أيامَ ما شعرَ البينُ المشتُّ بِنا ولا خَلتْ من مغاني الأُنسِ أبياتُ

---

(1) الدُّجى: الظلام.
(2) كليم: جريح.
(3) الغضا: شجر.
(4) مدبَّجة: مسْقيَّة ومخضرَّة ومزدهرة.

حيثُ الشَّبابُ قضاياهُ منفذَّةٌ   وحيثُ لي في الذي أهوى وِلاياتُ
وحيث أسعى لأوطانِ الصِّبى مرَحاً   ولي على حُكْمِ أيامي وِلاياتُ
ورُبَّ حانةِ خمارٍ طرقتُ ولا   حانَتْ ولا طرقَتْ للقصفِ حاناتُ[1]
سبقتُ قاصِدَ مغناها وكنتُ فتًى   إلى المُدَامِ له بالسَّبقِ عَاداتُ
أعشو إلى دَيرِها الأقصى وقد لمعَتْ   تحتَ الدُّجى فكأنَّ الدَّيرَ مِشكاةُ[2]
وأكشفُ الحُجبَ عنها وهي صافيةٌ   لم يبقَ في دنِّها إلاَّ صُباباتُ
راحٌ زحفتُ على جيشِ الهمومِ بِها   حتى كأنَّ سَنَا الأكوابِ راياتُ[3]
وبتُّ أجلو على النُّدمانِ رَوْنقها   حتى لقد أصْبَحُوا من قبلِ ما باتوا[4]
مصونةُ السِّرِّ ماتتْ دونَ غايتها   حاجاتُ قومٍ وللحاجاتِ أوقاتُ
تجولُ حولَ أوانيها أشِعتُها   كأنَّما هيَ للكاساتِ كاساتُ
وتصبح الشُّرَّبُ صرعى دونَ مَجْلسِها   وهيَ الحياةُ كأنَّ الشربَ أمواتُ
تذكرتْ عند قومٍ دوْسَ أرجلِهِمْ   فاسترجعَتْ من رؤوسِ القومِ ثاراتُ
واستضحَكَتْ فلها في كلِّ ناحيةٍ   هبَّاتُ حسنٍ وفي الآنافِ هبَّاتُ
كأنها في أكفِّ الطائفينَ بها   نارٌ تطوفُ بها في الأرضِ جنَّاتُ
من كلِّ أغيدَ في دينارِ وجنتِهِ   توزَّعتْ من قلوبِ الناسِ حبَّاتُ[5]
مبلبلُ الصِّدغِ طوعُ الوصلِ منعطِفٌ   كأنَّ أصداغَهُ للعطفِ واواتُ[6]
ترنَّحتْ وهيَ في كفَّيهِ من طَربٍ   حتى لقد رَقَصَتْ تلكَ الزجاجاتُ
وقمتُ أشربُ من فيهِ وخمرتهِ   شُرباً تُشَنُّ به في العقلِ غاراتُ
وينزلُ اللثمُ خدَّيهِ فينشدها   هيَ المنازلُ لي فيها علاماتُ

(1) طرقتُ: زُرتُ ليلاً ـ القصف: اللهو واللعب والافتتان في الطعام والشراب.
(2) أعشو: أسير وقت العِشاء ـ مشكاة: كوَّةٌ في الحائط يوضع فيها المصباح.
(3) سنا: ضوء.
(4) الندمان: جمع نديم وهو المنادم على الشراب.
(5) الأغيد: المتثني بلين ولطافة.
(6) الصدغ: جانب الوجه بين العين والأذن.

سُقياً لتلك اللُيَيْلاتِ التي سَلَفتْ فإنَّما العمرُ هاتيكَ اللُيَيْلاتُ[1]
تقاصَرتْ عن معاليها الدهورُ كَما تقاصرَتْ عن كمالِ الدينِ ساداتُ
حِبرٌ رأينا يقينَ الجودِ من يَدهِ وأكثرُ الجودِ في الدُّنيا حكاياتُ
محجَّبُ العزِّ في أيَّامِ سُؤدَدِهِ للعزِّ محوٌ وللامداحِ إثباتُ[2]
سما على الخلقِ فاستسقوا مواهِبَهُ لا غروَ أن تسقيَ الأرضَ السمواتُ
واستشرفَ العلمَ مصقولاً سوالفَهُ بدهرِهِ وزَهَتْ لليُمنِ وَجَناتُ
واستأنفَ الناسُ للأيام طيبَ ثناً منْ بعدِ ما كثرتْ فيها الشكاياتُ
لا يختشي موتَ نُعمى كفِّهِ بشرٌ كأنَّ أنعمهُ للخلقِ أقواتُ
ولا تزحزَحُ عن فضلٍ شمائِلُهُ كَأنَّها لبدورِ الفضلِ هالاتُ
يا شاكيَ الدَّهرِ يمِّمهُ وقد غُفرتْ من حوْل أبوابهِ للدَّهر زَلأَتُ[3]
ويا أخا الذّنبِ قابلْ عفوه أَمَماً أيانَ لا ملجأٌ أَوْ لا مغاراتُ
ولا يغرَّنكَ غفرانٌ فتغمرهُ فللعقارِ على لينٍ شراراتُ[4]
ويا فتى العلمِ إنْ أعْيتكَ مُشكلةٌ هذا حِماهُ المرجَّى والهداياتُ
ويا أخَا السعيِ في علمٍ وفي كرم هذي الهدايا وهاتيكَ الهداياتُ
لا تطلبنَّ مِن الأيامِ مشبهَهُ ففي طِلابكَ للأيامِ إعْناتُ[5]
ولا تُصِخ لأحاديثِ الذينَ مَضَوا ألوي العنانَ بما تُملي الرواياتُ
طالعْ فتاوِيهِ واستنزِلْ فُتوَّتهُ تلقَ الإفاداتِ تتلوها الإفاداتُ
وحبِّرِ الوصفَ في فضلٍ بأيسرِهِ تكادُ تنطقُ بالوصفِ الجماداتُ
فتًى تناولَ صحفَ المجدِ أجمعها من قبلِ ما رُقمت في الخدِّ خطَّاتُ
حامي الدِّيارِ بأقلامٍ مسدَّدةٍ تأخر الشكُّ عنها والغواياتُ

(1) اللُيَيْلات: تصغير ليلات.
(2) السؤدد: السيادة.
(3) يمّمهُ: اقصدْهُ وتوجَّهْ إليه.
(4) العقار: الخمر.
(5) إعناتُ: يقال أعنتهُ: أي: أوقعه في مشقة وشدَّة.

حـامـي الـذِّمـارِ بـأقـلامٍ لـهـا مـدَدٌ ... منَ الهدى واسمُهُ في الطرسِ مدَّاتُ(1)

قـويـمـةٌ تـمـنـعُ الإسـلامَ مـن خـطـرٍ ... فـأعـجـبْ لـهـا ألـفـاتٌ وهـيَ لامـاتُ

تـعـلَّـمـتَ بـأسَ آسـادٍ وصـوبَ حـيّـاً ... منذُ اغتدتْ وهي للآسادِ غاباتُ(2)

وعُـوِّدَتْ قـتـلَ ذي زَيـغٍ وذي خَـطَـلٍ ... كأنَّها منْ كسيرِ الحظِّ فضلاتُ(3)

وجاورَت يد ذاكَ البحرِ فابتسمَتْ ... هنالِكَ الكلماتُ الجوهرِيَّاتُ

لفظٌ تشفُّ عن المعنى لطافته ... كما تشفُّ عنِ الرَّاحِ الزُّجاجاتُ

عوِّذْ بياسينَ أطراساً براحتِهِ ... فيها من الزخرفِ المشهودِ آياتُ

واستجلِ منطِقَهُ الأعلى وطاعَتَهُ ... تجلى الشكوكُ ولا تُشكى الدَّجنَّاتُ(4)

أغرُّ يهوى مُعادَ الذكرِ عنهُ إذا ... قيلَ المُعاداتُ أخبارٌ مُعاداتُ

تعجُّ طلاَّبهُ من حولِ ساحَتِهِ ... فما تفهَّمُ من ناديهِ أصواتُ

وفدٌ وخيلٌ وآبالٌ محبِّرةٌ ... مدحاً قد اختلفتْ فيهِ العباراتُ

إذا تعمَّقَ في نعماءَ ضاعفَها ... كأنَّ كلَّ نهاياتٍ بداياتُ

وإنْ خطا للمعاليْ خطوةً بهرَتْ ... كأنَّ أوَّلَ ما يخطوهُ غاياتُ

لا عيبَ فيه سوى علياءَ معجزة ... فيها لأهلِ العُلى قِدمَاً نكاياتُ

يجري دمُ التبرِ للنزَّالِ بعدهمُ ... هذا هو الجودُ لاَ نابٌ ولا شاةُ(5)

ويجتلى من سجاياهُ التي اشتهرَتْ ... للضدِّ هُلكٌ وللمعتزِّ منجاةُ

فلا وقايةَ تحمي وفدَ راحتِهِ ... بلى على عرضهِ الأنقى وقاياتُ

ولا مِثالَ لما شادَتْ عزائمُهُ ... إلاَّ إذا نيلَتِ الشُّهبُ المنيراتُ

في كلِّ يومٍ دروسٌ من فوائِدِهِ ... ومنْ بوادىءِ نعماهُ إعاداتُ

صلى وراءَ أياديهِ الحيا فعلى ... تلكَ الأياديْ منَ السُّحبِ التحيَّاتُ

(1) الطرس: الكتاب أو الصحيفة.

(2) الصَّوب: المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي.

(3) الخطل: الحُمقُ والكلام الفاسد المضطرب.

(4) الدَّجنَّاتُ: الظُّلُماتُ.

(5) التبر: الذهب والفضة قبل أن يُصَاغا.

وصدَّ عما يرومُ اللومُ نائِلُهُ ... فما تفيدُ ولا تجدي الملاماتُ
يرَامُ تأخيرُ جدْواهُ وَهمتُهُ ... تقولُ إيْهَاً فللتأخيرِ آفاتُ
من معشرٍ نُجُبٍ ماتوا وتحسبَهُمْ ... للمكرُماتِ وطيبِ الذِّكرِ ما ماتوا
ممدَّحين لهمْ في كلِّ شارِقةٍ ... برٌّ وتحت سجوفِ الليلِ إخبَاتُ(1)
لا تشتكي الجور إلاَّ من تعانِدُهُم ... ولا تذمُهُمُ في المحلِ جاراتُ
ولا تسوقُ رياحُ المزنِ أيسرَ ما ... ساقتهُ تلكَ النُّفوسُ الأريحيَّاتُ(2)
بيتٌ أتمَّتْهُ أوصَافُ الكمالِ كَما ... تمَّتْ بقافِيةِ المنظومِ أبياتُ
ما روضةٌ قلَّدتْ إحياءَ سَوْسَنِهَا ... من السَّحابِ عُقودُ لؤلؤيَّاتُ
وخطَّتِ الريحُ خطاً في مناهِلِهَا ... كأنَّ قطرَ الغوادي فيه جَرياتُ
وللجداولِ تصفيقٌ بساحَتِها ... والقطرُ روضٌ وللأطيارِ رنَّاتُ
يوماً بأبهجَ من أخلاقهِ نظراً ... أيامَ تنكر أخلاقٌ سرِيَّاتُ
ولا الغيوثُ بأسخى من عوائِدِهِ ... أيامَ تعيي السجيَّاتُ السخياتُ
ولا الشموسُ بأجلَى منْ فضائِلِهِ ... أيامَ تدجُو الظنونُ اللوذَعيَّاتُ(3)
ولا النجومُ بأنآى من مراتبهِ ... أيامَ تقتصرُ الأيديْ العليَّاتُ
قدرٌ علا فرأى في كلِّ شمسِ ضُحى ... جمالَهُ فكأنَّ الشمسَ مرآةٌ
وهمةٌ ذِكرُها سارٍ وأنعمها ... فحيثما كنتَ أنهارٌ وروضَاتُ
يا ابنَ المدائحِ إن أمدحْ سواكَ بها ... فتلكَ فيهِمْ عوارٍ مستردَّاتُ
لي نيّةٌ فيكَ إذْ لي فيهِمْ كَلِمٌ ... وإنما لبني الأعمَالِ نيَّاتُ
اللَّهُ جَاركَ من ريبِ الزمانِ لقد ... تجمَّعتْ للمعاليْ فيكَ أشتاتُ
جاورتُ بابكَ فاستصْلَحْتَ لي زمني ... حتَّى صفا وانقضَتْ تلكَ العداواتُ
ولاطفتني الليالي فهيَ حينئذٍ ... من بعدِ أهليَ عمَّاتٌ وخالاتُ
ونطَّقتني الأياديْ بالعيونِ ثنًى ... فللكواكبِ كالآذانِ إنْصاتُ

(1) سجوف: نقول أسجفَ الليلُ إذا أظلم ـ الأخبات: الاطمئنان.
(2) المزن: الغيوم الماطرة.
(3) اللوذعي: الذكي الظريف الفطِن واللَّسِن الفصيح.

وبِتُّ لا أشتكي حالاً إذا شُكِيَتْ ... في بابِ غيرِكَ أحوالٌ وحالاتُ
إلاَّ ذويْ كلمٍ لو أنَّ محتسباً ... تكلمتْ من جميعِ القومِ هاماتُ
يزاحمونَ بأشعارٍ ملفَّقةٍ ... كأنَّها بين أهلِ الشعرِ حشواتُ
ويطرحونَ على الأبوابِ من حمقٍ ... قصائداً هيَ في التَّحقيقِ باباتُ
من كلِّ أبلهَ لكنْ ما لفطنتِهِ ... كالبُلْهِ في هذهِ الدنيا إصاباتُ
يحمُّ حين يعاني نظمَ قافيةٍ ... عجزاً فتظهرُهَا تلكَ الخُرافاتُ[1]
وَيغتدي فكرهُ المكدودُ في حُرَقٍ ... وقد أحاطَتْ بما قالَ البروداتُ
وقد يجيءُ بمعنًى بعدَ ذا حسنٍ ... لكن على كَتِفَيْهِ منهُ كاراتُ[2]
أعيذُ مجدَكَ من ألفاظهمْ فلها ... جنًى كأنَّ معانيهِمْ جِناياتُ
لا يغرهمْ بندىً يأتيهُمُ فكفى ... مدحاً بأنْ يتأتَّى منكَ إنصاتُ
إن لم تفرِّقْ بفضلٍ بينَ نظمهمُ ... وبينَ نظمي فما للفضلِ لذَّاتُ
حاشاكَ أن تتساوى في جنابكَ مِنْ ... قصائدِ الشِّعرِ سوآتٌ وجَبهاتُ
خذها عروساً لها في كل جارحةٍ ... لواحظٌ وكؤوسٌ بابليَّاتُ
أوردتُ سؤددكَ الأعلى مواردَها ... وللسُّهَا في بحارِ الأفقِ عبَّاتُ[3]
شماءُ يركعُ نظمُ الناظمينَ لها ... كأنَّما ألفاتُ الخطِّ دالاتُ
نعمَ الفتى أنتَ يُستصغى الكلامُ لهُ ... حتَّى تسير لهُ في العقلِ سَوْرَاتُ
ويطربُ المدحُ فيهِ حينَ أكْتُبُهُ ... كأنَّ منتصبَ الأقلامِ ناياتُ
ما بعد غيثكَ غيثٌ يستفادُ ولا ... من بعدِ إثباتِ قولي فيكَ إثباتُ
خصصت بالمِدَحِ اللاتي قد ارتَفَعَتْ ... مِنِّي الثناءَ ومِنْ نعماكَ آلاتُ
فَسُدْ وشُدْ وابقَ ما دام الزمانُ ففي ... بقياكَ للدِّينِ والدُّنيا عناياتُ
حزتَ المحامدَ حتَّى مالِذِيْ شَرَفٍ ... مِنْ صُورَةِ الحمدِ لا جسمٌ ولا ذاتُ

---

(1) يحمُّ: يُصاب بالحمىٰ.

(2) كارات: جمع كارة: وهي ما يُجمع ويشدُّ ويُحملُ على الظهر من ثياب وطعام.

(3) السها: نجم.

43

قال البرعي رحمه الله فيه ﷺ:

بـالأَبْـرَقِ الـفَـرْدِ أَطْـلالٌ قَـدِيـمـاتُ ... لآلِ هِـنْـدٍ عَـفَـتْـهُـنَّ الـغَـمـامـاتُ[1]
ومَـلْـعَـبٍ لَـعِـبَـتْ هَـوْجُ الـرِّيـاحِ بِـهِ ... كـأَنَّـهُـمْ فـيـه مـا ظَـلُّـوا ولا بـاتُـوا
تَـنَـكَّـرَ الـعَـلَـمُ الـغَـرْبـيُّ مـن أَضَـمٍ ... وأَقْـفَـرَتْ بَـعْـدَ بَـيْـنِ الـرَّكْـبِ رامـاتُ
تَشْتيتُهُمْ جَمَعَ الأَحْزانَ في كَبَدِي ... فـالـهَـمُّ مُـجْـتَـمِـعٌ والـرَّكْـبُ أَشْـتـاتُ
فـإنْ أَنِـسَـتْ غَـيـابـاتُ الـفُـؤادِ بِـهِـمْ ... فَـهُـمْ أُحَـيْـبـابُ قَـلْـبِـي يـا غَـيـابـاتُ
فيا حماماتِ وادِي البانِ شَجْوُكَ فِي ... ظِلِّ الأَراكِ شَجانِي يا حَماماتُ[2]
ويـا أُثَـيْـلاتِ نَـجْـدٍ مـا لَـعِـبْـتِ ضُـحًـى ... إلاَّ لَـعِـبْـتِ بِـقَـلْـبـي يـا أُثَـيْـلاتُ
تَـهِـيـجُ لَـوْعَـةُ قَـلْـبِـي الـمُـسْـتَـهـامِ إذا ... هَـبَّـتْ بِـنَـشْـرِ الصَّـبـا الـنَّـجْـدِيِّ هَـبَّـاتِ
فَـكَـيْـفَ حـالُ بَـعِـيـدِ الـدَّارِ مُـغْـتَـرِبٍ ... لَـهُ إلـى الـشَّـامِ حَـنَّـاتٌ وأَنَّـاتُ
يَـهْـدِي الـتَّـحِـيَّـةَ مـن نَـيَّـابَـتَـيْ بُـرَعٍ ... إلـى نَـبِـيٍّ عَـطـايـاهُ جَـزِيـلاتُ
مُـحَـمَّـدٍ سَـيِّـدِ الـخَـلْـقِ الـذي امْـتَـلأَتْ ... مِـنْ نُـورِهِ الأَرْضُ والـسَّـبْـعُ الـسَّـمَـواتُ
أَسْرى بِهِ اللَّهُ من أَرْضِ الحِجاز إلى ... أَنْ قَبَّلَتْ نَعْلَهُ الحُجْبُ الرَّفِيعاتُ
أَدْنـاهُ مـن قـابَ قَـوْسٍ حِـيـنَ كَـلَّـمَـهُ ... بـالـغَـيْـبِ من بَـعْـدِ مـا قـالَ الـتَّـحِـيَّـاتُ[3]
وزادَهُ مِـنْـهُ تَـشْـرِيـفـاً وشَـفَّـعَـهُ ... فـي الـخَـلْـقِ لا عُـدِمَـتْ مِـنْـهُ الـشَّـفـاعَـاتُ
فـالـبَـذْرُ والـبَـحْـرُ والـقَـطْـرُ الـمُـلِـثُّ حَـيـاً ... والـفَـضْـلُ والـفَـخْـرُ فـيْـهِ والـكَـرامـاتُ[4]
تـالـلَّـهِ مـا ارْتَـفَـعَـتْ لِـلـدِّيـنِ مَـرْتَـبَـةٌ ... لَـوْلا مَـراتِـبُـهُ الـشُّـمُّ الـمَـنِـيـعـاتُ
أَحْـيـا الـزَّمـانَ فـأَيَّـامُ الـزَّمـانِ بِـهِ ... يَـوْمـانِ فـي الـلَّـهِ إنْـعـامٌ وَغـاراتُ
وقَـلَّ شَـوْكَـةَ أَهْـلِ الـشِّـرْكِ مُـرْتَـضِـيـاً ... لـلَّـهِ رَبّـاً فَـمـا الـعُـزَّى وَمـا الـلاَّتُ[5]

---

(1) عفتهنَّ: أزالتهنَّ ومحتهنَّ.
(2) البان والأراك: نوعان من الشجر.
(3) القاب: هو ما بين قبضة القوس وطرفه.
(4) الملثُّ: الهادىء والخفيف.
(5) اللات والعزّىٰ: صنمان كانا يُعبدان في الجاهلية.

فالخَيْلُ تَصْهَلُ والأَرْماحُ شاجِرَةٌ والبَيْضُ والبيضُ مَسْراها العَجاجاتُ[1]
ما اسْتَمطَرَتْهُ ثُغُورُ المُشْرِكِينَ حَياً إلاَّ سَقَتْها القَنا والمشْرَفِيَّاتُ[2]
مِنِّي السَّلامُ على القَبْرِ الذي اعْتَكَفَتْ فِيهِ العُلى وانْتَهَتْ فيه النِّهاياتُ
وجادَ طَيْبَةَ مَرْفَضٌّ تَلُوحُ بِهِ زَهْرُ الرِّياضِ وتَخْضَرُ البَشاماتُ
أَرْضٌ سَمَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ أَشْرَفَ مَنْ تَشَرَّفَتْ فيه آباءٌ وأُمَّاتُ[3]
متى أرى النُّورَ من أرْجاء قُبَّتِهِ مَتى تُباشِرُنِي مِنْهُ البِشاراتُ
فإنْ وَلِهْتُ إلى قَبْرِ ابْنِ آمِنَةٍ فَهو الذي خُتِمَتْ فيه الرِّسالاتُ
ذاكَ الحَبِيبُ الذي تَرْجُو عَواطِفَهُ وبِرَّهُ الخَلْقُ أحْياءٌ وأمْواتُ
البَدْرُ شُقَّ له والغَيْمُ ظَلَّلَهُ والجِذْعُ حَنَّ وسَبَّحْنَ الحَصِيَّاتُ
وشاهُ جابِرَ يَوْمَ الجَيْشِ مُعْجِزَةٌ نِعْمَ النَّبِيُّ ونِعْمَ الجَيْش والشَّاةُ
وكانَ في الشَّمْسِ نُوراً لَيْسَ تَشْخَصُهُ ظِلٌّ بِذلِكَ جاءَتْنا الرِّواياتُ
لهُ فَخارٌ وتَعْظِيمٌ ومَرْتَبَةٌ ومُعْجِزاتٌ كَثِيراتٌ وآياتُ
مَوْلايَ مَوْلايَ فَرِّجْ كُلَّ مَعْظَمَةٍ عَنِّي فَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الخَطِيئاتُ
وعُدْ عَلَيَّ بِما عَوَّدْتَنِي كَرَماً فَكَمْ جَرَتْ لِي بِخَيْرٍ مِنْكَ عاداتُ
وامْنَعْ حِمايَ وَهبْ لي مِنْكَ مَكْرُمَةً يا مَنْ مَواهِبُهُ خَيْرٌ وخَيْراتُ
واعْطِفْ عَلَيَّ وخُذْ يا سَيِّدِي بِيَدِي إذا دَهَتْنِي المُلِمَّاتُ المُهِمَّاتُ
فَقَدْ وَقَفْتُ بِبابِ الجُودِ مُعْتَذِراً والعَفْوُ مُتَّسِعٌ والعُذْرُ أبْياتُ
وقُلْ غَداً أَنْتَ من أَهْلِ اليَمِينِ إذا زُخْرِفَتْ لِلدَّاخِلِينَ الخُلْدَ جَنَّاتُ
وإنْ مَدَحْتُكَ بالتَّقْصِيرِ مُعْتَرِفاً فَمَدْحُكَ الوَحْيُ والسَّبْعُ القِراآتُ
قُلْ لا يَخَفْ بَعْدَها عَبْدُ الرَّحِيم ومَنْ يَلِيهِ أَهْلٌ وصَحْبٌ أَوْ قَراباتُ
صَلَّى عَلَيْكَ إلٰهِي يا مُحَمَّدُ ما لاحَتْ بِنُورِكَ من بَدْرٍ عَلاماتُ

---

(1) شاجرة: كثيرة متنازعة ومختلفة ـ البَيْض الأولى: السيف ـ والبيض الثانية: قلنسوة من حديد يغطى بها الرأس.

(2) القنا والمشرفيات: الرماح والسيوف.

(3) أمّات: جمع أم.

وَالآلُ والـصَّـحْـبُ والأَزْواجُ كُـلُّـهُـمُ ... فَـهُـمْ لِسـاداتِ أَهْلِ الفَضْلِ ساداتُ

44

قالت عائشة الباعونية في ليلة المولد النبوي الشريف:

الـلَّـهُ أكـبـرُ كَـمْ وافَـتْ بِـشـاراتُ ... وكـمْ تـبـدَّتْ لـتـعـظـيـمٍ إشـاراتُ
وَكَـمْ تـجـلَّـتْ بـراهـيـنٌ ومـعـجـزةٌ ... وَكَـمْ تـوالَـتْ كـرامـاتٌ وآيـاتُ[1]
بِـلـيـلـةِ الـمـولِـدِ الـغـرَّاءِ حيـنَ دَنَـا ... لِوضعِ أحمدَ خيرِ الخلقِ ميقاتُ[2]
أَعـظِـمْ بـهـا لـيـلـةً جلَّـتْ بـدائِـعُـهَـا ... وأفصحَتْ بالهنا فيها الجمَاداتُ[3]
وضَـمَّـخـتْ سـائـرَ الأرجـاءِ وامـتـلأَتْ ... عِطراً وفاحَتْ من الأنحاءِ نَفحاتُ
وَدُقَّ طـبـلُ الـهَـنـا فـي كـلِّ نـاحـيَـةٍ ... وقـابـلـتْـهُ مـنَ الآفـاقِ كـوسَـاتُ[4]
وَزُيِّـنـتْ حَـضـراتُ الـغـيـبِ وانـتـصَـبَـتْ ... مِـنْ أجـلِ يـاسـيـنَ أعـلامٌ ورايَـاتُ
وَجُـلِّـلَ الـعـرشُ بـالأنـوارِ واتَّـشَـحَ الـ ... ـكـرسـيُّ وزُخـرِفَ فِـردَوسٌ وجَـنَّـاتُ
وفُـرِّقـتْ خـلَـعُ الـتـكـريـمِ فـي الـمـلأِ الأ ... عـلـى وضـجَّـتْ بـحـمـدِ الـلَّـهِ أصـواتُ
وأشـرقَ الـكـونُ بـالأنـوارِ واتـصـلَـتْ ... مـن الـهـواتِـفِ بـالـهـاديْ بـشـاراتُ
وَنـكِّـسَـتْ سـائـرُ الأصـنـامِ وانـقـلـبَـتْ ... كـأنَّـهـا لـم تـكُـنْ إلاَّ هـبَـاآتُ[5]
وَرُجَّ إِيـوانُ كـسـرى رَجَّـةً سـقَـطَـتْ ... لـبـأسِـهـا شُـرَفٌ مـنـهُ عـديْـدَاتُ[6]
وسـاءَ سـاوةَ غـيـضُ الـمـا وفـارسُ مِـنْ ... خُـمـودِ نـيـرانِـهِـم بـالـغـيـظِ قـد مـاتُـوا

---

(1) تجلَّت: ظهرت.
(2) الغرَّاء: المضيئة الشريفة - الميقات: الموعد.
(3) جلَّت: عظمت.
(4) الكوسات: الطبول.
(5) الهباء: الغبَار.
(6) الإيوان: المجلس والقصر.

والجنُّ صدَّتْ وآفاقُ السَّما مُلئَتْ ... شُهباً أُديمت بها منهُم حِراسَاتُ
وَأنشدَ الحالُ والآياتُ ظاهرةٌ ... وللعوالم إخباتٌ وإنصاتُ[1]
قد آنَ أنْ يُطلِعَ المولى برحمتِهِ ... شمساً يُدَرُّ بِها في الكونِ خيراتُ
ذاتُ زكَتْ فهيَ محوٌ في مُهَيمِنِهَا ... تحققاً ولها بالحقِّ إثباتُ
للمصطفى المجتبى ياسينَ منْ نزلتْ ... في مجدِهِ الفردِ إنجيلٌ وتوراةُ
ونالَ في ليلةِ الإسراءِ ما عجزتْ ... عن شرحِ أيسرِ معناهُ العباراتُ
وخُصَّ فيها بما لم يَدْرِهِ أحَدٌ ... وأمَّ جمعاً بهم يَسْمُو السمواتُ
وَهوَ المخصَّصُ في التَّقديمِ من قِدمٍ ... وحينَ أشهدَهُم والقومُ ذراتُ
وَهوَ الذي جاهُهُ الأعلى تلوذُ بهِ ... في سائرِ الأمرِ أعيانٌ وساداتُ
وَهوَ الذي لم أزلْ أجلوهُ في خَلَدي ... تحقُّقاً فكأنَّ القلبَ مرآةُ
وَحبُّهُ في صَميمي ساكنٌ وبهِ ... أرى نعيمي وَلي مِنهُ عنايَاتُ[2]
ما رُمتُ شيئاً ونادى السرُّ يا سنديْ ... إلاَّ وجاءَتْ بمأمولي العناياتُ
ولا عرانِيَ ضيقٌ واستغثْتُ بهِ ... إلاَّ وأوسعَ لي منهُ العطيَّاتُ[3]
ولا استجرتُ بهِ مِمَّا يروِّعُنِي ... إلا أمِنتُ وَوَافتني الحمايَاتُ
يَا أكرمَ الرسْلِ آمالي لديْكَ ولا ... يَخفى مُرادي ولي بالجبر عَاداتُ
وَأنتَ أكرمُ مخلوقٍ تمدُّ لهُ ... يدٌ فتملأها منهُ المَبرَّاتُ
عليكَ من صلواتِ اللَّهِ أفضلُها ... أزكى صلاةً بها للقلبِ وصلاتُ
والرسلُ والآلُ والأصحابُ قاطبةً ... ومَنْ لهمْ من قبيلِ الحقِّ جذْبَاتُ
ما زمجرَ الرعدُ بالتسبيحِ واتصلَتْ ... للَّهِ من قطراتِ الوذْقِ سَجداتُ[4]
وما تقشَّعَ غيمُ الحجبِ عن بَصَرٍ ... وأوضحَ الجمعُ في المعنى بياناتُ

---

(1) إخبات: اطمئنان وخشوع وتواضع.
(2) صميم الشيء: حقيقته وجوهره.
(3) عراني: أصابني.
(4) الودق: المطر.

45

قال ابن الفارض (*) يصف لوعته وحرقة قلبه بسبب بعده عن حبه الأوحد في بلاد الحجاز:

نَعَمْ، بالصَّبا، قلبي صَبا لأحِبَّتي؛ فيا حبَّذا ذاك الشَّذا حينَ هَبَّتِ[1]
سَرَتْ، فأسَرَّتْ للفؤادِ، غُدَيَّةً، أحاديثَ جيرانِ العُذيبِ، فسُرَّتِ[2]
مُهَيْنِمَةٌ بالرَّوْضِ، لَدْنٌ رِداؤها، بها مَرَضٌ، مِنْ شأنِهِ بُرْء عِلَّتي[3]
ولها بأعشاب الحِجازِ تَحَرّشٌ به، لا بخَمْرٍ، دونَ صَحْبيَ، سَكرتي
تُذَكّرُني العَهْدَ القَديم، لأنها حَديثةُ عَهْدٍ مِن أُهَيْلِ مَوَدّتي[4]
أيا زاجِراً حُمْرَ الأوارِكِ، تارِكَ الـ ـمَوَارِكِ، من أكوارها، كالأريكَةِ[5]
لك الخيرُ إن أوضَحتَ توضِحَ مُضْحِياً، وجُبْتَ فيافي خَبْتِ آرام وَجْرَةِ[6]
ونَكّبتَ عن كُثبِ العُريض مُعارِضاً حُزُوناً، لِحُزْوى، سائقاً لِسُوَيقَةِ[7]

(*) ابن الفارض 576ـ 632هـ: هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار. عرف بابن الفارض، لأن أباه كان يكتب فروض النساء على الرجال. اشتهر بشعره الصوفي، ذي المعاني العذبة الرقيقة. وهو في شعره كثير التكلّف في الصناعة الشعرية، فتجد المحسّنات البديعة في معظم شعره. توفي في القاهرة ودفن في سفح جبل المقطم في مكان يسمى (القرافة).

(1) الصَّبا: ريح تهب من المشرق ـ صَبا: اشتاق وحنَّ ـ الشَّذى: الرائحة الطيبة.

(2) سرت: سارت ليلاً ـ العُذيب: اسم منطقة فيها عين ماء.

(3) المهينمة: التي تصدر صوتاً منخفضاً غير مفهوم ـ لدنٌ: طري لين ـ بها مرض: ضعيفة رقيقة. البرء: الشفاء. العلة: المرض.

(4) أهيل: تصغير أهل.

(5) الزاجر: الذي يقود جماعة الإبل أو الخيل إلخ ـ الأوارك: الإبل ـ الموارك: الوسائد واحدتها موركة ـ الأكوار: كل ما يوضع على الراحلة من متاع وأثاث.

(6) أوضحت: أشرفت وأطليتَ. توضح: اسم مكان ـ مضحياً: وقت الضحىٰ ـ جبت: تجاوزت ـ الفيافي: الصحارىٰ واحدتها فيفاة ـ الخبت: الأرض المنخفضة ـ آرام: جمع رئم وهو الغزال ـ وجرة: اسم موضع تكثر فيه الغزلان.

(7) نكّبت: غيَّرت طريقَكَ ـ الكثب: التلال من الرمل الواحد كثيب ـ العريض: اسم مكان ـ معارضاً: مبتعداً. الحزون: عكس السهول الواحد حزن. حزوىٰ وسويقة: موضعان.

وبـايـنْ ـَ، بـانـاتٍ، كـذا، عـن طُـوَيْـلـعٍ، بِسَلْعٍ، فَسَلْ عن حِلّةٍ فيه حلّتِ(1)
وعَـرِّجْ بِـذَيّـاكَ الـفَـريـقِ، مُـبَـلِّـغـاً، سَلِمْتَ، عُرَيباً، ثَمّ عنّي تحيّتي(2)
فلي، بينَ هاتِيكَ الخيامِ، ضَنِينَةٌ عليّ بِجَمْعي، سَمْحَةٌ بِتشتّتي(3)
مُـحَـجَّـبَـةٌ بـيـنَ الأسِـنّـةِ والـظُّـبَـى، إليـهـا انـثَـنَـتْ ألـبابُـنا، إذ تـثَـنّـتِ(4)
مُـمَـنَّـعَـةٌ، خَـلْـعُ الـعِـذارِ نِـقـابُـهـا، مُسَرْبَلَةٌ بُرْدَيْنِ: قلبي وَمُهجتي(5)
تُتِيحُ المَنـايـا إذ تُبيحُ لـيَ المُنى، وَذاكَ رَخـيـصٌ مُـنْـيَـتـي بِـمـنِـيّـتـي(6)
وَما غَدَرَتْ في الحُبّ أنْ هَدَرَتْ دَمي بِشَرْعِ الهوى، لكن وَفَتْ إذ تَوَفّت
متى أوعدتْ أولتْ، وإن وَعدتْ لوتْ؛ وإن أقسَمَتْ: لا تُبرِىء السّقْمَ بَرّتِ(7)
وإنْ عَـرَضَـتْ أُطـرِقْ حَـيَـاءً وَهَـيـبَـةً؛ وإن أعرَضَتْ أشفِقْ، فلَم أتَلَفّتِ(8)
ولو لمْ يَزُرْني طيفُها، نحوَ مَضْجَعي، قَضَيْتُ، ولَم أسطِعْ أراها بِمُقلتي(9)
تَـخَـيُّـلَ زُورٍ كـانَ زَورُ خـيَـالِـهـا، لِمُشْبِهِهِ، عن غَيرِ رؤيا وَرؤيةِ(10)
بِـفَـرْطِ غـرامـي ذِكْـرَ قـيْـسٍ بـوَجْـدِهِ وبَهجتُها لُبْنى، أمَتُّ، وَأمّتِ(11)
فـلـم أرَ مـثـلـي عـاشِـقـاً، ذا صَـبَـابَـةٍ، ولا مثلَها مَعشوقَةً، ذاتَ بهجةِ
هي البَدرُ أوصافاً، وذاتي سَماؤها، سَمَتْ بي إليها همّتي، حينَ هَمّتِ(12)
مـنـازِلُـهـا مـنّـي الـذّراعُ، تَـوَسُّـداً، وقلْبي وطَرْفي أوْطَنَتْ، أوْ تجلّتِ(13)

(1) طويلع: اسم مكان فيه عين ماء - سلع: جبل.
(2) الفريق: الحي.
(3) الضنينة: البخيلة - بجمعي: باجتماعي معها.
(4) الأسنة: رؤوس الرماح - الظبى: نصال السيوف، الواحد ظبة - ألبابنا: عقولنا، الواحد لب.
(5) مسربلةٌ: لابسة - بردين: ثوبين.
(6) المنايا: جمع منيّة، وهو الموت.
(7) أوعدت: هدّدت - السقم: المرض.
(8) عرضت: أقبلت - أعرضت: أدبرت.
(9) قضيت: هلكتُ - مقلتي: عيني.
(10) الزور: الزيارة - الرؤيا: المشاهدة في المنام.
(11) أمّتِ: صارت في مقام الإمام.
(12) سمت: ارتفعت.
(13) تجلّت: ظهرت.

فما الوَدْقُ، إلا من تحلّبِ مَدْمَعي؛ وما البرْقُ، إلا مِن تَلَهّبِ زَفرَتي[1]

وكُنْتُ أرَى أنّ التّعشّقَ مِنْحَةٌ لقَلْبي، فما إن كان، إلا لِمِحْنَتي[2]

مُنَعَّمَةٌ أحْشَايَ كانَتْ قُبَيْلَ مَا دَعَتْها لِتَشْقَى بالغَرَامِ، فَلَبّتِ

فلا عادَ لي ذاكَ النّعيمُ، ولا أرى، منَ العَيْشِ، إلا أن أعيشَ بشَقْوَتي

ألا في سبيلِ الحُبّ حالي وما عسى بكُمْ أن أُلاقي، لوْ دَرَيْتُمْ، أحِبّتي

أخَذْتُمْ فؤادي، وهوَ بعْضي، فما الذي يَضُرّكُمُ أن تُتْبِعوهُ بِجُمْلَتي؟[3]

وجَدتُ بكم وجْداً، قُوى كلّ عاشقٍ، لَوِ احتَملَتْ من عبئِهِ البَعْضَ، كلّتِ[4]

برى أعظُمي، من أعظَم الشوق، ضِعفُ ما بجَفْني لِنَوْمي، أوْ بِضُعْفي لقُوّتي

وأنْحَلَني سُقْمٌ، لَهُ بجُفونِكُمْ غَرَامُ التِياعي بالفُؤادِ، وحَرْقتي

فَضُعْفي وسُقْمي: ذا كرَأْيِ عواذلي، وذاك حديثُ النّفسِ عنكُم برَجْعَتي[5]

وهَى جَسَدي مِمّا وهَى جلَدي، لِذا تَحَمُّلُهُ يَبْلى، وتَبْقى بلِيّتي[6]

وعُدْتُ بما لَمْ يُبْقِ مِنّيَ مَوْضِعاً لِضُرٍّ، لِعُوّادي حُضوري كغَيْبتي[7]

كأنّي هِلالُ الشّكّ، لوْلا تأوّهي، خَفِيتُ، فلمْ تُهْدَ العُيونُ لرُؤيتي[8]

فجِسْمي وقلبي: مُستحيلٌ وَواجِبٌ؛ وخَدّيَ مَنْدُوبٌ لِجَائِزِ عَبْرَتي[9]

وقالوا: جَرَتْ حُمْراً دموعُكَ، قلتُ: عن أمورٍ جَرَتْ، في كَثرةِ الشوْقِ، قَلّتِ[10]

نَحَرتُ لضَيْفِ الطيْفِ، في جَفْنِيَ الكَرى قِرًى، فَجَرى دَمْعي دماً فوْقَ وَجْنَتي[11]

---

(1) الودق: المطر.

(2) المنحة: الهدية والجائزة.

(3) جملتي: كُلّي.

(4) الوجد: شدة الحب ـ كلّت: عجزت.

(5) العواذل: اللائمين.

(6) وهىٰ: هزُل وضعف.

(7) العوّاد: الزائرون عند المرض.

(8) هلال الشك: الذي لم تثبت رؤيته.

(9) مستحيل: متغير ـ واجب: خافق، مندوب: مدعو ـ جائز: سائر. وفي البيت نشر وطي وتورية.

(10) جرت الثانية: وقعت وحدثت.

(11) نحرت: ذبحتُ.

فلا تُنكِرُوا، إن مسّني ضَرٌّ بيْنِكُم، *** عليّ سُؤالي كَشْفَ ذاكَ وَرَحْمَتي[1]
فصَبْري أراهُ، تحتَ قَدْري، عليكمُ، *** مُطاقاً، وعنكم، فاعذروا، فوْق قُدرتي
ولَمّا تَوافَيْنَا، عِشاءً، وَضَمّنا *** سَواءُ سَبيلَيْ ذي طَوىً، وَالثّنِيّةِ[2]
ومَنّتْ، وما ضَنّتْ عليّ بوَقْفَةٍ، *** تُعادِلُ عنْدي، بالمُعَرَّفِ، وَقْفتي[3]
عتَبْتُ، فلم تُعتِبْ، كَأن لم يكن لِقاً، *** وما كان إلاّ أن أشَرْتُ وَأوْمَتِ
أيا كعْبةَ الحُسْنِ، التي، لِجمالِها، *** قلوبُ أُولي الألبابِ، لَبّتْ وَحجّتِ
بريقُ الثّنايَا مِنْكِ أهدى لنا سنا *** بُرَيْقِ الثّنايا، فهْوَ خيرُ هَدِيّةِ[4]
وَأوْحَى لِعَيْنَي أنّ قَلْبي مُجاورٌ *** حِماكِ، فتاقَتْ لِلجَمالِ وَحَنّتِ[5]
ولوْلاكِ ما اسْتهدَيْتُ بُرْقاً، ولا شجَتْ *** فؤادي، فأبكتْ، إذ شدتْ، وُرْقُ أيكةِ[6]
فذاكَ هُدًى أهْدى إليّ: وهذه، *** على العُود، إذ غنّتْ، عن العودِ أغنَتِ
أرومُ، وقد طالَ المدَى، منْكِ نظْرةً، *** وكَم من دماءٍ، دون مَرْمايَ، طُلّتِ[7]
وقد كنتُ أُدعى، قبلَ حُبّيكِ، باسلاً، *** فعُدتُ به مُسْتَبْسِلاً، بعدَ مَنعَتي[8]
أُقادُ أسيراً، واصْطِباري مُهاجِري، *** وأنْجدُ أنصاري أسًى، بعدَ لَهْفَتي[9]
أما لَكِ عنْ صدٍّ أمالكِ عن صَدٍ *** لِظَلْمِكِ، ظُلماً منكِ، ميلٌ لعطفة؟[10]
فبَلُّ غَليلٍ مِنْ عليلٍ على شفاً، *** يُبِلّ شِفاءً منه، أعظَمُ مِنّةِ[11]

(1) فلا تنكروا: لا تستغربوا.
(2) سواء السبيل: الطريق المستقيم ـ ذي الطوىٰ والثنية: موضعان.
(3) ضنت: بخلت.
(4) الثنايا: الأسنان ـ الثنايا الثانية: اسم مكان.
(5) تاقت: اشتاقت.
(6) استهدىٰ: طلب الهداية ـ الورق: جماعة الحمام واحدتها ورقاء. الأيكة: الشجرة العظيمة.
(7) أروم: أطلب وأبغي ـ مرماي: المرمى: المطلب والغاية.
(8) حبيّكِ: حبي لك.
(9) اصطباري مهاجري: أي صبري نفد وذهب عني.
(10) أمالك الثانية: وجّهكِ بعيداً وصرفكِ. الصدي: العطشان.
(11) بلُّ: يقال بلَّ ريقه إلى شرب بعد عطش.

فلا تَحسبي أنّي فَنيتُ، من الضّنى، ... بِغَيْرِكِ، بل فيكِ الصّبابَةُ أبلَتِ[1]
جَمالُ مُحَياكَ، المَصُونُ لِثامُهُ ... عنِ اللّثْمِ، فيه عُدتُ حيّاً كميّتِ[2]
وجنّبَني حُبّيكِ وَصْلَ مُعاشِري، ... وحَبّبَني، ما عشتُ، قطْعَ عَشِيرَتي
وأبعَدَني، عن أرْبُعي، بُعدُ أربَعٍ: ... شبابي، وَعقلي، وارتياحي، وَصِحّتي[3]
فلي، بعدَ أوْطاني، سُكونٌ إلى الفلا، ... وبالوَحش أُنسي إذ من الإنس وَحْشتي
وزَهّدَ في وَصلي الغوانيَ، إذْ بَدا ... تبَلّجُ صُبْحِ الشيْبِ، في جِنحِ لِمّتي[4]
فرُحْنَ بحُزْنٍ جازِعاتٍ، بُعَيدَ ما ... فرِحنَ بِحَزْنِ الجَزْعِ بي، لِشَبيبتي[5]
جهِلْنَ، كلُوّامي، الهوى، لا علِمْنه، ... وخابوا، وإني منه مُكتهِلٌ، فَتي[6]
وفي قَطْعِيَ اللاّحي عليكِ، ولاتَ حِيـ ... ـنَ فيكِ لِجِدالٍ، كان وجهُكِ حُجّتي[7]
فأصْبَحَ لي، من بعدِ ما كان عاذِلاً ... به، عاذِراً، بل صارَ من أهل نَجْدتي[8]
وحَجّيَ، عَمْري، هادياً ظلّ مُهْدياً ... ضَلالَ مَلامي، مثْلَ حَجّي وعُمرَتي[9]
رَأى رَحباً سَمْعي الأبيَّ وَلَوْميَ الـ ... ـمُحَرَّمَ عنْ لُوْمٍ، وغِشّ النّصِيحةِ
وكمْ رامَ سِلْوَاني هواكِ، مُيَمِّماً ... سِواكِ، وَأنّى عَنْكِ تبديلُ نيّتي؟[10]
وقال: تَلافَ ما بَقي منكِ؛ قلتُ: ما ... أرانيَ إلا لِلتّلافِ تَلَفّتي[11]
إبائي أبَى إلاّ خِلافيَ، ناصِحاً، ... يحاوِلُ مِنّي شِيمَةً غَيرَ شِيمتي
يَلَذّ لهُ عَذْلي عليكِ، كأنما ... يَرى مَنّهُ مَنّي، وسَلْواهُ سَلْوَتي

---

(1) الصّبابة: شدة الشوق.
(2) المحيّا: الوجه.
(3) أربعي: جمع ربع وهو الدار وما حولها.
(4) اللمّة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(5) جازعات: خائفات - الجزع: منعطف الوادي.
(6) لوّامي: جمع لائمي - مكتهل: أصبح كهلاً.
(7) اللاحي عليكِ: أي الذي يخاصمني وينازعني بسببك - الحجة: البرهان والدليل.
(8) العاذر: تقول عذره إذا وضع له أعذاراً.
(9) حجي: وضعي للحجج - عمري: للقسم. مثل: لعمري - حجي وعمرتي: معروفان.
(10) ميمماً: متجهاً نحو.
(11) التلاف الثانية: الموت والفناء.

ومُعْرِضَةٍ عن سامِرِ الجَفْنِ، راهِبِ الـ ـفؤادِ المُعنّى، مُسلِمِ النفسِ، صَدّتِ[1]
تناءَتْ، فكانتْ لَذّةَ العَيشِ وانقضَتْ بِعُمري، فأيدي البَينِ مُدّتْ لمُدّتي
وبانَتْ، فأمّا حُسنُ صَبري فخانني؛ وأمّا جُفوني بالبكاءِ فوَفّتِ[2]
فلمْ يَرَ طَرْفي، بعْدها، ما يَسُرّني، فنَوْمي كصُبْحي حيثُ كانتْ مسَرّتي[3]
وقد سَخِنَتْ عَيْني عليها، كأنّها بها لم تكن، يوماً من الدّهرِ، قرّتِ[4]
فإنْسانُها مَيْتٌ، وَدَمعِيَ غُسْلُهُ، وأكفانُهُ ما ابيَضّ، حُزْناً، لفُرْقتي[5]
فلِلْعَينِ والأحشاء، أولَ هل أتى، تَلا عائِدي الآسي، وثالِثَ تَبّتِ
كأنّا حَلَفْنا، للرّقيبِ، على الجَفا، وأنْ لا وَفا، لكِن حَنَثْتُ وَبرّتِ[6]
وكانَتْ مَواثِيقُ الإخاءِ أخِيّةً، فلَمّا تَفرّقْنا عَقَدْتُ وَحَلّتِ
وتَاللّهِ، لمْ أختَرْ مَذَمّةَ غَدْرِهَا، وفاءً، وإنْ فاءتْ إلى خَترِ ذِمّتي[7]
سقَى، بالصّفا، الرَّبْعيُّ، رَبْعاً به الصّفا، وجادَ، بأجيادٍ، ثَرًى منهُ ثَرْوَتي[8]
مُخَيِّمَ لَذّاتي، وسَوْقَ مَآربي، وَقِبْلَةَ آمالي، ومَوْطِنَ صَبْوتي[9]
مَنازِلُ أُنسٍ، كُنّ، لم أنسَ ذِكرَها بِمنْ بُعدُها والقُرْب: ناري وَجنّتي
ومَنْ أجْلِها حالي بها، وَأُجِلّها عنِ المَنّ، ما لم تَخْفَ، وَالسقْمُ حُلّتي[10]
غَرامي، بِشَعْبِ عامرٍ شِعْبَ عامرٍ، غَريمي، وإنْ جاروا، فهم خيرُ جيرتي
ومِن بَعدِها، ما سُرّ سِرّي لِبُعدِها، وقد قَطَعَتْ مِنها رجائي بِخَيْبَتي

(1) سامر الجفن: الذي يقضي ليله ساهراً ـ المُعنّى: المنهك والمتعب.
(2) بانت: بعدت.
(3) طرفي: عيني.
(4) قرّت: بردت.
(5) إنسان العين: ناظرها.
(6) حنث: لم يفِ بوعده ـ برَّ: عكس حنث.
(7) فاءت: عادت ورجعت ـ ختر: غدر وخان.
(8) الصفا الأولى: اسم مكان ـ الربعي: المطر ينزل في الربيع ـ الثرى: التراب.
(9) المآرب: الغايات والمطالب ـ الصبوة: جهلة الفتوة.
(10) حلتي: لباسي.

وما جَزَعي، بالجَزْعِ، عن عَبَثٍ، ولا ... بَدا وَلَعاً فيها، وُلوعي بِلَوْعَتي (1)

على فائِتٍ من جَمْعِ جَمْعٍ تأسُّفي، ... وَوُدٌّ على وادي مُحَسِّرَ حَسْرَتي (2)

وَبَسْطٍ، طَوى قَبضُ التنائي بِساطَهُ ... لَنا بِطُوًى وَلّى بأرْغَدِ عِيشَةِ (3)

أبِيتُ بجَفْنٍ، للسُّهادِ، مُعانِقٍ، ... تُصافِحُ صَدري راحَتي، طولَ لَيلَتي (4)

وَذِكْرُ أُوَيقاتي، الّتي سَلَفَتْ بِها، ... سَمِيريَ، لو عادت أُوَيقاتيَ الّتي (5)

رَعى اللّهُ أيّاماً، بِظِلّ جَنابِها، ... سَرَقْتُ بِها، في غَفْلَةِ البَينِ، لَذّتي

وَما دارَ هَجرُ البُعدِ عنها بِخاطري، ... لديها، بِوَصْلِ القُربِ، في دارِ هِجرتي (6)

وقد كانَ عندي وصْلُها دونَ مطلَبي، ... فعاد تَمَنّي الهَجرِ، في القُرْب، قُرْبتي

وكم راحةٍ لي أقبَلَتْ، حينَ أقبلَتْ، ... ومِن راحتي، لمّا تَوَلّتْ، تَوَلّتِ (7)

كأنْ لمْ أكُنْ منها قريباً، ولمْ أزَلْ، ... بَعيداً، لأيٍّ ما له مِلْتُ مَلّتِ

غرامي أقِم صبري انْصَرِم دمعي انسجِم ... عدوي احتكم دهري انتقم حاسدي اشمت (8)

ويا جلَدي، بعد النّقا، لستَ مُسعِدي، ... ويا كبِدي عَزَّ اللّقا، فتَفَتّتي (9)

ولَمّا أبَتْ إلاّ جِماحاً، وَدارُها انـ ... ـتِزَاحاً، وضنّ الدّهرُ منها بأوبَةِ (10)

تَيَقّنْتُ أنْ لا دارَ، من بعدِ طَيبةٍ، ... تَطيبُ، وألاّ عِزّةً بعد عَزّةِ

سلامٌ على تِلكَ المعاهِدِ مِن فتًى، ... على حِفْظِ عهدِ العامِرِيّةِ، ما فَتي (11)

أعِذْ عندَ سمعي، شاديَ القوم، ذكرَ مَن ... بِهِجرانِها والوصلِ، جادَتْ وَضَنّتِ (12)

---

(1) الجزع: منعطف الوادي.

(2) جمع الثانية: اسم مكان ـ وادي محسّر: اسم مكان.

(3) البسط: السرور وعكسه القبض ـ طوىً الثانية: اسم مكان في الشام.

(4) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم.

(5) أويقاتي: تصغير أوقات ـ السمير: المؤانس والمحدث ليلاً.

(6) دار هجرتي: يقصد المدينة المنورة.

(7) تولت: ذهبت وبعدت.

(8) انسجم الدمعُ: انسكب وسال.

(9) الجلَد: الصبر والاحتمال ـ النقا: اسم مكان.

(10) جماحاً: نفوراً وامتناعاً ـ الأوبة: العودة.

(11) مافتي: ما زال.

(12) الشادي: المغني.

تُضَمّنُهُ ما قُلتُ، والسّكْرُ مُعلنٌ لسري، وما أخفت، بِصحوي، سريرتي

46

قال الشاب الظريف داعياً بالسقيا لمنزله في قاسيون:

يا قَطْرُ عُمَّ دمشق، واخصص منزلاً في قاسيونَ، وحَلّه بنبات[1]
وترنّمي يا ورُقُ فيه ويا صَبا مُرّي عليه بأطيب النفحات[2]
فيه الرضا فيه الهوى فيه الهدى فيه أصول سعادتي وحياتي
فيه الذي كشفَ العمَى عن ناظري وجلا شموسَ الحقّ في مرآتي
كفٌ تُمدّ بجوده نحوي وأخرى للسماء بسائر الدعوات

47

قال بهاء الدين زهير يمدح الأمير النصير اللمطي ويهنئه بالقدوم:

صَفْحاً لصَرْفِ الدهرِ عن هَفَوَاتِهِ إذ كانَ هذا اليَوْمُ من حَسَنَاتِهِ[3]
يوْمٌ يُسَطَّرُ في الكِتَابِ مكانُهُ كَمَكانِ بِسْمِ اللّهِ في خَتَماتِهِ
مَطَلَ الزّمانُ بهِ زَماناً أنفُساً أنِفَتْ وَعَادَ لهَا إلى عاداتِهِ
والغيثُ لايَسِمُ البلادَ بنَفْعِهِ إلاّ إذا اشتاقَتْ لوَسْمِيّاتِهِ[4]
يا مُعجِزَ الأيّامِ فَرْعُ صِفَاتِهِ وَمُجمّلَ الدّنْيا بحُسنِ صِفاتِهِ
بل أحنَفاً في حِلْمِهِ وَثَبَاتِهِ بل حارِثَ الهَيجاءِ في وَثَبَاتِهِ
بل كعبةَ المَعرُوفِ بل كِعبَ النّدى وَالماءُ يَقسِمُ شُرْبَهُ بحَصاتِهِ

---

(1) القطر: المطر.
(2) الورق: جمع ورقاء وهي الحمام ـ الصَّبا: ريح تهب من المشرق.
(3) الهفوات: جمع هفوة وهي الزَّلَّة.
(4) الوسميات: أول أمطار الربيع ـ يسمُ: يصيبُ.

إن كنتَ غِبتَ عن البلادِ فلم تَغِبْ   عن خاطري إذ أنتَ من خَطَراتِهِ
لوْ كنتَ فتّشتَ النّسيمَ وَجَدْتَهُ   ودعاؤنا يأتيكَ في طَيّاتِهِ
أحْبِبْ بسَفْرتِكَ التي بقدومِها   جَمَعتْ إلينا الجُودَ بعدَ شَتاتِهِ[1]
وأفادَكَ المَلَكانِ زائدَ رِفعَةٍ   كالسّيفِ يُصقَلُ بعد حَدِّ ظُباتِهِ[2]
وكفَى اهتماماً منهما بكَ أن غدا   كلٌّ يريدُكَ أنْ تكونَ لذاتِهِ
وَالجَدُّ إن أمضَى عزيمَةَ ماجِدٍ   راحَ السّكونُ يَنوبُ عن حرَكاتِهِ
وَأتَى البَشيرُ فَلوْ يَسوغُ لواجِدٍ   منّا لَقاسَمَهُ لَذيذَ حَياتِهِ
فارْبأ بعَزمكَ لَمْ تدَعْ من مَنصِبٍ   يُفضي إلى رُتَبِ العُلى لم تَأتِهِ[3]
وَتَفرَّعَتْ للمَجدِ منكَ ثَلاثَةٌ   كثَلاثةِ الجَوْزاءِ في جَنَباتِهِ[4]
مِن كلِّ مَهديٍّ غَدا في مَهدِهِ   يَسمُو إلى أسْلافِهِ بسِماتِهِ
أفضَى إلَيهِ المُشتري بسُعُودِهِ   وَأعاذَهُ بَهرامُ مِن سَطَواتِهِ[5]
شَرُفَتْ بنَصْرٍ في البريّةِ مَعشَرٌ   هوَ فيهِمُ كالسّنّ فوْقَ لِثاتِهِ
قوْمٌ همُ في البِيدِ خَيرُ سُراتِها   حَسَباً وَهم في الدّهر خيرُ سَرَاتِهِ[6]
شَرُفَ الزّمانُ بكلّ نَدْبٍ منهمُ   متَيَقّظٌ وَهَبَ العُلا غَفَوَاتِهِ
ألِفَ النّدى وَرَأى وُجوبَ صِلاتِهِ   كرَماً وَلم يُفرَضْ وُجوبُ صِلاتِهِ
يُؤتي المَنَايا وَالمُنى كاللّيثِ في   غابَاتِهِ وَالغَيثِ في غَبَّاتِهِ[7]
ذو عَزْمَةٍ إنْ راحَ في سَفَرَاتِهِ   سَكَبَتْ شَبا الهِنديّ من شَفَرَاتِهِ
يا مَنسَكَ المَعرُوفِ أحرَمَ منطِقي   زَمَناً وَقد لَبَّاكَ من مِيقاتِهِ[8]

(1) الشتات: البعد والتفرّق.
(2) الظبي: حد السيف.
(3) أربأ به: احتفظ به.
(4) الجوزاء: مجموعة نجوم في السماء.
(5) بهرام: المريخ.
(6) البيد: جمع بيداء وهي الصحراء القاحلة.
(7) الغبّات: هطولات المطر مرة بعد مرة.
(8) المنسك: الطقس من طقوس العبادة ومنه مناسك الحج.

هـذا زُهَـيـرُكَ لا زُهـيـر مُـزَيْـنَـةٍ وَافـاكَ لا هَـرِمـاً عـلـى عِـلاّتِـهِ[1]
دَعْـهُ وَحـولِـيَّـاتِـهِ ثـمّ اسـتَـمِـعْ لِزُهَـيـرِ عَـصـرِكَ حُـسـنَ لَـيـلِـيَّـاتِـهِ[2]
لـوْ أُنـشِـدَتْ فـي آلِ جَـفْـنَـةَ أضـرَبـوا عـن ذِكْـرِ حَـسّـانٍ وَعـن جَـفَـنـاتِـهِ[3]

48

قال ابن نباتة من قصيدة يمدح بها الملك المؤيد:

لولا معاني السِّحْرِ من لَحَظاتها ما طال تَرْدادي على أبياتها
لَمَا وقفتُ على الديار مُنادياً قلبي المتَيَّم من وَرَا حُجُراتها
دارٌ عرفتُ الوجدَ منذُ أتيتُها زمنَ الوصالِ، فليتني لم آتها![4]
حيث الظِّبا وكواعبٌ وحدائقٌ أنَّى التفتَّ رتعتَ في جَنَّاتها[5]
والرّاحُ هادِيةُ السرورِ إلى الحَشا مِثْلَ الكواكب في أكُفِّ سُقاتها
فلئن بكيتُ فإنَّ هذا الدمعَ مِنْ ذاك الحَبابِ يَفيض من جَنَباتها[6]
مالي وما لِلَّهْوِ بعدَ مَفارِقٍ قد نُفِّرت غربانُها بِبُزاتها؟[7]
والشيْبُ في فَوْدِي يخطُّ أهِلَّةً مَعْنَى المَنُون يَلُوحُ في نُوناتها[8]
سَقْياً لِرَوْضاتِ الشبابِ وإنْ جَنَتْ هذي الشجونَ على قلوبِ جُناتها[9]
ولدولةِ المَلِكِ المؤيَّدِ إنها جَمَعَتْ فنونَ المدح بعد شتاتها

---

(1) زهير: يقصد زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف ـ وهرم: هو ممدوح زهير.
(2) الحوليات: قصائد لزهير كان يكتبها وينقحها حولاً كاملاً قبل أن ينشدها.
(3) حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ، : وقوله: جفناته: يشير إلى قول حسان.
لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
(4) الوجد: شدة الحب.
(5) كواعب: مفردها كاعب وهي الفتاة أول بلوغها.
(6) الحباب: فقاقيع تظهر على سطح الماء أو الخمر.
(7) بزاتها: صقورها مفردها باز.
(8) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذنين ـ أهلة: جمع هلال.
(9) جنى: ارتكب ذنباً ـ الجناة: مفردها جانٍ، وجاني الثمرة هو قاطفها ومجتنيها.

49

قال ابن مليك الحموي في وصف الطبيعة والخمرة:

أحيَا الربيعُ الأرضَ بعدَ مماتِهَا ... وحَلا بِسكْبِ القطرِ عودُ نباتِهَا[1]
وَسَرى النسيمُ على الرياضِ وقدْ أتى ... يُهدِي إليكَ الطيبَ من نفحَاتِهَا[2]
والعودُ هزَّتْهُ الصَّبا، والطيرُ قَدْ ... غنَّتْ عليهِ باختلافِ لُغَاتها[3]
والزهرُ قدْ ألقى النِّثَارَ كأنَّما ... أدّتْ كُنوزُ الروضِ بعضَ زكاتِهَا[4]
وَالأرضُ كلَّلَها النَّدى بجواهِرٍ ... نُظِمَتْ عُقودُ الدُّر من حَبَّاتِهَا
والروضُ بِالرَّيحَانِ خرَّج أسْطُراً ... أضْحَتْ غصونُ البَانِ مِنْ ألفَاتِهَا
تَحْكِي عَنَادِلُهَا على أغْوادِهَا ... خُطبَاءَ تَتلُوا الوَعْظَ مِن سَجعَاتِهَا[5]
وَحَكَتْ جداوِلُهَا خَلاخيلاً وَقَدْ ... أضحى خريرُ الماءِ من رَنَّاتِهَا

واستطرد الشاعر بعد ذلك وتخلّص من وصف الطبيعة إلى نعتِ الخمرةِ فقال:

وَالصُّبْحُ من وَجْهِ الحبيبِ بَدا وقَدْ ... بَزَغَتْ شُموسُ الرَّاحِ منْ مِشْكَاتِهَا[6]
قَمْ نبِّهِ الإقداحَ إنَّ الشمسَ قَدْ ... شنَّتْ على جيشِ الدُّجَا غاراتِهَا[7]
واستجْلِ عُرسَ الرَّوْضِ في بَسْطِ الهَنَا ... فالرَّاحُ قَدْ خَضَبَتْ أكُفَّ سُقَاتِهَا
رَاحٌ إذا ما عَزَّ دَاوَكَ بُرْؤُهُ ... يَسْرِي إليْكَ البُرءُ مِنْ نَفَحَاتِهَا[8]

---

(1) القطر: المطر.
(2) الطيب: العطر.
(3) الصَّبا: ريح تهب من المشرق.
(4) النثار: ما نثر في حفلات السرور من النقود والحلوى.
(5) عنادل: جمع عندليب، طائر أسمر اللون.
(6) المشكاة: كوّة في الجدار يوضع فيها المصباح.
(7) الدجا: الظلام.
(8) البُرءُ: الشفاء.

طَافَتْ بِهَا تَسْقِي السُّقَاةَ فَقُمْ إلى ... مَيْزابِهَا واحجُجْ إلى مِيْقَاتِها[1]

50

قال ابن عربي ناصحاً للسالكين في طريق الله ﷻ:

أَعْرِضْ عَنِ الخَيْرِ ما استَطَعْتا ... فالخَيْرُ يَأْتِيكَ إن أَطَعْتا
لَبَّاكَ رَبُّ العِبادِ لَمَّا ... دَعَوْتَ بالصِّدْقِ لَوْ سَمِعْتا
وَقالَ يا عَبدِ كُنْ حَفِيظاً ... لِكُلِّ ما أَنْتَ قَدْ جَمَعْتا
واصْدَعْ بِأَمْرِ الإلٰهِ تُبْصِرْ ... نَتيجةَ الصِّدقِ إنْ صَدَعْتا[2]
وانْزَعْ لَهُ رُتبةَ المَعالِي ... يَحْمَدْ مَسْعاكَ إنْ نَزَعْتا
واكْرَعْ إذا ما وَرَدْتَ حَوْضاً ... فالرِّيُّ مَضْمُونٌ إنْ كَرَعْتا[3]
لا تَطْمَعَنْ إنْ رأَيْتَ رِبْحاً ... فَالخُسْرُ يَأْتِيكَ إنْ طَمِعْتا
إنْ قُلْتَ فِي حِكْمَةٍ بِأَمْرٍ ... مُسْتَحْسَنٍ أَنْتَ قَدْ شَرَعْتا
فَلا تَكُنْ ذا هَوىً وَرَأْيٍ ... وَلا تَقِسْ جُهْدَ ما استَطَعْتا[4]
وَلا تُقَلِّدْ وَلا تُعَلِّلْ ... إنْ أَنْتَ مَنْ أَرْسَلَ اتَّبَعْتا
إنْ كنتَ عِيسى وَكُنْتَ تَشْفى ... إِلَيْهِ مِنْ فَوْرِكُمْ رَفَعْتا
أَوْ كُنْتَ عِيسى وَكُنْتَ تُحْيِي ... مَيتَ أجداثِهِ وَضَعْتا[5]
أَوْ كُنْتَ عَيْناً لِكُلِّ كَوْنٍ ... وَفَّتْهُ رَحْمَةً بَرَعْتا
قَدْ كُنتَ لِلطَّبْعِ فِي سَفالٍ ... تَحْصِدُ فِيهِ الذي زَرَعْتا[6]

---

(1) الميزاب: أنبوبة يُصرف بها الماء من سطح البناء ـ الميقات: الموضع الذي جعل للشيء يُفعل عنده.

(2) اصدع بالأمر: بَيِّنْهُ واجهر به.

(3) الكرعُ: شُربُ الماء بالفم من موضعه دون استخدام الإناء أو الكفين.

(4) القياس: التقدير والربط بين المسائل والقضايا.

(5) الأجداث: القبور.

(6) السَّفال: ضد العلو والارتفاع.

حتَّى إذا ما انْتَهَيْتَ فِيهِ … رَفَعَكَ اللَّهُ فارْتَفَعْتَا
تُحْشَرُ فِي عَيْنِ كُلِّ كَوْنٍ … تَنْظُرُ فيهِ الذي صَنَعْتَا
مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ شرٍّ … عَلِمْتَ فِيهِ لَمَّا جَمَعْتَا
للَّهِ حَبْلٌ فصِلْهُ تَصْعَدْ … فإنْ تَكُنْ حَبْلَهُ قَطَعْتا[1]
شَقِيتَ فانْظُرْ بِأَيِّ أَرْضٍ … يَكُونُ مَثْواكَ إنْ وَقَعْتا[2]
إنَّ لَكَ الخَيرَ مِنْهُ حَتْماً … إنْ أَنْتَ فِي حَقِّهِ انْتَجَعْتا[3]
أَوْ كُنْتَ ذا فِتْنَةٍ بِوَلَدٍ … أَصْبَحْتَ فِيهِ وَقَدْ فُجِعْتا
أَوْ ظَمِئَتْ نَفْسُكُمْ نَاراً … بالصَّوْمِ أَوْ كُنْتَ فِيهِ جُعْتا
أَصَبْتَ خَيْراً بِكُلِّ وَجْهٍ … وَتِهْتَ تِيهاً بِهِ وَضَعْتا[4]
ما كُلُّ وَقْتٍ يَكُونُ فَرداً … يَخْلَعُ عَنْكَ الذي خَلَعْتا
أو يَمْنَعُ اللَّهُ عَنْكَ أَمْراً … قَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ مَنَعْتا
ما الشَّأنُ أَنْ تَشْتَرِي نُفوسَ … بَيعَ فضُولٍ فَما انْتَزَعْتا
مِنْ مُلْكِهِ ما شَرَيْتَ مِنْهُ … حتَّى اشْتَراهُ وَما ارْتَجَعْتا
ضاقَتْ سَماءُ الإلَهِ عَنْهُ … وَأَنْتَ رَبُّ العُلى وَسِعْتا
مِنْ غَيْرِ كَيفٍ ولا احتِيالٍ … لَوْ لَمْ يَرَ ذاكَ ما اتَّسَعْتا
وَسِعْتَنا رَحْمَةً وَعِلْماً … إذ لَكَ يا رَبَّنا اصْطَنَعْتا
كمِثْلِ موسى وَغيرِ مُوسى … رَفعتَ مَنْ شئتَ إذ وضعْتا
يَسْتَفْهِمُ اللَّهُ كُلَّ عَبْدٍ … فِي عِلْمِهِ مِنْهُ هَلْ شَبِعْتا؟
فَقُلْ لَهُ: ربِّ إنَّ جُوعِي … ما يَنْقَضِي للذي شَرَعْتا
مَنْ كُنْتَ فيهِ أَوْ كُنْتَ مِنْهُ … أو كُنْتَهُ عَنْكَ ما رَجَعْتا
فَلا تَقُلْ للذي أَتانِي … مِنْ عِنْدِكُمْ رَحْمَةً قَنِعْتا

---

(1) صلهُ: من الوصل وهو ضد القطع.
(2) المثوى: المقام.
(3) انتجعتُ فلاناً: إذا قصدتُهُ وطلبتُ منهُ العطاء.
(4) التيه: التكبر.

إنْ غِبْتَ فِي الغَرْبِ عَنْهُ شَمْساً عَلَيْهِ مِنْ شَرقِهِ طَلَعْتا
إنْ أنْتَ جاهَدْتَ لا تُبالِي بِأيِّ جَنْبٍ فيهِ صَرَعْتا[1]
قَدْ كُنْتَ عَبْداً فَصِرْتَ مَلكاً لِذاكَ واللَّهِ ما انْتَفَعْتا
إنْ كانَ هُوَ أنْتَ لا تَكُنْهُ واحْذَرْ مِنَ القَرْعِ إنْ قَرَعْتا
فَإنْ دَعاكَ الرَّسُولُ يَوماً فافْزَعْ إلَيْهِ إذا فَزَعْتا[2]
وَحاذِرِ الأمْرَ مِنْ قَرِيبِ تَسْعَدْ فيهِ إذا جَرَعْنا[3]
يَعْلُو بِكَ النَّهْرُ فِي انْحِدارٍ لَوْ جُرْعَةً مِنْهُ قَدْ جَرَعْتا[4]
وإنْ دَعا لِلْوِصالِ يَوْماً فَأنْتَ واللَّهِ ما انْقَطَعْتا
المَكرُ مِنْ شِيمَةِ المَوالِي لا تَنْخَدِعْ فِيهِ إنْ خُدِعْتا
تَقْبِضْ عِنْدَ الرَّحِيلِ حَتْماً عَلى الذي فِيهِ قَدْ طُبِعْتا[5]
مِنْ أعْجَبِ الأمْرِ أنَّ قَوْلاً تُجابُ فِيهِ وَما سَمِعْتا
لأنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَلامٌ عَنْكَ وَلا عَنْهُمُ انْقَطَعْتا
انْظُرْ إلى قَوْلِهِ تَعالى فِي أهْلِ كَهْفٍ لَوْ اطَّلَعْتا
مُلِئْتَ رُعْباً فازْدَدْتَ بُعْداً وَمَعْ هَذا فَما انْدَفَعْتا
يا أشْجَعَ النَّاسِ فِي نِزالٍ أنْتَ بِتَثْبيتِهِ شَجُعْتَا[6]
قَدْ جَعَلَ اللَّهُ يا حَبيبِي بِيَدِكَ الخَيْرَ إنْ قَنِعْتا

51

قال بهاء الدين زهير متعجباً من عتب الحبيب:

عَتَبَ الحَبيبُ ولَمْ أجِدْ سَبَباً لِذاكَ العَتْبِ حادِثْ[7]

---

(1) الصرع: القتل.
(2) فزع: لجأ واستغاث.
(3) الجزع: عدم الصبر على ما ينزل من القضاء.
(4) جرع الماء: شربه.
(5) الطبع: الفطرة والسجيّة.
(6) النزال: القتال وجهاً لوجه في المعركة.
(7) العتب: العِتَاب.

وَالـيَـوْمَ لـي يَـومانِ لَـمْ ... أرَهُ وهـذا الـيَـوْمُ ثـالِـثْ
فـعَـجِـبـتُ كـيـفَ تَـغَـيّـرَتْ ... مـنـهُ خَـلائـقُـهُ الـدّمـائِـثْ[1]
مـا كـنـتُ أحـسَـبُ أنّـهُ ... مِـمّـنْ تُـغَـيّـرُهُ الـحَـوَادِثْ
وَيَـلَـذُّ لـي الـعَـتـبُ الـذي ... صِـدْقُ الـوَدادِ عَـلَـيْـهِ بـاعِـثْ
عَـتْـبُ الـحَـبـيـبِ ألَـذُّ مِـنْ ... نَـغَـمِ الـمَـثَـانـي وَالـمَـثَـالِـثْ[2]
مـولايَ مِـن سُـكـرِ الـدّلا ... لِ عَـبِـثـتَ والـسّـكـرانُ عـابِـثْ
ونـكَـثْـتَ عَـهـداً فـي الـهَـوَى ... مـا خِـلْـتُ أنّـكَ فـيـهِ نـاكِـثْ[3]
لَـكَ لاَ أشُـكُّ قَـضِـيَّـةٌ ... أنـا سـائـلٌ عَـنْـهـا وَبـاحِـثْ

52

قال ابن عربي مبيناً العلاقة بين العبد وخالقه ﷻ:

إذا يَـضِـيـقُ بِـنـا أمْـرٌ لِـيُـزْعِـجَـنـا ... نَصِبْرُ فإنَّ انْتِهاءَ الضِّيقِ يَنْفَرِجُ[4]
بِـذاكَ خـالِـقُـنـا الـرَّحْـمَـنُ عَـوَّدَنـا ... فِـي كُـلِّ ضِـيـقٍ لَـهُ قَـدْ شـاءَه فَـرَجُ
ألا تَرى الأرْضَ عَنْ أزهارِها انْفَرَجَتْ ... كَـمـا الـسَّـمـاءُ لَـهـا فِـي ذاتِـهـا فُـرَجُ
والـكَـوْنُ عُـلْـوٌ وَسُـفْـلٌ لَـيْـسَ غَـيْـرَهُـمـا ... والأمْـرُ بَـيْـنَـهُـمـا بـالـنَّـصِّ مُـنْـدَرِجُ
وَكُـلُّ شَـيءٍ مِـنَ الأكْـوانِ نَـعْـلَـمُـهُ ... مُـوحَّـداً هُـوَ فِـي الـقُـرآنِ مُـزْدَوِجُ
حَـتَّـى الـوُجُـودُ الـذي إلَـيْـهِ مَـرْجِـعُـنـا ... بِـمـا لَـهُ مِـنْ صِـفـاتِ الـكَـوْنِ يَـزْدَوِجُ
فَـلَـيْـسَ يُـوجَـدُ فَـرْدٌ لَـيْـسَ يَـشْـفَـعُـهُ ... شَيءٌ سِوى مَنْ لَهُ التَّقْسِيمُ والدَّرَجُ
ذاكَ الإلٰـهُ الـذي لا شـيءَ يُـشْـبِـهُـهُ ... مِنْ خَلْقِهِ فَبِهِ الإصْباحُ تَنْبَلِجُ[5]

(1) الدمائث: مفرده دمث وهو اللين اللطيف.
(2) المثاني والمثالث: من أوتار العود.
(3) نكث العهد: لم يفِ به.
(4) انفرج الغم: انكشف وابتعد.
(5) انبلج الصبح: أشرق وأنار.

وَهُوَ الـعَـزيـزُ فَـلا مِـثْـلٌ يُـعـادِلُـهُ وإنَّـمـا بِـمَـتـابِ الـعَـبْـدِ يَـبْـتَـهِـجُ[1]
فَـكَـيْـفَ مَـنْ هُـوَ مُـحْـتـاجٌ وَمُـفْـتَـقِـرٌ إلـى أُمُـورٍ بِـنـا إنْ لَـمْ يَـكُـنْ حَـرَجُ
فَـلا يَـصِـحُّ عَـلـى الإطْـلاقِ أنَّ لَـنـا حُـكْـمَ الـغِـنـى وَلِـهـذا فِـيـهِ يَـنْـدَرِجُ
الـحُـبُّ شاهِـدُ عَـدْلٍ فِـي قَـضِـيَّـتِـنـا إذا الـخَـلائِـقُ فِـيـمـا قُـلْـتُـهُ مَـرَجُـوا[2]
هُـمُ الـمَـصـابِـيحُ فِـي الـظَّـلْـماءِ إنْ وَلَـجُـوا كَـمـا هُـمُ الـعَـمـى إنْ زالُـوا وإنْ خَـرَجـوا[3]
سُـبْـحـانَـهُ وَتَـعـالـى أنْ يُـحِـيـطَ بِـهِ عِـلْـمـاً عُـقُـولٌ لَـمَّـا فِـي ذاتِـهِ دَلَـجُـوا[4]
أمـا تَـراهـا عَـلـى الأعْـقـابِ نـاكِـصَـةً لَـمَّـا رَأتْ فَـنِـيَـتْ فِـي ذَلِـكَ الـمُـهَـجُ[5]
فَـلَـيْـسَ يُـدْرِكُ مَـجْـهُـولٌ حَـقِـيـقَـتَـهُ وفِـيـهِ خُـلْـفٌ لأقْـوامٍ لَـهُـمْ حُـجَـجُ
لَـوْ أنَّـهُـمْ نَـظَـرُوا فِـي حُـسـنِ صُـورَتِـهِ قـالُـوا بِـهِ قَـرْنٌ قـالُـوا بِـهِ فَـلَـجُ
قـالُـوا بِـعَـيْـنَـيْـهِ فِـي إبـصـارِهِ وَطَـفٌ قـالُـوا بِـهِ كُـحْـلٌ قـالُـوا بِـهِ دَعَـجُ[6]
فَـمـا أقـامُـوا عَـلـى حـالٍ وَمـا جَـمَـعُـوا عَـلَـيْـهِ فِـي عِـلْـمِـهِـمْ فِـيـهِ وَمـا دَرَجُـوا
هَـذا مَـعَ الـخَـلْـقِ كَـيْـفَ الحق فـاعْـتَـبِـرُوا مـا فِـي بُـيُـوتِـهِـمُ مِـنْ نُـورِهِ سُـرُجُ[7]

53

يقول ابن الفارض واصفاً حاله مع عشقهِ الأبدي:

مـا بَـيـنَ مُـعـتـرَكِ الأحْـداقِ والـمُـهَـجِ، أنـا الـقَـتـيـلُ بـلا إثـمٍ، ولا حَـرَجِ[8]

---

(1) المتاب: التوبة.
(2) عدل: ثقة لا يُكذَّب أبداً ـ المَرج: الفوضىٰ والاضطراب والفتنة.
(3) ولجوا: دخلوا.
(4) دلجوا: ساروا من أول الليل.
(5) نكص على أعقاب: عاد مهزوماً خائباً.
(6) وطف الرجل: كثُر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول ـ دعجت العين: اشتد سوادها وبياضها واتسعت.
(7) السرج: المصابيح، مفردها سِراج.
(8) المعترك: موضع الاعتراك ـ الأحداق: مفردها حدقة وهي العين ـ المهج: مفردها مهجة وهي الروح.

وَدّعتُ، قبل الهَوَى، روحي، لما نَظَرَتْ عيناي مِن حُسْنِ ذاكَ المنظرِ البَهِجِ
لِلَّهِ أجفانُ عَينٍ، فيكَ، ساهِرَةٍ، شوقاً إليكَ، وقلبٌ، بالغرامِ، شَجِ[1]
وأضلُعٌ نَحِلتْ كادتْ تُقَوّمُها، مِنَ الجَوَى، كبِدي الحرّي، من العَوَجِ[2]
وأدمُعُ هَمَلَتْ، لولا التّنفّسُ مِن نارِ الهَوى، لم أكدْ أنجو منَ اللُّجَجِ[3]
وحَبّذا فيكَ أسْقامٌ خَفيتُ بها عني، تقومُ بها، عند الهوَى، حُجَجي
أصبَحتُ فيكَ، كما أمسَيتُ مُكْتَئِباً، ولم أقُلْ جزَعاً: يا أزمَةُ انفَرِجي[4]
أهْفُو إلى كلّ قَلْبٍ، بالغرامِ، لَهُ شُغْلٌ، وكُلِّ لِسانٍ، بالهوَى لَهِجِ[5]
وكُلِّ سَمعٍ، عن اللاحي، بهِ صَمَمٌ؛ وكلِّ جَفنٍ، إلى الإغفاءِ، لم يَعُجِ[6]
لا كانَ وَجْدٌ، بهِ الآماقُ جامِدَةٌ، ولا غرامٌ، بهِ الأشواقُ لم تَهِجِ[7]
عذّبْ بما شئتَ، غَيرَ البُعدِ عنكَ، تجدْ أوفى محِبٌّ، بما يُرْضيكَ، مُبْتَهجِ
وخُذْ بَقيّةَ ما أبقَيْتَ مِن رَمَقٍ؛ لا خيرَ في الحبّ، إن أبْقى على المُهَجِ[8]
مَن لي بإتلافِ روحي في هَوَى رَشَإٍ، حُلْوِ الشّمائِلِ، بالأرواحِ مُمتَزِجِ[9]
مَن ماتَ فيهِ غَراماً عاشَ مُرتَقياً، ما بينَ أهلِ الهَوى، في أرفَعِ الدّرَجِ
مُحَجَّبٌ، لو سرَى في مِثلِ طُرّتِهِ، أغنَتْهُ غُرّتُهُ الغَرّا عَنِ السُّرُجِ[10]
وإنْ ضَلِلْتُ بلَيلٍ، مِنْ ذوائِبِهِ، أهدى، لعيني الهدى، صُبحٌ من البَلَجِ
وإن تَنَفّسَ قالَ المِسكُ، مُعترِفاً، لعارفي طيبِهِ: مِن نَشرِهِ أرَجي[11]

---

(1) الشجي: الحزين.
(2) الجوىٰ: اشتداد الوجد من عشقٍ أو حزن ـ الحرَّى: الملتهبة.
(3) اللجج: مفردها لجة وهي معظم الماء ـ هملت: انسكبت.
(4) الجزع: عدم الصبر على ما نزل من القضاء.
(5) لهج: كثير الذكر.
(6) اللاحي: اللائم.
(7) الآماق: العيون أمْقُ العين: طرفها الذي يلي الأنف.
(8) الرمق: ما بقي من الروح.
(9) الرشأ: الغزال الصغير.
(10) الطرة: شعر مقدَّم الرأس ـ الغراء: المضيئة البيضاء ـ السرج: المصابيح الواحد منه سراج.
(11) الأرج: الرائحة الطيبة.

أعوامُ إقبالِهِ، كاليومِ، في قِصَرٍ، ويَوْمُ إعراضِهِ، في الطّولِ، كالحِجَجِ[1]
فإنْ نأى سائِراً، يا مُهجَتي ارتَحِلي؛ وإن دَنا زائِراً، يا مُقلتي ابتَهِجي![2]
قُل للذي لامني فيه، وعنّفني: دعني وشأني، وعُد عن نُصْحك السّمِجِ[3]
فاللّوْمُ لؤمٌ، ولم يُمدَحْ بهِ أحَدٌ؛ وهل رأيتَ مُحِبّاً بالغَرام هُجي؟
يا ساكِنَ القَلبِ لا تَنظُرْ إلى سكَني، وارْبَح فؤادكَ، واحذَرْ فتنةَ الدّعجِ[4]
يا صاحبي، وأنا البَرّ الرّؤوفُ، وقد بَذَلْتُ نُصْحي، بذاكَ الحيّ لا تَعُجِ
فيهِ خلَعتُ عِذاري، واطّرَحْتُ بهِ قَبولَ نُسكيَ، والمَقبولَ من حِجَجي[5]
وابيَضّ وَجهُ غَرامي في مَحبّتِهِ؛ واسْوَدّ وَجْهُ ملامي فيهِ بالحُجَجِ
تَبارَكَ اللّهُ! ما أحْلى شَمائِلَهُ، فكَمْ أماتَتْ وأحْيَتْ فيه من مُهَجِ
يهوَى لذِكرِ اسمِهِ، مَن لَجّ في عَذَلي، سَمعي، وإن كانَ عَذلي فيه لم يلِجِ[6]
وأرْحَمُ البرْقَ في مَسراهُ، مُنتَسِباً لثَغرِهِ، وهوَ مُستَحيٍ من الفَلَجِ
تَراهُ، إن غابَ عَنّي، كُلُّ جارِحةٍ في كلّ مَعنًى لطيفٍ، رائِقٍ، بَهِجِ
في نَغْمَةِ العودِ والنّايِ الرّخيمِ، إذا تَألّفا بَيْنَ ألحانٍ مِنَ الهَزَجِ[7]
وفي مَسارِحِ غِزْلانِ الخمَائِلِ، في بَرْدِ الأصائِلِ، والإصباحِ في البَلَجِ[8]
وفي مَساقِطِ أنداءِ الغَمَامِ، على بِساطِ نَوْرٍ، من الأزهارِ مُنْتَسِجِ
وفي مَساحِبِ أذيالِ النّسيمِ، إذا أهْدى إليّ، سُحَيراً، أطيَبَ الأرَجِ[9]
وفي التِثاميَ ثَغْرَ الكاسِ، مُرْتَشِفاً رِيقَ المُدامَةِ، في مُستَنزَهٍ فَرِجِ[10]

---

(1) الحجج: مفردها حجّة وهي السنة.
(2) المقلة: العين.
(3) السمج: الغليظ القبيح.
(4) الدعج: شدة السواد والبياض في العين مع اتساعها.
(5) خلع العذار: انهمك في الغي والضلال ولم يستحِ.
(6) لجَّ: أكثر وألحّ ـ يلج: يدخل.
(7) الهزج: كل صوت فيه ترنم خفيف مطرب.
(8) الخمائل: واحدتها خميلة: كل موضع كثر فيه الشجر الملتف الذي لا يُرى فيه الشيء إذا وقع في وسطِهِ.
(9) سحيراً: وقت السحر.
(10) التثامي: تقبيلي ـ فرج: مشّيع يشرح النفس.

لم أدرِ ما غُرْبةُ الأوطانِ، وهو معي، وخاطِري، أينَ كنّا، غيرُ مُنزَعِجِ
فالدّارُ داري، وحُبّي حاضرٌ، ومتى بَدا، فمُنعَرَجُ الجرْعاءِ مُنعرَجي[1]
ليَهْنَ رَكْبٌ سَرَوا ليلاً، وأنتَ بهم، بسَيرِهم في صباحٍ، منكَ، مُنبَلِجِ
فليَصْنَعِ الرّكْبُ ما شاؤوا بأنفُسِهم؛ هُمْ أهلُ بدرٍ، فلا يخشونَ من حَرجِ
بِحَقّ عِصيانيَ اللاّحي عليك، وما بأضلُعي، طاعةً للوَجْدِ، مِن وَهَجِ[2]
أُنظُرْ إلى كَبِدٍ ذابتْ عليكَ جَوًى، ومُقلَةٍ، من نجيعِ الدّمعِ، في لُجَجِ[3]
وارْحَمْ تَعَثُّرَ آمالي، ومُرْتَجعي إلى خِداعِ تَمَنّي الوَعْدِ بالفَرَجِ
واعطفْ على ذُلّ أطماعي بهَلْ وعسَى، وامنُنْ عليّ بشَرْحِ الصّدرِ من حَرجِ
أهلاً بما لم أكُنْ أهْلاً لِمَوْقِعِهِ، قَوْلِ المُبَشِّرِ، بعدَ اليأسِ، بالفَرَجِ
لكَ البِشارَةُ، فاخلَعْ ما عليكَ، فقد ذُكِرْتَ ثَمّ، على ما فيكَ مِن عِوَجِ

54

قال ابن نباتة مادحاً تاجُ الدين:

وَاحيلَتيْ بِظلامِ الطُّرَّةِ الدَّاجِيْ واشقْوَتي بِنَعيمِ المَلْمَسِ العَاجِيْ[4]
ويا ضَلالَ رشادِيْ في هَوى صَنَمٍ لا شيءَ أهتَكُ لي من طَرفِهِ السَّاجِي[5]
يثُجُّ ماءَ دُموعي خَطُّ عارِضِهِ وَيْلاهُ مِنْ عارِضٍ للدَّمعِ ثجَّاجِ[6]
إيْهاً عذولي وَباعِدْ فيهِ عن بَصَري فما أظنُّكَ مِنْ سيلِ البُكَى ناجِي
قَدْ أسرَجَ الحُسْنُ خدَّيهِ فدونَكَ ذا سراجُ خدٌّ على الأكبادِ وَهَّاجِ

(1) المنعرج: هو المكان الذي يلتوي فيه الوادي ـ الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل.
(2) الوجد: شدة الحب.
(3) النجيع: الدم.
(4) الطرَّة: ما تلا الجبين من الشعر ـ الداجي: الأسود، المظلم.
(5) الطرف: العين ـ الساجي: الساكن الذي فيه فتور مستحسن.
(6) يثج: يسيلُ وينصبُّ ـ العارض: صفحة الخد والعنق.

وَألجِمِ العذْلَ واركُضْ في محبَّتِهِ ... طرفُ الهوى بعد إلجام وإسراجِ[1]
وقسِّم الشعرَ فاجعَلْ في محاسِنِهِ ... شَذَرَ القلائدِ واهدِ الدُّرَّ للتاجِ[2]
الواصلِ الجودِ فينا غير منقطعٍ ... والفارج الحال منَّا بعدَ إرْتَاجِ
بحرٌ ترى المالَ سارٍ من أنامِلِهِ ... كأنَّهُ زَبدٌ من فوقِ أمْوَاجِ
وأضبحَتْ هذهِ الآفاقُ آمنةً ... بِعَدْلِهِ بَعدَ إزهَابٍ وإزهَاجِ
كأنَّ أراءَهُ بَيْنَ الدِّيارِ بِهَا ... كَواكِبٌ تتجلَّى بينَ أبْرَاجِ
في كَفِّهِ قلمٌ ناهيكَ مِنْ قَلَمِ ... للمالِ مجرٍ وللغمَّاءِ فرَّاجُ[3]
سَهمٌ لمنْ رامَ تنفيذَ الأمورِ بِهِ ... لَكِنَّهُ هدفٌ للطالبِ الرَّاجي
إذا انتحى الأمْرُ فانظر في الطُّروس إلى ... محرِّكٍ لسكُونِ الخلْقِ مِزْعاجِ[4]
لا يعدَمُ الفضلُ منه أيَّ متَّجرٍ ... وَلا رقُومَ المعاني أيَّ نسَّاجِ
يا قالةَ الشِّعرِ في الأقطارِ طالبة ... مرادَ قصدٍ إليهِ يلتجى اللاَّجي
سَعياً لأبوابِ تاجِ الدِّينِ إنَّ لها ... منهاجَ فضلٍ بريءِ الفضْلِ من هاجي
يَمَّمتُهُ وَالغَلا والفَقْرُ قَدَ جمعا ... لحالتيْ بينَ طَاعُونٍ وحَجَّاجِ[5]
مجاوباً مِنْهُ في سَرٍّ وفي عَلَنٍ ... وِدًّا ورفْداً يُنادِي كلَّ محتاجِ[6]
لمَّا دَعا الدَّعوةَ الأولىٰ فأسْمَعني ... لبِسْتُ بُردَيَّ واستمْرَرْتُ أدْرَاجي
فاستقبَلَتْ جَدْبَ أحْوالي غمائمهُ ... وَبدَّلَتْ حُزنَ أفكاري بأبْهاجِ[7]
وتابعَ الرِّفدَ حتى ما ظننتُ إذاً ... أنِّي من السَّيْلِ في أبوابهِ ناجي
ذاكَ الذي يحملُ المهدِيْ مدَائِحَهُ ... جَواهراً من حُلاهُ بينَ إدراجِ
مَلَّكْتُ شِعري على الأشعارِ حينَ حوى ... ذِكْرَ اسمِهِ فهو رَبُّ المُلْكِ والتَّاجِ

---

(1) ألجم الخيل: وضع اللجام لها، أسرج الخيل: وضع عليها السرج.
(2) الدُّرّ: اللؤلؤ.
(3) الغمّاء: الغم والهم.
(4) الطروس: الصحف أو الكتب، مفردها طِرس.
(5) يممته: قصدته واتجهت إليه.
(6) الرفد: العطاء.
(7) الجدب: من أجدب المرعى إذا حلّ به القحط والجفاف.

100

قالت عائشة الباعونية في مديحه ﷺ:

عبيرُ الثَّنا في الخافِقَيْنِ يَفُوْحُ ... وَبِشْرُ الهَنَا في الكائِنَاتِ يَلُوحُ[1]
بإيجادِ مَنْ لولاهُ ما كانَ كائِنٌ ... وَلاَ عَلِمَتْ نَفْسٌ ولا نَعِمَتْ رَوحُ
وَلاَ حَنَّ مشتاقٌ ولا أَنَّ والِهٌ ... تُضاجِعُهُ نارُ الجَوى فَيصيْحُ[2]
وَلا ذَكَرُوا سلْعاً ولا قَصَدُوا حِمًى ... بِهِ لختامِ المرسَلينَ ضَرِيْحُ[3]
نَبيٌ لهُ الفتحُ المبينُ وكمْ أَتَى ... على يدِهِ بالبيِّناتِ فُتُوْحُ
وَجِيْهٌ بعرشِ اللَّهِ في رقمِ اسْمِهِ ... دَلِيْلٌ على التَّخصِيصِ فيهِ وُضوحُ
وحَسْبُكَ من بُرهانِ عَليَاهُ أَنَّهُ ... دَنَى وَتَدَلَّى والثَّباتُ رَجيْحُ
وَأُكرِمَ في ذاكَ التَّدَاني بِرتْبَةٍ ... تَأَخَّرَ عنْ علياءِ مَدْخلِهَا الرَّوحُ
مقامٌ يلوذُ العارفونَ بِظلِّهِ ... فيرجحُ حظٌّ أو يطيبُ جريحُ
وماذا عسى أُحصِيْ وَبحرُ اختصاصِهِ ... محيطٌ وَبرُّ القولِ فيه فَسِيحُ
وَكلُّ كتابٍ منزلٍ فيهِ ذِكْرُهُ ... وكُلُّ نبيٍّ بالمديحِ فَصِيحُ
بتفضيلِهِ التوراةُ جاءَتْ وَكَمْ أَتَتْ ... بِإنجيلِ عيسى في البيانِ شروحُ
وَفي الصُّحُفِ الأُولى صِفَاتُ كَمالِهِ ... تَوالَتْ وَبُرْهَانُ الكَمَالِ صَحِيحُ
وَآدمُ مُذْ أضحَى بِهِ متوسِّلاً ... أُجيبَ وداودٌ ومِنْ قبلِهِ نُوْحُ
وَنجَّى من النَّارِ الخليلَ لِأَجْلِهِ ... واسعفَ منّاً بالفداءِ ذبيحُ
وكَمْ بِشَرٍ بالمصطفَى قَدْ تتابَعَتْ ... وَأَفْصَحُهُمْ نُطْقاً بتلكَ مَسِيحُ[4]
وكَمْ أضحَتِ الأَحبارُ تهتفُ باسْمِهِ ... وَتعرِبُ عَنْ مجدِ العُلا وتَبُوحُ
وكَمْ أنشأَ الكُهَّانُ سَجْعاً ببعثِهِ ... وأبدعَ شقٌّ في الحلي وَسطيحُ

---

(1) الثنا: الثناء وهو المدح ـ الخافقين: المشرق والمغرب ـ البشر: وضاءة الوجه مع سرور.
(2) الجوى: اشتداد الوجد من العشق.
(3) سلع: موضع قرب المدينة ـ الضريح: القبر.
(4) بِشَر: قصدت بشائر.

لَعمريَ هذا المجدُ مجدٌ بجاهِهِ ... يُلاذُ وفي قَلبي إليه رُكُوحُ[1]

لأحمدَ طَهَ النورِ ياسينُ مَنْ أتَى ... بِنُونٍ مَنْ الرَّحمٰنِ فيهِ مَدِيحُ

إذا شِئْتَ أن ترقى إلى ذُرْوةِ العُلا ... ويشمَلَ فيضٌ للحجابِ يزيحُ[2]

تَمسَّكْ بِهِ وافنى غراماً بحبِّهِ ... فإنَّ التَّفاني في المليْحِ مَلِيْحُ[3]

عليْهِ مِنَ المولى أجلُّ صَلاتِهِ ... صَلاةٌ بِها نَشْرُ القبولِ يَفُوحُ[4]

مدى الدَّهرِ ما دامَتْ كؤوسٌ براحَةٍ ... جماليةٌ تنفي العنا وتُرِيْحُ[5]

56

قال التلعفري(*) شاكياً حرقة الجوى ولوعة الفراق:

لولا بروقٌ بِالعقيقِ تلوحُ ... تغدو على عَذَبَاتِهِ وتَروحُ[6]

ما زادَ قلبيْ لوعةً كلاَّ وَلا ... أدمَى خُدوديَ دمعيَ المسفوحُ[7]

ويحَ الصَّبا، حتَّامَ يُذكِرُني الصِّبا؟ ... مِنْهَا نسيمٌ كالعبيرِ يفوحُ[8]

---

(1) الركوح: الركون والإنابة.

(2) ذروة الشيء: أعلاه.

(3) المليح: الجميل.

(4) النَّشر: الطِّيْب.

(5) راحة الكف: باطنها ـ العنا: العناء.

(*) التلعفري 593ـ 675هـ/ 1197ـ 1277م هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري. وُلد في الموصل، واتصل بالملك الأشرف موسىٰ صاحب العراق وحظي عنده، ولكن كان مولعاً بالقمار فطرده الأشرف. فذهب إلى الملك العزيز غياث الدين أبي المظفر محمد صاحب حلب. ثم خرج من حلب للعلّة نفسها فجاء إلى دمشق. ويبدو أنه زار القاهرة في هذه الأثناء فلم يحمد الإقامة فيها فعاد إلى دمشق يستجدي ويقامر. وفي آخر أيامه ذهب إلى حماة ونادم صاحبها الملك المنصور الثاني سيف الدين محمداً إلى أن توفي هناك.

التلّعفري شاعر رقيق أكثر شعره الغزل والنسيب والخمر، وله مديحٌ ووصف، وله أيضاً موشحات.

(6) العقيق: اسم وادٍ. عذبات: واحدته عذبة نوع من الشجر.

(7) اللّوعة: حرقة في القلب ـ المسفوح: المسكوب.

(8) الصَّبا: ريح تهب من المشرق ـ الصِّبا: الصغر والحداثة.

خَطَرَتْ، وقد أهدى لنَا مِنْهَا الشَّذَا ... غَارُ الغُويرِ ورَنْدُه والشِّيحُ[1]
يَا أهْلَ وِدِّيْ يومَ كاظمةٍ أمَا ... عَنْ وَصْلِكُمْ صَبريْ الجميلُ قبيحُ
سِرتُم وأسْرَرْتُم بقَلبي مُهْجَةً ... أودى بِهَا التَّقرِيْحُ والتَّبرِيْحُ[2]
أطْمَعْتُموني في الوِصَالِ وَلَيْسَ لِيْ ... إلاَّ صُدودٌ مِنكُمْ ونُزُوحُ[3]
هَذيْ الجفونُ، وَإِنَّما أينَ الكَرَىٰ ... مِنْهَا؟ وَهَذا الجِسْمُ، أيْنَ الرُّوحُ؟[4]

57

قال صفي الدين الحلّي مظهراً مدى تفوّقه في الحب ومعرفته دروب العشق وأشكاله:

خليليْ ما أغبَى المُغالينَ في الهَوى، ... وأغفَلَهمْ عن حُسنِ كلّ مَليحِ[5]
يَظُنّونَ أن الحُسنَ بالعَينِ مُدرَكٌ، ... وسرّ الهَوى بادٍ لكُلّ لَمُوحِ
وليسَ طَمُوحُ النّاظرَينِ بمُبصِرٍ، ... إذا كان لَحظُ القَلبِ غيرَ طَموحِ[6]
فليس جَميلٌ في الهَوى وكثيّرٌ ... ولا عُروةُ العذريّ وابنُ ذَريحِ[7]
بأعرَفَ منّي للمِلاحِ تَوَسّماً، ... ولا جَنَحوا للعشقِ بعضَ جنوحي[8]
وأيّ لَبيبٍ ما سبَى الحُسنُ لُبَّهُ، ... فَباتَ بقَلبٍ بالغَرامِ قَريحِ[9]
إذا ما خَلا القلبُ الصّحيحُ من الهَوَى ... علمتُ بأنّ العَقلَ غَيرُ صَحيحِ

---

(1) الغوير والرند والشِّيح: نباتات.
(2) المهجة: الروح ـ التبريح: الأذىٰ والشدّة.
(3) الصدود: المنع والجفاء.
(4) الكرى: النوم.
(5) المغالين: المبالغين.
(6) طموح: نقول طمح إلى الشيء إذا نظر إليه.
(7) يريد جميل بثينة وكثير عزة وعروة بن حزام وقيس بن ذريح.
(8) الجنوح: نقول جنح نحو الشيء، مال إليه بشدة وعنف.
(9) اللب: العقل ـ القريح: الجريح.

58

قال ابن نباتة يرثي الملك الأفضل:

بكَى الشِّعرُ أيَّامَ المنى والمنائِحِ ... ففي كلِّ بيتٍ للثَّنا صَوتُ نائحِ
وغَاضَتْ بحورُ المَكرُماتِ وطوَّحتْ ... بأهلِ الرَّجَا والقَصْدِ أيدِي الطَّوائحِ[1]
وَلمَّا ادلهمَّتْ صفحةُ الأفقِ بالأسَى ... عَلِمنَا بأنَّ الشُّهبَ تحتَ الصَّفائحِ[2]
حَيَا المزنِ أسعدَنِيْ على فقدِ سادةٍ ... بدمعٍ كَجَدْواهُمْ على الناسِ طافِحِ[3]
أبَعدَ بني شادٍ وقد سَكَنُوا الثَّرى ... قريضٌ لشادٍ أو سرورٌ لفارِحِ[4]
أبعدَ مُلوكِ العلمِ وَالبأسِ وَالنَّدَى ... تَشبُّ العلى نارُ القرى والقرائِحِ
أمَا والذي أخلى حِمى الملكِ منهمُ ... وعمّر بالعليَا رسومَ الضرائِحِ
لَئن أوْحَشوا منهُمْ بيوتُ مقامِهِم ... لقَدْ أوحَشَتْ منهُمْ بيوتُ المدائِحِ
يُجرِّحُ قلبي بعدَهُم صوتُ ساجعٍ ... يذكّرُني عهدَ الأيادي السَّوافِحِ
فيا فرخَ ضَعفي حيثَ صِرْتَ فريسةً ... وصارَ حمامُ الأيْكِ في الطيرِ جارِحِي[5]
تلا فقدُ إسماعيلَ فقدُ محمدٍ ... فيا للأسى من فادحٍ بعد فادِحِ
وزالاَ فما إنسانُ عَيني بِمُمْسِكٍ ... بكاءً وَلا إنسانُ قولٍ بكَادِحِ[6]
كأنَّ زِنادَ الفضلِ لم يُورِ مِنهُما ... سَنا شيمٍ ما فيْهِ قولٌ لِقادِحِ
كأنْ لَمْ يقُمْ بالمكْرُمَاتِ مُطوّقٌ ... لدى البابِ يشدُو وبالثَّنا شَدوَ صَادحِ
خُذِ الزَّادَ يا ضيفَ المكارمِ وارْتحلْ ... بنوحٍ فقدْ أقْوتْ رُبوعُ المنائِحِ[7]

---

(1) غاضت: قلَّ ماؤها وجفّت ـ طوّحت: أهلكت.
(2) ادلهمت: أظلمت.
(3) الحيا: المطر ـ المزن: الغيوم.
(4) القريض: الشعر.
(5) الأيك: نوع من الشجر يُستاك به.
(6) إنسان العين: ناظرها.
(7) أقوت: خلَتْ.

نَزَحْتَ دُموعاً أو نَزَحْتَ رَكَائباً ... فَلِلَّهِ في الحاليْنِ حَسْرةُ نازحِ [1]
بِروحي ديارُ الفضلِ صَوَّح رَوضُها ... كأنْ لم يجِبْ فيها المنى صَوتُ صائحِ
بروحِي غريبُ الدَّارِ والنَّعشُ عائدُ ... إلى أرضِهِ الثكلى غريبَ النَّوائحِ
بروحِي نظيرُ الغُصنِ في دَوحةِ العُلى ... رماهُ فأوداهُ الزمانُ ببارحِ
رمى فَرعهُ مِنْ بَعدِ مَا مدَّ ظِلَّهُ ... على كلِّ غادٍ مِ العُفاةِ ورائحِ [2]
وجمَّل دُنيانا ببثٍّ جميلةٍ ... وغطَّى على مَكروهِهَا وَالقبائِحِ
وسَاسَ رَعايا أرضِهِ وأطاعَهُ ... على جانبِ العاصي هَوى كلِّ جامِحِ
وأعطى عَطاءَ السُّحبِ في حالِ عُسرَةٍ ... تقومُ بأعذارِ النّفوسِ الشحائِحِ [3]
وَزاوَجِ بينَ الحِلمِ وَالبَأسِ مُلكَهُ ... فَمنْ أعزلٍ مثلِ السِّماكِ ورامحِ [4]
ورتَّلَ مِن أسلافِهِ سُوَرَ العُلى ... خواتِمُهَا موصولةٌ بالفواتحِ [5]
وقامَ إلى جمعِ المحامدِ طامِحاً ... فواللَّهِ لم يعدِلْ بهِ عزمُ طامحِ
وَواللَّهِ ما نقضِيْ حُقوقَ محمدٍ ... إذا نحنُ أثنينا عليه بصالحِ
وَلو أمكَنَ الغيثَ الفدى بوليِّهِ ... فَدَى صالحاً من آلِ شادٍ بطالحِ
وردَّ الرَّدَى عن فائِضِ البرِّ عِندَهُ ... أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرحُ سائحِ
هُوَ الموتُ لو يثنيهِ بأسٌ ونائِلٌ ... ثنتهُ سجايا كَفِّهِ في الجوانحِ [6]
هُوَ الموتُ ما يُعييهِ ثاوٍ بمغفلٍ ... ولا واصلٍ في النَّبذِ من خطوِ سابحِ [7]
ولا أسدٌ يَرنو بأحمرَ أجزرٍ ... تكادُ به تُشوى لحُومُ الذبائحِ
ولا أسدُ الأبراجِ في الشُّهبِ كاسِراً ... بتكْرارِهَا سُرَّت نفوسُ الصحائِحِ
كَفَى ببني أَيُّوبَ للناسِ واعظاً ... وإنْ صَمَتَتَ أفواهُهُمْ في الضَّرَائحِ [8]

---

(1) الركائب: الإبل التي تحمل المسافرين أو أغراضهم.
(2) العفاة: ذوي الحاجات والمطالب.
(3) الشحائح: البخيلة.
(4) السِّماك: نجم ـ الرامح: الذي يتسلح بالرمح.
(5) أسلافه: أجداده.
(6) النائل: العطاء ـ السجايا: الصفات والعادات والطبائع.
(7) ثاوٍ: مقيم.
(8) الضرائح: جمع ضريح: وهو القبر.

ومَرقى المنايا نحوَ آفاقِ عرْشِهِمْ وما كَانْ يرقى نحوَهَا طرفُ طامِحِ
سَلامٌ على جَنَّاتِ أجداثِهِمْ ولا سلامٌ لنارِ الحزنِ بينَ الجوانِحِ(1)

59

قال صفي الدين الحلّي يمدح الملك الصالح:

أهلاً بشُهبٍ عندَ إشراقِها يُجلى الدُّجى من نورِها الواضحِ(2)
يَنضبُ بحرُ اللّيلِ، إذْ تَغتَدي ناهِلَةً من لُجّهِ الطّافحِ(3)
كأنّما إيماضُها عَزمَةٌ من عَزماتِ المَلِكِ الصّالحِ(4)
مَلْكٌ يَظَلُّ الدّهرُ في حُكمه مُقتبِساً من رأيِهِ القادِحِ
ومَن غَدا سائحُ إنعامِهِ يَملأ قلبَ الآملِ السّانحِ(5)
لا بَرِحَتْ رُتبَةُ سُلطانِهِ تَسمُو على الأعزَلِ والرّامِحِ(6)

60

قال ابن مطروح مهدِّداً وساخراً من الملك لويس التاسع عندما سمع أنه يريد العودة لغزو مصر بعد أن فدىٰ نفسه من الأسر وعاد إلى بلاده:

قُلْ للفرنْسيسِ إذا جئتَهُ مَقَالَ صِدْقٍ من قَؤُولٍ فصيحْ(7)
آجَرَكَ اللّهُ على ما جَرَى من قَتْلِ عُبّادِ يسوعَ المسيحْ(8)

(1) الأجداث: جمع جَدَث وهو القبر أيضاً.
(2) الدُّجىٰ: الظلام.
(3) ينضب: ينفد ـ اللُّجَة: معظم الماء.
(4) إيماضها: ضوؤها ولمعانها.
(5) إنعامه: كرمه وعطائه.
(6) الرامح: المتسلّح بالرمح.
(7) الفرنسيس: يقصد الملك نفسه.
(8) آجرك: أثابك.

قد جئتَ مِصراً تبتغي أَخْذَها تحسَب أن الزَّمْرَ، يا طَبْلُ، ريحْ
فساقَكَ الحَيْنُ إلى أدْهَمٍ ضاقَ به عن ناظِرَيْكَ الفَسيحْ[1]
رُحْتَ، وأصحابُك أوْدعتَهم بِقُبحِ أفعالِكَ بَطْنَ الضَّريح[2]
خمسون ألفاً لا يُرى منهُمُ إلا قتيلٌ أو أسيرٌ جريحْ
ألْهَمَكَ اللَّهُ إلى مِثْلِها لعلَّ عيسى مِنْكُمُ يستريحْ
إنْ كانَ بابَاكُمْ راضياً فَرُبَّ غُبْنٍ قد أتى مِنْ نَصيحْ[3]
فاتَّخِذُوهُ كاهناً إنه أنْصَحُ من شِقٍّ لكمْ أو سَطِيحْ[4]
وقُلْ لَهُمْ إن أضْمَرُوا عَوْدَةً لأخْذِ ثأر أو لِقَصْدٍ صحيحْ
دارُ ابنِ لُقْمانٍ على عَهْدها والقَيْدُ باقٍ والطَّوَاشي صَبيحْ[6]

61

قالت عائشة الباعونية في مدح النبي ﷺ معدِّدة بعض ما مُنِح من الهبات:

وَمَاذا عَسَى أُحصِيْهِ مِنْ اختصاصِهِ وذَلِكَ شيءٌ ليسَ يحصرُهُ العَدُّ
وأنَّى الثَّنا واللَّه جلَّ جلالُهُ على عبْدِهِ أثنى فهلْ بعدَ ذا حَمْدُ
وَكُلُّ كمالٍ دونَ رُتْبَةِ مَجْدِهِ وَكلُّ عطاءٍ فهوَ مِنْ فَيضِهِ مَدُّ
لهُ الغايةُ اللأتي يُلاذُ بجاهِهَا وَيُطلَبُ من تلقائِها الوهبُ والرفدُ[7]
حَواها وأضحَى بالمليكِ مملَّكاً وخاصةً رسلِ اللَّهِ قاطبةً جُنْدُ
بِهِ لُذْتُ في أمري وفُزْتُ بما أشا ومن فيضِهِ قَدْ عمَّني الجبْرُ والسَّعدُ

---

(1) الحَيْنُ: القَدَرَ المهلكِ
(2) الضريح: القبر.
(3) بابكم: أي البابا وكبير رجال الدين عندهم ـ غبن: ظلم.
(4) شقٌّ وسَطيح: من كُهّان العرب في الجاهلية.
(5) أضمرَ الشيء: خبّأه في نفسه.
(6) الطواشي: نقول: طوّش فلانٌ فلاناً، إذا خصاهُ وجبَّ ذكرَهُ.
(7) الرفد: الإمداد والعطاء.

لـديْـهِ مـقـامـي واسـتـنـائِـيْ بـهَـديِـهِ سَبيلي وَوَجْدِي في محبتِهِ جدُّ[1]
عـلـيـهِ صـلاةٌ لا انـتـِهَـا لِـصـلاتِـهَـا وأزكـى سـلامٍ لا يـحـيـطُ بـهِ حـدُّ[2]
وآلٍ وأصـحـابٍ كِـرامٍ أعِـزَّةٍ لهم ثَبَتَ التَّفضيْلُ واتَّضَحَ المجْدُ
مدى الدَّهرِ ما هبَّ النسيمُ بروضةٍ تمايلَ فيها البانُ وابتسمَ الورْدُ
ومـا سـجَـعَـتْ فـوقَ الآراكِ حـمـامـةٌ وهاجَتْ تباريحُ الهوى وَنَما الوَجْدُ[3]

62

قال ابن نباتة يمدح الشهاب محمود ويَستدرُّ عطاءه:

في الرِّيقِ سُكرٌ وفي الأصدَاغِ تجعيدُ هَـذي الـمـدامُ وهـاتـيـكَ الـعـنـاقِـيدُ[4]
الـراحُ ريـقـةُ مَـن أهـوى وَلا عَـجَـبٌ إنَ رَاحَ وَهوَ على العشَّاقِ عِربيْدُ[5]
تـأتـي عـلـى أبْـلـقٍ ألـحـاظُ مُـقـلـتِـهِ فـهُـنَّ بِـيْـضٌ وفـي أحـشـائِـنَـا سُودُ[6]
ما أعجَبَ الحبَّ يلقاني بِسفكِ دمي على النَّقَا وَهوَ محبوبٌ ومودُودُ
كـأنَّـهُ صـنـمٌ فـي الـحـبِّ مـتَّـبـعٌ هَذا وما فيهِ إلاَّ القلبُ جُلْمودُ[7]
ظِـلُّ الـذَّوائـبِ مـمـدودٌ بـقـامـتـهِ للناظرينَ وَطَلْعُ الثَّغرِ مَنْضُودُ[8]
كـأنَّ تِـلـكَ الـلآلـي فـي مُـقـبَّـلِـهِ مِمَّا يُنظِمُ في القرْطاسِ محمودُ[9]
الـنـافـثُ الـسِـحرَ ألـفـاظاً مـحـلـلـةً وكـلُّ لـفـظٍ بـلـيـغٍ عـنـهُ مـعـقـودُ
والـمـقـتـفـي أمَدَ الـعـلـيـاءِ في طُرقٍ طَرْفُ البروقِ بـهـا تَـعـبـانَ مـكـدودُ

---

(1) استنائي: استنارتي ـ الوجد: الحب.
(2) لا انتها: لا انتهاء.
(3) سجعت: صوتت ورددت ـ الأراك: شجر يُستاك به ـ تباريح الهوى من التبريح، وهو الشدّة والإجهاد والأذى.
(4) الأصداغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن ـ وقصد ما فوقه من شعر.
(5) ريقة: ريق ـ العربيد: الذي يرتكب الحماقات وهو في حالة سكر.
(6) الأبلق: الذي فيه سواد وبياض.
(7) الجلمود: الصخرة.
(8) الطلع: غلاف ينفتح عن حب منضود فيه مادة: إخصاب النخلة ـ منضود: منتظم.
(9) المقبَّل: الفم.

لَـهُ إلى السَّبقِ تَقْريبٌ يفوتُ بهِ ... وفي مداهُ على البَاغينَ تَبعيدُ
تَفَرَّدَتْ بمعَانيهِ براعَتُهُ ... فاعْجَبْ لغُصْنٍ له كالوِرْقِ تَغرِيْدُ[1]
ناهِيكَ سَهماً تُسميهِ الوَرى قَلماً ... لَهُ إلى غَرَضِ العَلياءِ تَسديدُ
حُروفُهُ مَع ورقِ الدَّوحِ سَاجِعَةٌ ... وَغيرُها معَ دُودِ القزِّ معدُودُ[2]
تصيّد الملكُ أنواعَ البديعِ بِهِ ... إنَّ الملوْكَ على عِلاَّتِها صِيْدُ
في كَفِّ يقظانَ لا في القولِ ممتنِعٌ ... إِذَا أرادَ ولا في الفِكْرِ ترديدُ
لهُ على الرأيِ تنقيبٌ ومُطَّلعٌ ... وفي المقاصِدِ تصويْبٌ وتصعيدُ
يا سَيداً لِمُواليْهِ وَقاصِدِهِ ... في الودِّ عطفٌ وفي الإحسانِ توكيدُ
ناشدْتُكَ اللَّهَ في ودٍّ عنيتَ بِهِ ... شَطراً من العمرِ لا يألوهُ مجهودُ
راجِعْ يقينَكَ في ودِّيْ وَدَعْ عصبَاً ... لرأيِهِمْ في اقترابي مِنْكَ تبعيدُ
واردُدْ مقالَ عداةٍ لا اعتبارَ بِهِ ... إنَّ الرَّديءَ على أهليهِ مَردودُ
لَهُمْ بِذكريَ أضغانٌ مناقضةٌ ... في القلبِ وقدٌ وفي التَّحريشِ تبريدُ
حاشا ثباتكَ من إيلامِ قلبِ فتًى ... ما فيهِ إلاَّ موالاةٌ وتوحيدُ
لي من مبادىء عُمري فيكَ فَرْطٌ وَلاً ... فَمُ المصائبِ عن ذِكراهُ مسدودُ
فهلْ أضلُّ وجنحُ الشيبِ متَّضِحٌ ... بعدَ الرشادِ وليلاتُ الصِّبى سودُ
إنْ كُنتُ أُظْهِرُ وِدّاً لَسْتُ أُضمِرُهُ ... فلا وَفى ليَ مِنْ نُعماكَ مقصودُ
كُنْ كيفما شِئْتَ من صَدٍّ وَمن عَطْفٍ ... فما ودادُكَ في أحشَايَ مصدودُ
فَلَسْتُ أكرَهُ شيئاً أنتَ صانِعُهُ ... مَهْما صَنعْتَ فمشكورٌ وَمَحْمودُ

63

قال بهاء الدين زهير لمحبوبته مستعطفاً ومسترضياً:

---

(1) الورق: الحَمام.

(2) ساجعة: مصوّتة ومرددة.

عَـفَـا الـلَّـهُ عـنـكُـمْ أيـنَ ذاكَ الـتّـوَدّدُ ... وَأيـنَ جَـمـيـلٌ مـنـكُـمُ كـنـتُ أعـهَـدُ
بِمَـا بَيْنَنـا لا تَـنقُـضُـوا الـعَـهـدَ بَيْنَنـا ... فـيَـسـمَـعَ واشٍ أوْ يَـقُـولَ مُـفَـنِّـدُ(1)
ويـا أيُّـهـا الأحـبـابُ مـاذا أرَى بـكُـمُ ... وَإنّـي بـحَـمـدِ الـلَّـهِ أهـدَى وَأرْشَـدُ
تَـعالَـوْا نُـخلِّ الـعَـتْبَ عـنّا ونَـصْـطَـلِـحْ ... وعُـودوا بـنا لـلـوَصْـلِ وَالـعَـوْدُ أحـمَـدُ
ولا تـخـدِشـوا بـالـعَـتْـبِ وَجـهَ مَـحَـبّـةٍ ... لَـهُ بَـهْـجَـةٌ أنـوارُهـا تَـتَـوَقّـدُ
وَلا نَـتَـحَـمّـلْ مِـنّـةَ الـرُّسْـلِ بَـيـنَـنـا ... وَلا غُـرَرَ الـكُـتـبِ الـتـي تَـتَـرَدّدُ
إذا مـا تَـعـاتَـبـنـا وَعُـدْنَـا إلـى الـرِّضَـى ... فــذلِـكَ وُدٌّ بَـيْـنَـنـا يَـتَـجَـدّدُ
عَـتَـبْـتُـمْ عَـلَـيـنَـا وَاعـتَـذَرْنَـا إلـيـكُـمُ ... وَقُـلْـتُـمْ وقُـلـنـا وَالـهَـوَى يَـتَـأكّـدُ
عَـتَـبْـتُـمْ فـلَـم نَـعـلَـمْ لـطِـيـبِ حـديـثِـكـمْ ... أذلِـكَ عَـتْـبٌ أمْ رِضًـى وَتَـوَدّدُ
وقـد كـان ذاكَ الـعَـتـبُ عـن فَـرْطِ غَـيـرَةٍ ... ويـا طـيـبَ عَـتـبٍ بـالـمَـحَـبّـةِ يَـشْـهَـدُ
وَبِـتْـنَـا كَـمَـا نَـهـوَى حَـبـيـبَـيـنِ بَـيْـنَـنـا ... عِـتابٌ كَـمَـا انـحَـلّ الـجُـمَـانُ الـمُـنَـضَّـدُ(2)
وأضْـحـى نَـسـيـمُ الـرّوْضِ يـرْوي حـديـثَـنـا ... فـيـا رَبّ لا تُـسـمَـعْ وُشَـاةٌ وَحُـسّـدُ(3)

64

قال ابن مليك الحموي واصفاً دمشق وربوعها:

وجـلَّـقُ بِـكِ قَـدْ طـابَـتْ مَـشَـاهِـدُهَـا ... وَقَـدْ زَكَـاهَـا شَـاهِـدٌ مِـنْـهَـا وَمـشـهُـودُ
وَسَـامَـرَتْـنَـا بِـهَـا الـسُّـمـرُ الـرِّشَـاقُ ومِـنْ ... غِـزْلانِـهَـا غَـازلَـتْـنَـا الأعْـيُـنُ الـسُّـودُ(4)
وَوَجْـنَـةُ الـرَّوضِ وَشْـيُ الـقَـطـرِ دَبَّـجَـهَـا ... لَـمَّـا بَـدَتْ وَلَـهَـا فِـي الـخَـدِّ تَـوْرِيْـدُ(5)
والـرِّيـحُ شـبَّـبَ بِـالـعِـيْـدَانِ مِـنْ طَـرَبٍ ... والـطَّـيْـرُ يُـطـرِبُ مَـا لا يُـطـرِبُ الـعُـودُ(6)

---

(1) المفنِّد: الذي يعدِّد الأخطاء واحداً واحداً.
(2) الجمان: اللؤلؤ.
(3) الحُسَّد: جمع حاسد.
(4) سامرتنا: سهرت معنا وحدَّثتنا ـ السمر: الرماح.
(5) الوجنة: ما ارتفع من الخد ـ الوشيُ والتدبيج: التزيين ـ القطر: المطر.
(6) شبَّبَ بفلانة: تغزل بها ووصف محاسنها.

والنَّهرُ صفَّقَ والأغْصَانَ راقصةٌ   وَلِلهَنَا كلّ وَقْتٍ فيْهِ تَجْديْدُ

65

قال الشاب الظريف:

كيف خلاصي من الذي أَجِد؟   قد أعوزَ الصَّبرُ عنه والجَلَدُ[1]
ما قلتُ يوماً: قد انْقَضَى عددٌ   من الأعادي إلا أتِى عَدَدُ
قد عَرَفوا من أنا؟ وعاقهم   عن اعتراف بفضلي الحسدُ[2]
ما بلغوا ما حَوَيْتُ مِنْ أدب   فبالغوا في أذايَ واجتهدوا
وزَوَّروا قولَهم، وما صدقوا   في نقل شيء، ضرّي به قصدوا[3]
حاشا لمثل الأمير يسمع ما   قالوه عنّي وما به شهدوا
أو أنَّني أحرِفُ الفيافيَ مِن   خلفي ولا يستقرُّ بي بَلَدُ[4]
ماليَ إلا بيتيْ أُقِيمُ به   فلا يَراني من بعدها أحدُ
والأرضُ إلا دمشقَ لي وطنٌ   والناسُ إلا الأميرَ لي سَنَدُ

66

أرسل الشاعر عبد الرحيم العباسي قصيدة لعائشة الباعونية يُظهر فيها الودَّ والاحترام والتقدير قال فيها:

ليهنِك مجدٌ طارفٌ وتليدُ   يخصّكِ آباءٌ بِهِ وجُدُودُ[5]

(1) أجد: أعاني ـ الجلد: الصبر والتحمُّل.

(2) عاقهم: منعهم.

(3) ضرّي: الضرُّ، الأذىٰ.

(4) أحرف الشيء عن وجهه: أي أصرفه.

(5) الطارف: الحديث والمكتسب ـ التليد: القديم والمتوارث.

وَقَدرٌ لَهُ أعلى السَّماكينِ منزلٌ ... وفوقَ مُتونِ الفرقَدينِ قِعُودُ[1]
وأَصْلٌ زكا والفَرعُ يتبعُ أصلَهُ ... وليس له عمَّا انتحاهُ محيدُ[2]
فيا روضةَ العلمِ التي بان فَضْلُها ... سقاكِ من الفيضِ البسيطِ مديدُ
فمنثورُ ما تَبديهِ قَدْ ضاعَ نشرُهُ ... ومنظومُهُ فوقَ النَّحورِ عُقودُ[3]
وَورْقُ المعانِي فوقَ دَوْحِ بيانِهَا ... لها ببديعِ السَّجعِ فيه نشيْدُ[4]
إذا ما تغنَّى مُطرباً عَنْدَ لِيْبُهَا ... تَميلُ قلوبٌ لذةً وتميدُ[5]

فردَّت الباعونية على رسالته بقصيدة قالت فيها:

تَسَاميتَ مَرمًى فاللَّحاقُ بعيْدُ ... وحَسبُكَ ما أبدَعْتَ فهو شَهيدُ[6]
حَصْلتَ على الغاياتِ مجداً وسؤدُداً ... وفَضْلاً مُبيناً ليسَ فيه جُحُودُ[7]
وأصبَحْتَ في رَوضِ العلومِ مفكّهاً ... تجُولُ وتَجنيْ مَا تَشا وتُفيْدُ[8]
وكَمْ بِوجيزِ اللَّفظِ أصدَرْتَ مَنْهَلاً ... يَطيبُ به للطالِبيْنَ وُرُودُ[9]
مواردُ آدابٍ صَفَا سَلسَبِيلُهَا ... وحامَ عليها مهتدٍ ورَشيدُ[10]
فيا عَلماً في العِلمِ أصبحَ مُفْرَداً ... ومَنْ هوَ في فنِّ البديعِ وحيْدُ
وفائِي تأهيلي لِما لَسْتُ أهلَهُ ... وقَدْ شَملتني بالوفاءِ سعُودُ
تَطاولْتَ إحساناً بغرٍ لو انجلَتْ ... لحسَّانَ لم يبرحْ لهنَّ بعيدُ
ولو أبصَرَ المعمارُ ما قد تأَسَّسَتْ ... عليهِ لأضحَى للثناءِ يُشِيْدُ
ولو شَهدَ الورديُّ بهجةَ حُسْنِها ... لشَاهدَ عنها العجزُ وهوَ مُجيدُ

---

(1) السماكين: نجمان في الماء ـ والفرقدين: كذلك الأمر.
(2) زكا: طهُر.
(3) ضاع العطر: فاحت رائحته.
(4) الورق: الحمائم ـ الدوح: الأشجار ـ السجع: صوت الحمامة إذا رددت.
(5) العندليب: طائر أسمر اللون، جميل الصوت.
(6) تساميت: ارتفعت ـ شهيد: شاهد.
(7) السؤدد: السيادة ـ الجحود: إنكار المعروف.
(8) تفكه بالشيء: تمتع وتلذذ به.
(9) المنهل: النبع.
(10) السلسبيل: الشراب السهل المرور في الحلق لعذوبته.

67

قال ابن مليك الحموي شاكياً أهل زمانه وواصفاً بخلهم وسوء أخلاقهم:

أذمُّ إلى الزَّمانِ أُهَيْلَ سوءٍ يَرعوْنَ الغَيَّ من سُبُلِ الرَّشادِ[1]
لِئَامٌ يسلقونَكَ حينَ تَعشُو لِنَارِهِمُ بألسِنَةٍ حِدادِ[2]
تَراهُم مِنْ أشَدِّ النَّاسِ حِرْصَاً على الشَّيءِ الملفَّفِ بِالنَّجَادِ
فَيَدَّخِرونَهُ قُوتَاً وَزَاداً إلى يومِ القِيامَةِ والتنادِيْ
يَبيتُ نزيلُهُمْ غَرْثانَ يَطْوي ومضطَجِعَاً على شَوْكِ القَتَادِ[3]
يَرَوْنَ الجودَ مَنْقَصَةً وذلاً وأنَّ البُخلَ من شيمِ الجِيَادِ[4]
فَأكْرمهُمْ وأنْدَاهُم بغَاثٌ جَمادٌ في جَمادٍ في جَمادِ[5]
ومِنْ عَجَبٍ بَأنِّي بينَ قومٍ تَعيشُ كلابُهمْ وأموتُ جوعَا
ولا مَولى أرَى فيهمْ كَريمَا كأنَّ الناسَ قدْ ماتوا جَميعاً
مَدَحْتُكُمْ يَا ليتني لَوْ هَجَوْتُكُم ويَا ليتَ لو أقصرتُ تلكَ المحازِنَا
فإن كُنتُم لم تختَشُوا الشرَّ من يَدِيْ فخَافُوا على أعراضِكُم مِنْ لِسَانِنَا

68

وقال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيَّد:

عَذِيْرِيَ مِنْ سَاجي اللَّواحِظِ أغيدِ يَصولُ بأسيافِ الجُفونِ وَلا يدِ[6]

---

(1) أهيل: أهل أو أصحاب - الغي: الضلال.
(2) تعشو: تأتي عِشاءاً.
(3) غرثان: جائع - القتاد: نوع من الشوك.
(4) الجياد: مفردها جواد وهو الكريم.
(5) أنداهم: أكثرهم عطاءً - بغاث: طائر بطيء الطيران صغير.
(6) العذير: العاذر، ضد العاذل - ساجي اللواحظ: ساكن العيون فاترها - الأغيد: المتثني بلينٍ ورِقّة.

غزالٌ يَناجيني بلَفظٍ مُعرَّبٍ ... وَلكِنَّهُ يَسْطو بلحْظٍ مُهنَّدِ(1)
وَقدٌّ رَوتْ عن لِينِهِ واعتِدالِهِ ... صِحاحُ العَوالِيْ مُسنداً بَعدَ مُسنَدِ(2)
إذا قَعدَتْ أَرْدافُهُ قَامَ عطْفَهُ ... فيا طولَ شَجْويْ مِنْ مقيمٍ وَمقعدِ
كلفْتُ بِهِ مِنْ قَبلِ مَا طالَ قَدُّهُ ... فطوّ لَهُ فَرطُ العِناقِ المردّدِ(3)
وَعاينْتُ مِنْ فيهِ العقيقيَّ خَاتماً ... فَصُغتُ لَهُ باللَّثمِ فصَّ زُبرْجُدِ(4)
وَحدَّثني مِنْ ثَغرِهِ ورضَابِهِ ... عنِ الجوهريِّ المَنتقى والمبرّدِ(5)
وكنتُ حذرتُ الخودَ حينَ تمرَّدَتْ ... فأوقعني طَرفي لأمردِ أمرد(6)
يُخيَّلُ ليْ أَنّي له لستُ عاشِقاً ... لأَنْ ليس لي في حبِّهِ مِن مفنِّدِ
ولولا الهوى ما بِتُّ بالدَّمعِ غارقاً ... عليهِ وأشكو للورى غلَّةَ الصَّدي(7)
وألثمُ عطفيهِ وجفنيهِ بعدَ مَا ... قُتلتُ برمحٍ منهُما ومهنَّدِ
وأُبصرُ فيما تحتَ صدغيْهِ مِنْ سَناً ... خيالي خلوقاً تحتَ محرابِ مسجِدِ(8)
وربَّ مدامٍ من يديهِ شَرِبْتُها ... مُعتَّقَةً تدعو لعيشٍ مجدَّدِ
إذا جئتَهُ تَعشو إلى ضوءِ كأسِهِ ... تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ
تُحدثُكَ الأنفاسُ فيها عن اللَّما ... (ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تزوِّدِ)
فَشِمْ بَارِقاً قَد خَوَّلتكَ ولا تَشِمْ ... (لخولةَ أطلالٌ ببَرْقَةَ ثهمَدِ)(9)
مِنَ اللاءِ خفَّت في يمينِ مُديرِهَا ... فلوْ أهرقتها الكأسُ لم تتبدَّدِ
مصعَّدَةً مِنْ حيثُ تمَّ كيانُهَا ... تُطافُ علينا في إناءٍ مُجسَّدِ

---

(1) المهند: السيف.
(2) القدُّ: القلعة ـ العوالي: الرماح.
(3) فرط العناق: كثرته.
(4) العقيقي: نسبة إلى العقيق أي أحمر.
(5) الرضاب: الريق.
(6) الخود: الشابة الجميلة الحسنة الخَلْق.
(7) غلة الصدي: حرقة العطشان.
(8) الصدغ: جانب الوجه ما بين العين والأذن.
(9) شِمْ: تطلع وترقب.

فأحسنْ بها من كفّ ساقٍ كَأَنَّهُ … إذا حفَّها محتابُ ثوبٍ مورَّدِ
إذا قهقَهَ الإبريقُ في فمهِ انثنى … فقل فيْ قَضيبٍ مَاسَ تحتَ مُغرِّدِ
كأنَّ سَنَا رَاووقِهَا وصبيبُها … حبالُ شعاعِ الشَّمسِ تُفتلُ باليدِ(1)
كأنَّ بقايا ما نَضَا من كُؤوسِها … أساوِرُ تبرٍ في معاصِمِ خُرَّدِ(2)
كأنَّ مليكَ الفرسِ صوَّرَ نفسهُ … على جامها عمداً فمن يَدْنُ يَسجُدِ
سقى الغيثُ عني ذلكَ العيشَ إنَّهُ … تولى هنيءَ الوِرْدِ غيرَ مصرَّدِ
وفرَّق إلا مقلتي وسهادَها … وجمَّع إلاَّ مهجتي وتجلُّدي(3)
وبذْرٍ سَرى في طيَّةِ البينِ مُتْهِماً … فيا صَاحبي دَمعاً لعلَّكَ مُنجِدِي(4)
وقَالَ التسلِّيْ بمدنا لجفونِهِ … سَهرتِ زماناً يا نواعسُ فارْقُدي
حبيبٌ قَسمْتُ الشعرَ مابين حُسنهِ … وأوصافِ ملكٍ شامخِ القدرِ أصيدِ
فلا غزَلٌ إلاَّ لهُ من قصيدةٍ … ولا مدْحَ إلاَّ للمليكِ المؤيدِ
مليكٌ رأى أن لا مباريَ في الورى … فظلَّ يباري سؤددَ اليومِ بالغدِ
أخو عزَماتٍ في العلى جدَّ جدُّها … فلادَدُ منها لاَ ولاَ هيَ من دَدِ
سَما وعَلا حتَّى كأنَّ ذويلَهُ … غمائمُ قد لينت على فرقِ فرقدِ
يطوفُ رجاءَ المعتفينَ مقامهُ … بأبلجَ هطَّالِ اليدينِ ممجَّدِ
لو اختصمتْ أهلُ المكارمِ في النَّدى … لقالَ مقالَ الحقِّ: ملكيْ وفي يدي(5)
ولو قَصَدَتْهُ الوحشُ والطيرُ لم تُرَعُ … بمفترسٍ يوماً ولا متصيِّدِ(6)
كذلكَ فليحفظ تراثَ جدودِهِ … مليكٌ بنى فوق الأساسِ الموطَّدِ
توافقتِ الأهواءُ في ذاتِ فضلِهِ … فمن حاكمٍ عن علمهِ ومقلِّدِ

---

(1) السنا: النور.
(2) الخرَّد: مفردها خرود وهي الفتاة الحيِّية التي لم تُمس.
(3) التجلُّد: التصبُّر والتحمُّل.
(4) متهماً: متجهاً نحو تهامة ـ منجدي: متجهاً نحو نجد، وهما منطقتان في شبه الجزيرة العربية.
(5) الندىٰ: العطاء والكرم.
(6) تُرَع: تفزع وتخاف.

متى شئتَ يا راعي الكرامِ وجدتَهُ غَمَام النَّدى في دستِه قَمَر النَّدي
يـؤمُّ حِـمـاهُ طـالـبٌ بـعـدَ طـالـبٍ فذو الحال يَستجدي وذو العلم يقتدي
مـبـاحـثُ عـلـمٍ بلَّـدتْ كـلَّ مـفـصـحٍ على أنَّـهـا قد فصَّحت كلَّ أبلدِ[1]
ولـفـظٌ كـأنَّ الـسِّـحـرَ فـيـه مـحـلَّـلٌ ألـم تـرَهُ فـي الـذَّوْقِ غـيـرَ مـعـقَّـدِ
كـأنَّ الـنجـومَ الزُّهـرَ في كَبدِ الدُّجى شـرارُ لـظًـى مـن ذهـنِهِ الـمـتـوقِّـدِ[2]
ولا عـيـبَ فـيـه غـيـرُ إسرافِ جـودِهِ وأنَّ مـدَى عـلـيـاهُ غـيـرُ مُـحـدَّدِ
تـجـولُ ثـغـورُ الـلَّـثـمِ حـولَ بـنـانِـهِ كما جالَ عقدٌ في ترائِبِ أَجْيَدِ[3]
هـيَ الـنـفـسُ مـا أفـنـت ثَـراَءً مـفـرّقـاً فـعـوَّضـهـا إلاّ بـمـجـدٍ مُـنـضَّـدِ[4]
ومـا الـمـالُ بـيـنَ الـنـاسِ إلاّ أزاهـرٌ بـروْضٍ متى لـم تـجْـنَ تـهـوِ وتُـفـقَـدِ
رعـى الـلَّـه أيـامَ الـمـؤيَّـد إنَّـهـا أحـقُّ وأولـى بـالـثـنـاءِ الـمـؤيَّـدِ
حَمتْ وهَمتْ فالناسُ ما بينَ هاجدٍ أمـانـاً ودَاعٍ فـي الـدُّجـى متهجِّدِ[5]
ومـا عـرفـتْ يـوْمـي نـدًى وشـجـاعـة بـأخـلاَقِ مَـوْعـودٍ ولا مـتـوعِّـدِ
ورُبَّ وغـىً مـوهـي الـسَّـوابـغَ حـرُّهـا ويـتـركُ أعـطـافَ الـحُـسَـامِ كَـمـبردِ[6]
تـيـمَّـمَـهـا الـمـلـكُ الـمـؤيـدُ واـدِعـاً تـيـمَّـم مـنـصـورِ الـلـواءِ مـطـوَّدِ[7]
جَـلـتْ بـمـسـاويـكِ الـرِّمـاحِ جـيـوشـهُ خلوفَ العدَى من كلِّ ثغرٍ ممهَّدِ[8]
وصَـلـتْ بـأوطـانِ الـشـهـادةِ بـيـضَـهـمْ تـمـامـاً كـأنَّ الـبـيـضَ زُوّارُ مَـشـهـدِ
تـقـومُ بـأيـديـهـم وتـركـعُ فـي الـطَّـلا وتـسـجـدُ فـي بـطـنِ الـجَـوَادِ الـمَـزرَّدِ
دَعِ الـمـبـتـغـي نـحـو الأكـارِمِ شـافِـعـاً وجـئْـهُ فـقـيـراً بـالـرّجـاءِ الـمـجـرّدِ

(1) بلَّدَتْ: جعلته بليداً ضعيف الذكاء.
(2) الدُّجىٰ: الظلام.
(3) الترائب: عظام في أعلى الصدر حيث تكون القلادة ـ الأجيد: من طال عنقه وحسن.
(4) منضَّد: منظَّم.
(5) الهاجد: النائم ـ المتهجد: من تهجَّد، أي: استيقظ ليصلي صلاة الليل.
(6) الوغىٰ: الحرب.
(7) تيمَّمها: توجه إليها وقصدها.
(8) الخلوف: رائحة فم الصائم.

هنالكَ تلقى نعمةً إثرَ نعمةٍ ... لِداعي النَّدى مثل النداءِ المؤكّدِ
ومبيضُّ آثارِ الصنائعِ أحمدتْ ... مناقِبهُ أيامَ كلُّ مسوَّدِ
إذا شامَ رأياً في الملماتِ كفَّها ... بأفتكِ من صرفِ الزَّمانِ وأكيدِ
وإنْ طلبَ الأعداءُ راعَ جيادهم ... فذو السّبقِ في تمجيله كالمقيَّدِ
وخلَّفهم تبكي على الجَسد الطَّلا ... بكاءَ لبيدٍ يومَ فُرقةِ أرْبَدِ(1)
وقصَّرَ عن هَيْجائِه شعرُ مادحٍ ... فأصغى إلى مدحِ الوشيجِ المقصَّدِ
وحدّثنا يومَ الفَخارِ جبينُهُ ... أحاديثَ صدقٍ عنْ طهارَةِ محتِدِ(2)
ولولا تكاليفُ العُلى وشجونُها ... لما كَانَ فيها مَرْصَدٌ فوقَ مَرْصَدِ
ليهنِكَ ودُّ الناصرِ الملكِ إنَّهُ ... دليلٌ على وصلِ الهنا المتودِّدِ
أخذتَ به من كلِّ ريْبٍ براءَةً ... فيالكَ من أنفالِ رأيٍ مسدَّدِ
وقطَّعتَ أسبابَ الحوادثِ بعدما ... علقتَ بحبلٍ من حبالِ محمدِ
وهزَّكَ غصناً في مهمات ملكِهِ ... فصانَ بمسلولٍ وزانَ بمعمدِ
وما زلتَ للألقابِ في الفضلِ صالحاً ... نُشرِّفها ما بين مثنى وموحَدِ
كأني بأوطانِ العراقِ وقد عَنَتْ ... لشامٍ وأقصى شرقِها وكأنْ قَدِ
ولستُ إذا عُدَّ المقالُ بكاهِنٍ ... ولكنَّ من تزجُرُ بيُمنِكَ يُرشِدِ(3)
إليكَ سلكتَ الخلقَ سَمحاً وباخِلاً ... وجُبْتَ المرامي فَدْفَداً بعد فَدْفَدِ
فوفَّيتني وَعدَ الأماني وإنَّها ... سَجيَّةُ إسماعيلَ في صدقِ موعدِ(4)
وجادَ بكَ الدَّهرُ البخيلُ وطَالما ... تدفَّقَ عذبُ الماءِ من قلب جَلمَدِ(5)
فيا ليتَ قومي يعلمونَ بأنَّني ... تَعجَّلت من نُعماكَ أضْعافَ مقْصِدِي
وَجملتُ فيكَ الشِّعرَ حتى نظمتُهُ ... فما البيتُ إلاَّ مثلُ قَصْرٍ مشيَّدِ

---

(1) الطلا: الصغير من الناس والبهائم والوحوش.

(2) المحتد: الأصل.

(3) الكاهن: المنجِّم.

(4) السجية: الصفة الراسخة والطبيعة.

(5) الجلمد: الصخر.

وأخملْتُ أربابَ القريض كأنَّني أدرتُ على أسماعِهِم كأس مُرْقِدِ[1]
فلا زلتَ مخدومَ المُقامِ مخلّداً ومَنْ يكتسبْ هذا الثناءَ يُخلَّدِ
شكرتُكَ حتى لم تدعْ ليَ لفظةً وكِدْتُ بأن أشكوكَ في كلِّ مشهدِ
لِأنَّكَ قد أوهَنْتَ جُهدي باللُّهى وأنسيتني أهْلي وأكْثَرتَ حُسَّدِي

69

قال ابن مطروح من قصيدة يمدح بها الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وهو أحد رجال الدولة الذين اتصل بهم، وقد أصيب بضربة قاتلة وهو يجاهد ضد حملة لويس التاسع:

هي رامةٌ فخذُوا يمينَ الوادي وَدَعُوا السيوفَ تَقَرُّ في الأغمادِ
وحذارِ من لحظاتِ أعْيُنِ عَيْنِها فلكمْ صُرعْنَ بها من الأَغْمادِ
مَنْ كانَ منكم واثقاً بفؤادِهِ فهناكَ ما أنا واثقٌ بفؤادي
يا صاحبيَّ وَلِي بجرعاءِ الحِمَى قلبٌ أسيرٌ مالَهُ مِنْ فادي[2]
سَلَبَتْهُ مني يومَ بانوا مُقْلَةٌ مكحولةٌ أجفانُها بِسَوادِ[3]
قالتْ لنا أَلِفُ العِذارِ بِخَدِّه في مِيمِ مبسمه شفاءُ الصَّادي[4]
أصبحتُ مالي في الصبابةِ مشبِهٌ وكذاك فخرُ الدِّينِ في الأجواد[5]
مَلِكٌ تملَّكَ بالشجاعة والنَّدَى قلبَ الخميسِ معاً وصَدْرَ النَّادي[6]
شَرَفاً بني شيخ الشيوخِ ومَنْ بهم مِصْرٌ غدت تَزْهُو على بَغْداد

(1) أخملتهم: أي جعلتهم خاملي الذكر، منسيِّين فلا أحد يذكرهم ـ القريض: الشعر.
(2) الجرعاء: الأرض ذات الحُزونة تشاكل الرمل.
(3) المقلة: العين.
(4) العذار: جانب اللحية ـ الصادي: العطشان.
(5) الصَّبابة: شدة الوجد من الحب.
(6) الخميس: الجيش العظيم.

يلقَى الكماةَ فمن نجا من سيفه غَلَطاً فما ينجو من الأصفاد[1]
وتراه أثْبَتَ ما يرى في مَعْرَكٍ والخيلُ تعثر في القَنَا المنَاد
حيثُ النفوسُ عن الجسومِ بمَعْزل فكأنها غَضْبَى على الأجسادِ
يممتُهُ فوجدتُ بحراً زاخراً فغنيتُ عن وَشَلٍ وَوِرْدِ ثَماد[2]
وشهدتُ فيه في الحقيقةِ يوسفاً حُسْناً وحُسنى في عُلاً وَسَداد[3]
أبدت لِيَ الأيامُ سُودَ مكارهٍ فلقيتُ في نعماهُ بِيضَ أيادي

70

قال ابن مليك الحموي مصوراً مأساته وشاكياً فقره وفاقته:

إلَيْكَ جِئْتُ قاصِداً يَاغَايَتي وَقَصْدِي
بِالبِرِّ قَدْ أَوْعَدْتَني فَأوْفِ لِيْ بِالوَعْدِ[4]
حَاشَاكَ إنْ قَابَلتَني يَا سَيِّدِيْ بِالرَّدِّ
فَمَا بِبَيْتي سَبْدَةٌ وَلَبْدَةٌ مَاعِنْدِي[5]
وَمَا بِهِ مِنْ دِرْهَمٍ وَلاَ الجَدِيدِ الفَرْدِ
وَلَيْسَ فِيهِ حِنْطَةٌ صَاعَاً ولا مِنْ مَدٍّ[6]
كَلاً ولا مِن فَأرةٍ بِهِ ولا مِن جَرْدِ
فَلَوْ تَراني عَارِيَاً مُضنى حَلِيْفَ السُّهدِ[7]
مُجَرَّداً مرتَدِيَاً حَصِيْرةً مِنْ بُرْدِ

(1) الكماة: الفرسان الكاملو السلاح ـ الأصفاد: القيود.
(2) يممته: قصدته واتجهت إليه.
(3) السداد: نقول فلان رأيهُ سديد أي مصيب لا يخطىء أبداً.
(4) البرّ: الصلة والعطاء.
(5) السَّبدُ: القليل من الشعر ـ اللبد: الصوف ـ ويقال ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ أي ماله قليل ولا كثير.
(6) الصاع والمد: وحدتان لقياس الأوزان.
(7) المضنى: المريض المهزول ـ السهد: السهر وعدم القدرة على النوم.

وَخُـذْ قَـصَـيْـداً طِـيـبُـهـا   يَـفُـوْقُ نَـشْـرَ الـوَرْدِ[1]
واسـتـجـلِـهَـا شَـامِـيَّـةً   تـغـنـى بِـهَـا عـن هِـنْـدِ
وَحَـرّر الـنَّـقْـدَ عَـسَـى   تَـؤُوْبُ لـي بـالـنَّـقْـدِ

71

يمدحُ الشاب الظريف الملكَ المنصور الثاني محمد صاحب حماه، وهو الوحيد الذي مدحه من الملوك والسلاطين، فيقول:

أأخـافُ صـرفَ الـدَّهـرِ أمْ حـدثـانـهُ   والـدهـرُ لـلـمـنـصـورِ بـعـضُ عـبـيـدِهِ[2]
مَـلِـكٌ نَـداهُ فـكَّـنـي وانـتـاشـنـي   مـن مِـخْـلَـبَـيْـه ومـن إسـارِ قـيـودِهِ[3]
مَـلِـكٌ إذا حـدَّثْـتُ عـن إحـسـانِـه   حدَّثْتُ عن مُبدي النَّدى ومُعيدِهِ
سـادَ الـمـلـوكَ بـفـضـلِـهِ وبـنـفـسـه   والـغُـرِ مـن آبـائِـهِ وجـدوده[4]
وإذا تـرنـمـتِ الـرواةُ بـمـدحِـهِ   وثـنـائِـهِ اهـتـزَّتْ مـعـاطِـفُ جـودِهِ
هـاجـرتُ نـحـوَ مـحـمـدٍ لـمّـا رأ   يـتُ الـعـالـمَ الـعُـلـويَّ فـي تـأيـيـدِهِ
وثـنـيـتُ أعـنـاقَ الـقـوافـي نـحـوَه   ونـظـمـتُ درَّ مـدائـحـي فـي جُـودِهِ[5]
فلو أنَّني خُيِّرتُ من دهري المنى   لاخـتـرتُ طـولَ بـقـائِـهِ وخـلـودِهِ
يـا آل أيـوبٍ جُـزيـتـمْ صـالـحـاً   عـن مـحـسـنٍ مَـدْحَ الـمـلـوكِ مـجـيـدِهِ
ونَعِمْتُمْ ما افترَّ عن ثغرِ الضُّحى   صبحٌ، وما فضحَ الدُّجى بعمودِهِ[6]

---

(1) النشر: العبير.
(2) الحدثان: الخطوب والمصائب.
(3) نداه: عطاؤه ـ انتاشني: خلّصني
(4) الغرّ: السّادة والأشراف.
(5) ثنيت أعناق القوافي: يقصد أخضعتُها ووجهتُها إليه ـ الدرّ: الجواهر.
(6) افترّ: تلألأ، ويقال: افترّ، لمن ابتسم وبدت ثناياه.

72

قال بهاء الدين زهير يصف محبوبه وما جرَّه عليه من ويلات:

ومُهَفهَفٍ كالغُصْنِ في حرَكاته ... حُلْوِ القَوَامِ رَشيقِه مَيّادِهِ[1]
صَنمٍ لعَمرُكَ ما بَراهُ اللّهُ في ... ذا الحُسنِ إلاّ فِتْنَةً لِعبَادِهِ[2]
وَمِنَ العَجائِبِ فِعْلُهُ بمُحبّهِ ... يَصليهِ ناراً وَهوَ من عُبّادِهِ
ويُبيحُ للتّعذيبِ في سَهر الدّجى ... طَرْفَ المُحبّ وَذاكَ من أجنادِهِ
يا عاذِلي ما كنتُ أوّلَ عاشِقٍ ... فتَكَ الغرامُ بلُبّهِ وَفُؤادِهِ[3]
فالقَلْبُ يَعلَمُ أنّهُ في غَيّهِ ... لكن تَغَطّتْ عنهُ سُبْلُ رَشادِهِ[4]
لا تَطلُبَنْ هيهاتِ منهُ صَلاحَه ... إنْ كانَ رَبُّكَ قد قضَى بفَسادِهِ

73

قال ابن نباتة في إحدى زهديّاته:

أستغفِرُ اللّه! لا مَالي ولا وَلَدِي ... آسَى عليه إذا ضَمَّ الثَّرَى جَسَدي[5]
عِفْتُ الإقامة في الدنيا لو انشرحَتْ ... حالي فكيف وما حَظّي سوى النَّكَد[6]
وقد صدئتُ ولي تحت التراب جلا ... إنَّ الترابَ لَجَلاَّءٌ لكل صَدِي
لا عارَ في أدَبي أنْ لم يَنَلْ رُتباً ... وإنما العارُ في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حَظّي! فيا عجبا ... مِنّي لِثَرْوَةِ لَفْظٍ وافتقارِ يَدِ
حياةُ كلِّ امرئٍ سجنٌ لِمُهْجتِهِ ... فاعْجَبْ لطالب طول السجن والكَمَدِ[7]

---

(1) المهفهف: الضامر البطن، الدقيق الخصر ـ الميَّاد: المتمايل والمتثني.
(2) براه: خلقه.
(3) اللبُّ: العقل.
(4) الغي: الضلال.
(5) آسىٰ: من أسيتُ إذا حزنت ـ الثرى: التراب.
(6) عفت: تركت وكرهت ـ النكد: الهمُّ والغمُّ.
(7) المهجة: الروح.

أما الـهـمـومُ فـبـحـرٌ خـضـتُ زاخـرَهُ ... أما ترى فوق رأسي فائضَ الزَّبَدِ[1]
وعِـشْـتُ بـيـن بـنـي الأيـام مـنـفـرداً ... وَرُبَّ مـنـفـعـةٍ فـي عـيـشٍ مُـنْـفَـرِدِ
يـا جـامعَ الـمـالِ إنَّ الـعـمـرَ مُـنْـصَـرِمٌ ... فابخلْ بمالِكَ مهما شئتَ، أوْ فَجُدِ[2]
ويـا عـزيـزاً يَـخِـيـطُ الـعُـجُـبُ نـاظِـرَهُ ... اذكُـرْ هـوانَـكَ تـحـت الـتُّـربِ واتَّـئِـدِ
كـم واثـقٍ بـالـلـيـالـي مَـدَّ راحـتَـهُ ... إلـى الـمـرام فـنـاداه الـحِـمـامُ: قَـدِ[3]

74

قال صفي الدين الحلّي يصف كَرَم ممدوحه وعطاءه:

أغـارَ الـغَـيـثَ كَـفُّـكَ حـيـنَ جـادَا، ... فـأفـرَطَ فـي تَـرادُفِـهِ وزادَا[4]
أظـنُّ الـسُّـحـبَ تَـحـسُـدُنـا عـلَـيـهِ، ... فـتَـمـنَـعُ مـن زيـارَتـكَ الـعِـبـادَا
ثَـنـانـا عَـنـكَ، فـازددنـا ثَـنـاءً ... عـلـى عَـلـيـاكَ لا نـألُ اجـتِـهـادَا[5]
فـأغـضَـبـنـا، وإن أرضَ الـبَـرايـا، ... وأظـمَـأنـا، وإن رَوّى الـبـلادَا[6]
وكَـم عَـنّـفـتُـهُ فـي قَـطـعِ حَـبـلـي، ... وإن وَصَـلَ الأنـامَ، فَـمـا أفـادَا[7]
فـيَـضـحَـكُ حـيـنَ أعـتِـبُـهُ، ويَـبـكـي ... فـيُـوهِـمُـنـي الـخَـديـعَـةَ والـوَدادَا
وأعـجَـبُ لابـتـسـام الـبـرقِ فـيـهِ، ... وقـد لَـبِـسَـتْ سَـحـائـبُـهُ حِـدادَا[8]
فـظَـلّـت تَـحـسُـدُ الأوراقَ عَـيـنـي، ... وقـد أرسَـلـتُـهـا تَـشـكُـو الـبُـعـادَا

(1) فائض الزبد: يقصد بياض شعر رأسه.
(2) منصرم: نقول انصرم: انقطع وانتهى.
(3) المرام: الغاية والمطلب ـ الحِمام: الموت ـ قدِ: حَسْب.
(4) ترادفه: هطوله وانسكابه.
(5) ثناني عن الشيء: منعني ـ ثناءً: مدحاً.
(6) البرايا: المخلوقات، ويقصد الناس.
(7) عنفته: عاتبته وزجرته.
(8) لبست حداداً: أي لبست السواد.

ولـو أنّـي استَطَعـتُ، وقـد حـمـلَـنـا بَـيـاضَ الـطّـرسِ نـحـوَكَ والـسّـوادَا[1]
لـصَـيّـرتُ الـبَـيـاضَ لـهـا سِـجِـلاً، وصَـيّـرتُ الـسّـوادَ لـهـا مِـدادَا

95

قال ابن عربي:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـلَّـهَ أَكْـرَمَ أَحـمَـداً وَنـادى بِـهِ حَـتَّـى إِذا بَـلَـغَ الـمَـدى
تَـلَـقَّـاه بـالـقُـرآنَ وَحْـيـاً مُـنَـزَّلاً فَـكـانَ لَـهُ رُوحـاً كَـريـمـاً مُـؤَيَّـدا
وَأَعْـطـاهُ مـا أَبْـقـى عَـلَـيْـهِ مَـهـابَـةً فَـأَوْرَثَـهُ عِـلْـمـاً وحِـلْـمـاً وَسُـؤْدَدا[2]
وأَعلى بِهِ الدينَ الحنيفيَّ والهُدى وَصَـيَّـرهُ يَـومَ الـقـيـامَـةِ سـيِّـدا
وَهَـيّـأَ يَـومَ الـفَـصْـلِ عـنـدَ وُرودِهِ لَـهُ فَـوْقَ أَدْنـى فِـي الـتَـقَـرّبِ مَـقْـعَـدا
وَعَـيَّـنَ يَـومَ الـزَّوْرِ فِـي كـلِّ حَـضْـرةٍ لَـهُ في كَثيبِ المِسْكِ نُزْلاً وَمَشْهَدا[3]
فَيا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ بَلْ خَيْرَ مُرسَلٍ لَقَدْ طِبتَ فِي الأَعْراقِ نشأً وَمَحْتِدا
تَـحَـلَّـيْـتَ لـلإرسـالِ فِـي كُـلِّ شُـرعَـةٍ يُـظْـهِـرْن آيـاتٍ وَيَـقْـدَحْـنَ أَزْنُـدا
فـفِـي قَـوْلِـكُـم لَـمّـا دُعِيتُ مُـذَمَّـمـاً وَقَـدْ كـانَ سَـمَّـاكَ الإلـهُ مَـحَـمَّـدا[4]
لَقَدْ عَصمَ الرَّحْمَنُ بالرَّحمَةِ اسْمَنا كَعِصْمَتِنا مِنْ سَبِّ مَنْ كانَ أَلْحَدا[5]
عُـلُـومٌ وأَسْـرارٌ لِـمَـن كـان ذا حِـجًـى تَـدُلُّ عـلـى خُـلـقٍ كـريـمٍ مِـنَ الـعِـدى
فَـيـا خَـيْـرَ مَـبـعـوثٍ إلـى خـيـرِ أُمَّـةٍ لَوْ أَنَّكَ فِي ضيقٍ لكُنْتُ لَكَ الفِدا
وَلَـمَّـا دَعَـوتُ الـلَّـهَ غـيـرةَ مُـؤمـنٍ عَلى مَنْ تَعَدَّى فِي الشَّريعةِ واعْتدَى
أَتـاكَ عِـتـابُ الـلَّـهِ فـيـهِ وَلَـم تَـكُـنْ أَرَدْتَ بِـهِ إلاّ الـتَـعَـصُّـبَ لِـلْـهُـدى

(1) الطرس: الكتاب أو الصحيفة.
(2) السؤدد: السيادة والمجد.
(3) الكثيب: التل من الرمل.
(4) مذمم: أي مذموم ضد محمود.
(5) ألحد: لم يعتقد بالغيبيات.

بَأَنَّكَ قَدْ أَرْسَلْتَ لِلخَلْقِ رَحْمَةً ... وَمَنْ كانَ هذا أصلُهُ طابَ مَوْلِدا
مَدَحْتُكَ لِلأَسماءِ مَدْحَ معرِّفٍ ... وَقُمْتُ بِهِ فِي مَوْقِفِ العَدْلِ مُنْشِدا
وَها أَنا أَتْلُو فِي مَديحِكَ أَلْسُناً ... تَعِزُّ عَلى مَنْ كانَ فِي العِلْم قَدْ شَدا
وَلَمْ أَغْلُ بَلْ قُلْتُ الذي قالَ رَبُّنا ... وجِئتُ بِهِ فَضْلاً مُبيناً لأَرْشُدا(1)
مَدَحْتُكَ بالأَسْماءِ أَسْماءِ رَبِّنا ... وَلَمْ أَلتَفِت عَقلاً وَرَأْياً مُسَدَّدا(2)
بأَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ كَوْنُهُ ... وأَنْتَ مُضافُ الكافِ شَرْعاً وَما عَدا
فَعَيْنُكَ عَيْنُ السِّرِّ والسَّمعُ سَمعُهُ ... وأَنْتَ الكبيرُ الكُلِّ لِلعَيْنِ إِنْ بَدا
وأَنتَ الذي أَكنِي إذا قُلْتَ كُنيةً ... وأَنْتَ الذي أَعنِي إذا ما تَمَجَّدا(3)
لَقَدْ خَصَّكَ الرَّحمٰنُ بالسُّورةِ التي ... رَوَينا وَلَمْ يَنزِلْ لَنا ذِكْرُها سُدى(4)
وأَنْتَ مَقالُ العَبْدِ عِندَ قِيامِهِ ... مِنَ الرَّكْعَةِ الزُّلْفى لِيَهْوِي فَيَسْجُدا
وأَنْتَ وُجودُ الهاءِ مَهْما تَعبَّدَتْ ... وأَنْتَ وُجودُ الواوِ مَهْما تَعَبَّدا
فَقُلْ إِنَّه هُوَ أو فَقُلْ لَيسَ هُوَ بِهوٌ ... وإِيَّاكَ أَنْ تَبْغِي لِنفسِكَ مَوْعِدا
وَلا تَأْخُذْ إلاّ لِقاءَ زُوراً فإِنَّهُ ... حَقيقتُكُم إِنْ راحَ عَنْكُمْ وإن غَدا
وَلَمّا اصْطَفاكَ اللَّهُ عَبْداً مقرَّباً ... أَراكَ الذي أَعطى عَلَيْكَ وأَشْهَدا
فَمَنْ كانَ يَدريهِ يَكُونُ مُوَحِّداً ... وَمَنْ كانَ لا يَدْرِي يَكُونُ مُوَحَّدا
إذا ما مَدَحْتُ العَبْدَ فامْدَحْهُ هٰكَذا ... وَكُنْ في الذي تُلْقِيهِ عَبْداً مُوَحَّدا
فإِنَّكَ لَمْ تَمْدَحْهُ إلاّ بِهِ فَكُنْ ... لِمَنْ جاءَ يَسْتَفْتيكَ رُكْناً وَمَقْصِدا
فواللَّهِ لَولا اللَّهُ ما كنتُ مُصلِحاً ... وَواللَّهِ لَوْلا الكونُ ما كنتُ مُفسِدا
فَمَنْ كانَ مشهُوداً بِهِ كانَ مُؤْمِناً ... وَمَنْ كانَ مَغْلوماً لَهُ كانَ مُلحِدا
فَكُنْ مَنْ عَلا فِي الأَمْرِ بالأَمْرِ نَفْسِهِ ... وَلا تَكُ مِمَّن قالَ قَوْلاً فَأَخْلَدا
فَهذا مَديحُ الاختِصاصِ مُبَيَّنٌ ... جَمَعْتُ لَكُمْ بَيْنَ النِدا فيه والندى(5)

(1) أغل: لم أتجاوز ولم أحد.
(2) مسدَّد: مصيب لا يخطىء أبداً.
(3) أكني: أي أعني أو أشير.
(4) سدىً: دون جدوىً.
(5) النِّدا: أي النداء.

وأَجْرَيْتُ فيهِ الخَمْرَ نَهْرَ الشَّارِبِ إذا ما تحسَّى جُرْعَةً مِنْهُ عَرْبَدا[1]
ألا إنَّني أرْجوا مِنَ اللَّهِ أنْ أرى بِمَشْهَدِهِ الأعْلى عَبيداً مُؤيِّدا
بَأسْمائِهِ الحُسْنى وأنفاسِ جُودِهِ أكونُ بِها بَيْنَ الأنامِ مُسَوَّدا

76

قال شهاب الدين محمود يمدح المنصور قلاوون حين فتح حصن «المرقب» سنة ٦٧٨هـ:

اللَّهُ أكبرُ هذا النصرُ والظفرُ هذا هو الفتحُ لا ما تزعُمُ السِّيَرُ
هذا الذي كانت الآمالُ إنْ طَمَحَتْ إلى الكواكبِ ترجوهُ وتنتظرُ
فانهضْ وَسِرْ واملكِ الدُّنيا فقد نَحُلَتْ شوقاً منابرُها وارتاحتِ السُّوَرُ[2]
كَمْ رامَ قبلَكَ هذا الحصنَ من مَلِكٍ فطال عنه وما في باعِهِ قِصَرُ[3]
وكيف تمنحُه الأيامُ مملكةً كانت لدولتكَ الغَرّاءِ تُدَّخَرُ
وكيف يسمو إليها مَنْ تَأخَّرَ عن إسعادِهِ مُنْجِداكَ: القَدْرُ والقَدَرُ
غرَّ العِدا منك حِلْمٌ تحته هِمَمٌ لأشقرِ البرقِ من تحجيلها غُرَرُ[4]
لها وإنْ أشبهتْ لُطْفَ النسيمِ سُرىً معنى العواصفِ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ
أَوْرَدْتَها المَرْقَبَ العالي وليسَ سوى ماءِ المجرَّةِ في أرجائها نَهَرُ[5]
كأنه، وكأنَّ الجوَّ يكنفه، وهْمٌ تُمَثِّلُهُ في طَيِّها الفِكَرُ[6]
يختالُ كالغادةِ العذراءِ قد نَظَمَتْ منه مكانَ اللآلي الأنْجُمُ الزُّهُرُ[7]

(1) تحسَّى: شرب على مهل - عربد: ساء خلقه.
(2) نحلت: هزلت وضعفت.
(3) رام: طلب وابتغى.
(4) غرَّ: خدع - والتحجيل: بياض في قوائم الفرس.
(5) ماء المجرَّة في أرجائها نهر: يقصد أنها في غاية الارتفاع.
(6) يكنفه: يحيط به ويرعاه.
(7) الغادة: المتثنية والمتمايلة بلين ولطف - الزهر: المضيئة.

تعلو الرياحُ إليه كي تُحيطَ به … خُبْراً، وتدنو وما في ضِمْنِها خَبَرُ
ويومضُ البرقُ يهفو نحوه ليرى … أدنى رُباه ويأتي وهو مُعْتَذِرُ[1]
وأُضرمتْ حولَه نارٌ لها لَهَبٌ … من السيوفِ ومن نَبْلِ الوغى شَرَرُ
كأنها ومجانيقُ الفرنج لها … فرائسُ الأُسْدِ في أظفارها الظُّفَرُ[2]
وكم شكا الحِصْنُ ما يلقى فما اكترثتْ … يا قلبها أحديدٌ أنتَ أم حَجَرُ
وللنقوب دبيبٌ في مفاصِلِهِ … تُثِيرُ سُقْماً ولا يبدو له أثَرُ
أضحى به مِثْلُ صَبٍّ لا تَبِينُ به … نارُ الهوى وهي في الأحشاء تستَعِرُ[3]
ركبتَ في جُنْدِكَ الأولى إليها ضُحاً … والنصرُ يتلوكَ منه جندُكَ الأُخَرُ
قد زالَ تُجْلَى قُواه عن قواعِدِهِ … وخرَّ أعلاه نحو الأرضِ يبتدرُ
وَسَاخَ وانكشفتْ أقباؤه وبَدَا … لديكَ من مُضْمَراتِ النَّصْرِ ما ستروا
فمال يهوي إليهم كلُّ ليثِ وغًى … له من البيض نابٌ والقَنا ظُفُرُ
إن لم يُوَفِّ الورى بالشكر ما فَتَحَتْ … يداكَ فاللَّهُ والأملاكُ قد شَكَروا

77

قال البرعي:

تَجَلَّتْ لِوَحْدانيَّةِ الحَقِّ أَنْوارُ … فَدَلَّتْ عَلى أَنَّ الجُحُودَ هو العارُ[4]
وأَغْرَتْ بِداعي الحَقِّ كُلَّ مُوَحِّدِ … لِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذا الجارُ والدَّارُ[5]
وأَبْدَتْ مَعاني ذاتِهِ بِصِفاتِهِ … فَلَمْ يَحْتَمِلْ عَقْلُ المُحِبِّينَ إنْكارُ
تَراءى لَهُمْ في الغَيْبِ جَلَّ جَلالُهُ … عِياناً وَلَمْ يُدْرِكْهُ سَمْعٌ وإبْصارُ

(1) يومض: يلمع ويتلألأ.
(2) مجانيق: مفردها منجنيق.
(3) الصبّ: المحب الذي أنهكه الشوق والوجد. تستعر: تشتعل وتضطرم.
(4) الجحود: إنكار الفضل والنعمة.
(5) داعي الحق: هو الحبيب المصطفى ﷺ.

مَعانٍ عَقَلْنَ العَقْلَ والعَقْلُ ذاهِلٌ ... وإقْبالُهُ في بَرْزَخِ البَحْثِ إدْبارُ
إذا هَمَّ وَهْمُ الفِكْرِ إدْراكَ ذاتِهِ ... تَعارَضَ أوْهامٌ عليهِ وأفْكارُ
وكَيْفَ يُحِيطُ الكَيْفُ مِقْدارَ حَدِّهِ ... ولَيْسَ لَهُ في الكَيْفِ حَدٌّ ومِقْدارُ(1)
وأيْنَ مَحَلُّ الأيْنِ منهُ ولَمْ يَكُنْ ... مَعَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ عَيْنٌ وآثارُ(1)
ولا شَيءَ مَعْلومٌ ولا الكَوْنُ كائِنٌ ... ولا الرِّزْقُ مَقْسُومٌ ولا الخَلْقُ إفْطارُ
ولا الشَّمْسُ بِالنُّورِ المُنِيرِ مُضيئَةٌ ... ولا القَمَرُ السَّاري ولا النَّجْمُ سَيَّارُ
فأنْشأَ في سُلْطانِهِ الأرْضَ والسَّما ... لِيَخْلُقَ منها ما يَشاءُ ويَخْتارُ
وزَيَّنَ بِالكُرْسِيِّ والعَرْشُ مُلْكَهُ ... فَمِنْ نُورِهِ حُجْبٌ عليهِ وأسْتارُ
فَسُبْحانَ مَنْ تَعْنُو الوُجوهُ لِوَجْهِهِ ... ويَلْقاهُ رَهْنَ الذُّلِّ مَنْ هو جَبَّارُ
وَمَنْ كُلُّ شيْءٍ خاضِعٌ تَحْتَ قَهْرِهِ ... تُصَرِّفُهُ في الطَّوْعِ والقَهْرِ أقْدارُ
عَظيمٌ يَهُونُ الأعْظَمُونَ لِعِزِّهِ ... شَدِيدُ القُوى كافٍ لِذِي القَهْرِ قَهَّارُ
لَطِيفٌ بِلُطْفِ الصُّنْعِ فَضَّلَنا على ... خَلائِقَ لا تُحْصى وذلِكَ إيثارُ(2)
يَرى حَرَكاتِ النَّمْلِ في ظُلَمِ الدُّجى ... وَلَمْ يَخْفَ إعْلانٌ عليهِ وإسْرارُ(3)
ويُحْصِي عَدِيدَ النَّمْلِ والقَطْرِ والحَصى ... وما اشْتَمَلَتْ نَجْدٌ عليهِ وأغْوارُ
وَوَزْنَ جِبالٍ كَمْ مَثاقِيلُ ذَرَّةٍ ... ذُراها وَكَيْلُ البَحْرِ والبَحْرُ تَيَّارُ(4)
أضاءَتْ قُلُوبُ العارِفِينَ بِنُورِهِ ... فَباحَتْ بِأحْوالِ المُحِبِّينَ أسْرارُ
وَشَقَّ عُلا أسْمائِهِمْ من عُلا اسْمِهِ ... على الأصْلِ فَهُوَ البِرُّ والقَوْمُ أبْرارُ
فَذاكَ الذي يُلْجا إلَيْهِ تَوَكُّلاً ... عَلَيْهِ ويُعْصَى وهو بِالحِلْمِ سَتَّارُ
فأيْدي الرَّجا يَقْرَعْنَ أبْوابَ جُودِهِ ... لِتُمْحى إساءَاتٌ وَتُغْفَرَ أوْزارُ(5)
وظامِئَةُ الآمالِ تَسْعى حَوائِباً ... إلى مَوْرِدِ اسْتِغْفارِهِ وهُو غَفَّارُ(6)

---

(1) إنكار التشبيه والتجسيم لله عزَّ وجلَّ.
(2) الإيثار: ضد الأنانية وحب الذات.
(3) الدجى: الظلام.
(4) الكيل: الوزن.
(5) الوزر: الذنب.
(6) الظمأ: العطش.

تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ الوُجُودِ بِحَمْدِهِ ... وَيَسْجُدُ بِالتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وأَشْجارُ
ويَبْكِي غَمامُ الغَيْثِ طَوْعاً لأَمْرِهِ ... فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ الغَيْثُ أَزْهارُ
وَيَنْشَقُّ وَجْهُ الأَرْضِ عن مِعْشَبِ الثَّرى ... وتَجْرِي ولا يُجْرِي سِوى اللَّه أَنْهارُ
وإن غَرَّدَ القُمْرِيُّ شُكْراً لِرَبِّهِ ... تُجاوِبُهُ بِالسَّجْعِ أَيْكٌ وأَطْيارُ[1]
وإن نَفَحَتْ هُوَجُ النَّسيمِ تَعَطَّرَتْ ... بِهِ خَلَعُ الأَكْوانِ فالكَوْنُ مِعْطارُ
تَبارَكَ رَبُّ المُلْكِ والمَلَكُوتِ مِنْ ... عَجائِبَ يَرْوِيهِنَّ بَدْوٌ وحُضَّارُ[2]
فَيا نَفْسُ لِلإحْسانِ عُودِي فَرُبَّما ... أُقِلْتِ عِثاراً فابْنُ آدَمَ مِعْثارُ[3]
ويا فِرْقَةَ الأَحْبابِ بِالرَّغْمِ لا الرِّضا ... لَعَلَّ بِلُطْفِ اللَّهِ تَجْمَعُنا الدَّارُ
فَأُصْبِحَ في الأَرْضِ البَعِيدَةِ عَهْدُها ... فَلا ثَمَّ أَوْطانٌ ولا ثَمَّ أَقْطارُ[4]
وأُدْرِكَ مِن رَيْحانَةِ القَلْبِ نَظْرَةً ... وراها لِصَوْمِ القَلْبِ عِيدٌ وإِفْطارُ
إِلٰهِي أَذِنِي بَرْدَ عَفْوِكَ واهْدِنِي ... إِلَيْكَ بِما يُرْضِيكَ فالدَّهْرُ غَرَّارُ[5]
وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي بِاجْتِماعِ أَحِبَّتِي ... فَفِي صَرْمِ حَبْلِ الأُنْسِ يَشْمَتُ غَدَّارُ[6]
صُنْ ماءَ وَجْهِي عَن مَقامِ مَذَلَّةٍ ... وَحَصِّنْهُ من جَوْرِ الطُّغاةِ إذا جارُوا
فَإِنِّي بِتَقْصِيرِي وفَقْرِي وفاقَتِي ... على أَمَلٍ من مِصْر جُودِكَ أَمْتارُ[7]
خَلَعْتُ عِذارِي واعْتَذَرْتُكَ سَيِّدِي ... ولَمْ يَبْقَ لِي بَعْدَ اعْتِذَارِي أَعْذارُ[8]
فَقُلْ فُزْتَ يا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَتِي ... وطِبْتَ ولا خِزْيٌ لَدَيْكَ ولا عارُ
وأَكْرِمْ لأَجْلِي مَنْ يَلِينِي وأَعْطِنا ... مِنَ النَّارِ أَمْناً يَوْمَ تَسْتَعِرُ النَّارُ[9]

---

(1) القمري: ذكر الحمام ـ الأيك: الشجر الكثير الملتف.
(2) الحضّار: أهل الحضر.
(3) معثار: كثير التعثر.
(4) ثَمَّ: هناك.
(5) غرار: مخادع.
(6) صرم الحبل: قطعة.
(7) الفاقة: الفقر الشديد.
(8) خلعت عذاري: انصرفت إلى اللهو واللعب دون أن أستح.
(9) يليني: يتبعني ويأتي بعدي.

وَصَلِّ على رُوحِ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ حَمِيدِ المَساعِي فَهْوَ في الخَلْقِ مُخْتارُ
وأَزْواجِهِ والآلِ والصَّحْبِ إِنَّهُمْ لَهُ ولِدِينِ الحَقِّ بالحَقِّ أَنْصارُ

78

قال ابن نباتة في مِدْحةٍ لابن أيوب يُظْهِرُ فيها براعَتَهُ في وصفِ الهلال:

كأنَّ شكلَ هلالِ العيدِ في يدِهِ قوسٌ على مُهَجِ الأعداءِ مَوتورُ(1)
أَوْ مخلَبٌ مدَّهُ نسرُ السَّماءِ لهُمْ فكلُّ طائرِ قلبٍ مِنْهُ مذعورُ
أَوْ منجلٌ لِحصَادِ القومِ منعَطِفٌ أو خنجرٌ مرهفُ الحدَّينِ مطرُورُ(2)
أَوْ نَعْلُ تبرٍ أجادَتْ في هَديَّتِهِ إلى جوادِ بنِ أيوبَ المقَاديرُ(3)
أَوْ راكعُ الظَّهرِ شُكراً في الظَّلام على مَنْ فضلُهُ في السَّما والأرضِ مشْكُورُ
أو حاجبٌ أشمطٌ يبني بِأَنَّ لهُ عمراً لهُ في ظِلالِ الملْكِ تَعمِيرُ(4)
أَوْ زورقٌ جاءَ فيهِ العيدُ منحدِراً حيثُ الدُّجَا كعُبابِ البحرِ مَسْجورُ(5)
أَوْ لا فقل: شَفَةٌ للكأسِ مائِلةٌ تذكِّرُ العيشَ إنَّ العيشَ مَذكُورُ
أَوْ لاَ فنصفُ سوارٍ قامَ يطرَحُهُ كفُّ الدُّجا حينَ عمَّتْهُ التَّباشِيرُ(6)
أَوْ لا فقطعَةُ قيدٍ فُكَّ عَنْ بَشَرٍ أَخْنَى الصِّيامُ عليهِ فهْوَ مأسُورُ(7)
أَوْ لا فَمِنْ رمضانَ النونُ قد سقطَتْ لما مضى وَهوَ مِنْ شَوَّالَ محصورُ
فانعَم بِهِ وبأمْداحٍ مُشَعشَعَةٍ مُديرُهَا في الصَّباحِ الفِطرِ مَبرُورُ(8)

(1) المهج: مفردها مهجة: الروح.
(2) المطرور: المسنون.
(3) التبر: الذهب أو الفضة.
(4) الحاجب الأشمط: الذي صار أبيضاً وعلاه الشيب.
(5) الدجا: الظلام - مسجور: محترق ومشتعل.
(6) عمَّتهُ: وصلَتْهُ.
(7) أخنى عليه: طَال عليه.
(8) مشعشعة: مضيئة.

نفاحَةُ المِسْكِ مِنْ مسْوَدِّ أحرُفِهَا ... مَا كانَ يبلُغُهَا في مِصَرَ كافُوْرُ[1]

79

قالت عائشة الباعونية في دمشق أيضاً:

نَزِّهِ الطَّرْفُ في دِمشْقَ ففيهَا ... كُلُّمَا تَشتَهِي وَمَا تَختَارُ[2]

هِيَ في الأَرْضِ جَنَّةٌ فتَأمَّلْ ... كَيْف تجرِيْ من تَحتِهَا الأَنْهَارُ

قَدْ سَمَا في رُبُوعِهَا كلُّ قَصْرٍ ... أشرقَتْ من وُجوهِهَا الأَقمَارُ

وتُناغِيْكَ بينَهَا صَادِحَاتٌ ... خَرَسَتْ عِنْدَ نُطقِهَا الأَوْتارُ[3]

كلُّهَا روضَةٌ ومَاءٌ زلالٌ ... وقُصُورٌ مشيدَةٌ ودِيَارُ

80

قال صفي الدين الحلّي يصف عذاباته في حبه:

نظَروا الهلالَ فأعظموهُ وأكبَروا، ... حتى سَفَرتَ، فقيلَ هذا أكبرُ[4]

ودَرَوا بأنّهُمُ بذلكَ أخطأوا، ... فأتاكَ كلٌّ تائِباً يَستَغفِرُ

يا جَنَّةً يَصلَى المُحبُّ بها لَظًى، ... ويَموتُ من ظَمأٍ، وفيها الكَوثَرُ[5]

صَيَّرتَني في نارِ حبّكَ خالِداً، ... قلبٌ يَذوبُ، وأدمعٌ تَتَحدّرُ

فكأنَّ قلبي في الحَقيقَةِ مِرجَلٌ، ... نارُ الصّبابَةِ حولَه تَتَسَعّرُ[6]

فإذا تَصاعَدَ بالتّنَفّسِ حَرُّها ... يُهدي إلى عَيني الدّموعَ، فتَقطُرُ[7]

---

(1) النفاحة المسك: رائحته الفائحة.

(2) الطرف: العين.

(3) تناغيك: تلاطفك بالمحادثة والمداعبة.

(4) سفرتَ: ظهرت وأشرقتَ.

(5) يصلىٰ: يحترق ـ لظىٰ النار: حرارتها وتوهجها ـ الكوثر: نهر في الجنة.

(6) المرجل: إناء يُغلى فيه الماء ـ تتسعر: تشتعل وتلتهب.

(7) تقطر: ينسكب دمعها.

81

قال الشهاب محمود مادحاً الملك الظاهر بيبرس بعد أن قضىٰ على التتار قضاءاً مبرماً:

سِرْ حيثُ شئتَ لَكَ المهيمنُ جارُ ... واحكمْ فَطَوْعُ مرادِكَ الأقدارُ[1]
لَمْ يَبْقَ للدِّينِ الذي أظْهَرْتَهُ ... يا رُكْنَهُ، عندَ الأعاديَ ثارُ
لَمّا تراقصتِ الرؤوسُ وحُرِّكَتْ ... من مُطْرِباتِ قسيِّكَ الأوْتارُ[2]
حَمَلَتْكَ أمواجُ الفراتِ ومَنْ رأى ... بحراً سِواكَ تُقِلُّهُ الأنهارُ[3]
وتَقَطَّعَتْ فِرَقاً ولم يَكُ طَوْدَها ... إذ ذاكَ إلاّ جيشُكَ الجَرَّارُ
رَشَّتْ دماؤُهُمُ الصعيدَ فلم يَطِرْ ... منهم على الجيشِ السعيدِ غُبارُ[4]
شَكَرَتْ مساعِيَكَ المعاقِلُ والوَرَى ... والتُّرْبُ والآسادُ والأطيارُ
هذي مَنَعْتَ وهؤلاءِ حَمَيْتَهُمْ ... وسَقَيْتَ تلكَ وعَمَّ ذا الإيسَارُ[5]
فلأمْلأنَّ الدَّهرَ فيكَ مَدائحاً ... تبقَى، بَقِيتَ، وتَذْهَبُ الأعصارُ[6]

82

قال ابن مليك الحموي مادحاً قاضي القضاة شهاب الدين:

ولِلَّهِ سِرٌّ في عُلاكَ فَمَا عسى ... يقولُ حسودٌ أو عَدوٌّ يُجَاهِرُ
وأضْحَتْ دمشقُ الشامِ بالحُسنِ جنةً ... عليها جَمالٌ منْكَ باهٍ وبَاهِرُ

---

(1) المهيمن: الله عزَّ وجلَّ.
(2) القسي: جمع قوس.
(3) تقلّه: تحملُهُ.
(4) الصعيد: الأرض أو التراب.
(5) الإيسار: الخير والبركة، وذلك من جثث الأعداء.
(6) الأعصار: العصور، مفردها عصر.

وحَاكَتْ لها أيدي السَّحابِ مطارِفاً ... موشَّعةً قد دَبَّجَتْها الأزاهرُ[1]
وروضُ الهَنَا بالرِقِّ نقَّرَ طيْرُهُ ... وغنَّى على العِيْدانِ والريحُ زامرُ[2]
وجَامِعُها بِالحُسنِ أصبَحَ مفْرَداً ... وقَدْ أعرَبَتْ بالوصْفِ عنْهُ الضَّمائرُ
وصَارَ عليْهِ من شِعارِكَ رَوْنَقٌ ... وفيهِ لقَدْ أضْحَتْ تُقامُ الشَّعائِرُ[3]
ومنْبَرُهُ لمَّا به قُمتَ خَاطِبَاً ... تَمَنَّتْ بأنْ تَسْعى إليْكَ المنَابرُ
وَرَدْتَ معَ الأيَّامِ لَيْلاً لأهْلِهَا ... ووافتَ وحيُّ الشَّوقِ بالأُنْسِ عَامرُ
فَهَذا هُوَ البَحْرُ الذِي عَنْ نَوالِهِ ... مَوارِدُهُ قَدْ أغرَبَتْ والمصَادرُ[4]
أخو الجُودِ من كَفَّيهِ يُستَمطَرُ النَّدى ... وَمَا هُوَ إلا الغيثُ بالجُودِ مَاطرُ
وأقلامُهُ السُّمر الرِّشَاقُ كأنَّهَا ... رياضٌ وألحَاظُ الظِّبَاءِ المحَابرُ[5]
إذا ما جَرَتْ فَوقَ الطرُوسِ تمدُّها ... يَدَاهُ بِهَا عَنْهُ تَضيْقُ الدَّفاتِرُ[6]

83

قال التلعفري في إحدى خمرياته:

نهاري كلُّهُ قلقٌ وفكرُ ... وليلي كلُّهُ أرقٌ وذكرٌ[7]
تَقسَّمني الهوى كمَداً وحُزناً ... فأمرُهما لحتفي مستمرٌّ[8]
فقمْ نخطبْ عروساً بنتَ كَرْم ... لها الأموالُ والألبابُ مَهْرُ[9]

---

(1) المطارف: مفردها مُطرَف: رادءٌ من خزٍّ مربعٌ ذو أعلام ـ موشع: موشًىٰ ومزين ـ دبجه: نقشه وزينه.
(2) الرّق: آلة موسيقية يُنقَر عليها ـ الزامر: الذي يعزف على المزمار.
(3) الرونق: الحسن.
(4) النوال: العطاء.
(5) الألحاظ: العيون.
(6) الطروس: مفردها طرس وهو الصحيفة أو الكتاب.
(7) الأرق: عدم القدرة على النوم.
(8) الحتف: الهلاك.
(9) العروس وبنت الكرم والعجوز: كلها من أسماء الخمر ـ الألباب: العقول.

عـجـوزٌ قـد أسَـنَّـتْ وهـي بِـكـرٌ ... ومـن عـجـبٍ عـجـوزٌ وهـيَ بِـكـرُ[1]
مـفـرِّحـةٌ يـفـرُّ الـهـمُّ مـنـهـا ... فـلـيـسَ يـضـمُّـهـا والـهـمَّ صـدرُ
إذا بـرزتْ وجـنـحُ الـلـيـلِ داجٍ ... تـبـلَّـج مـن سـنـاهـا فـيـه فـجـرُ[2]
غـنـيـتُ بـكـأسِـهـا وبِـهـا، ولِـمْ لا؟ ... ومـن هَـذيـن لـي وَرِقٌ وتِـبْـرُ[3]
يـطـوفُ بـهـا عـلـيـنـا بَـدرُ تَـمٍّ ... مـنـيـرٌ عـمـرُهُ خَـمـسٌ وعـشـرُ
لـنَـا بـكـؤوسِـهِ وبـمـقـلـتـيـهِ ... كـمـا حَـكَـمَ الـهـوى سَـكَـرٌ وسُـكْـرُ
نـردُّ بـهـا إلـيْـهِ وهـيَ بِـيـضٌ ... ويـأخُـذهـا إلـيـنَـا وَهـيَ حُـمْـرُ

84

قال ابن نباتة يرثي ولداً له مات صغيراً:

الـلَّـهُ جـارُكَ إنَّ دمـعـيَ جـارِي ... يـا مُـوحِـشَ الأوطـانِ والأوطـارِ[4]
لـمـا سـكـنـتَ مـن الـترابِ حـديـقـةً ... فـاضـتْ عـلـيـك الـعـينُ بـالأنـهـارِ
شَـتَّـانَ مـا حـالـي وحـالُـكَ: أنـتَ فـي ... غُـرَف الـجِـنانِ، ومهجتي في النـارِ[5]
حَـفَّ الـنَّـجـا بـك يـا بُـنَيَّ إلى الـسُّرَى ... فـسبَـقْـتَـني، وثَـقُـلْـتُ بـالأَوْزَارِ[6]
لـيـتَ الـرَّدَى إِذْ لـم يَـدَعْـكَ أهـابَ بـي ... حـتـى نـدومَ مـعـاً عـلـى مِـضـمـارِ[7]
لـيـت الـقـضـا الـجـاري تـمـهَّـلَ وِرْدُهُ ... حـتـى حَـسِـبْـتُ عـواقِـبَ الإصـدارِ
مـا كـنـتَ إلاّ مـثـلَ لـمـحـةِ بـارِقٍ ... ولَّـى، وأغْـرَى الـجَـفْـنَ بـالإمـطـارِ

---

(1) أسَنَّتْ: تقدمت في السن.
(2) داج: مظلم السنا: النور.
(3) التبر: الذهب قبل صياغته ـ الورق: النقود.
(4) الأوطار: الغايات والمطالب، مفردها وطر.
(5) المهجة: الروح.
(6) الأوزار: الأعباء والهموم الثقيلة، وتأتي بمعنى الذنوب.
(7) الردى: الموت ـ أهاب لي: دعاني.

أبكيكَ ما بكتِ الحمامُ هديلَها وأحِنُّ ما حنَّتْ إلى الأوكارِ[1]
أبكي بِمُحْمَرِّ الدموعِ وإنما تَبْكِي العيونُ نظيرَها بِنُضَارِ[2]
قالوا صغيرٌ! قلت: إنَّ! وربما كانتْ به الحسراتُ غيرَ صغارِ
وأحقُّ بالأحزانِ ماض لم يسىء بيدٍ ولا لِسْنٍ ولا إضمارِ[3]
نائي اللقا وَحِماهُ أقربُ مطرحاً يا بُعْدَ مجتمعٍ وقُرْبَ مزارِ![4]
لهفي لغصنٍ راقني بِنَباتِهِ لو أمهلَتْه التربُ للإثمار
لهفي لجوهرةٍ خفت، فكأنني حجَّبتُها من أدمعي ببحارِ
لهفي لسارٍ حارَ فيه تجلُّدِي واحَيْرتي بالكوكب السيّارِ![5]
سَكَنَ الثَّرى فكأنه سكن الحَشَا من فَرْط ما شُغِلَتْ به أفكاري
أعْزِزْ عليَّ ضَيف مسامعي لم يحظَ من ذاك اللسانِ بقاري[6]
أعزِزْ عليَّ بأن رحلتَ ولم تَخُضْ أقدامُ فكرِكَ أبْحُرَ الأشعارِ
أعزِزْ عليَّ بأن نَثَرْتُ على الثَّرى وعليكَ من دمعي كَدُرٍّ نِثارِ
أبُنَيَّ إنْ تُكْسَ الترابَ فإنه غاياتُ أجمعنا، وليس بعارِ
ما في زمانك ما يَسُرُّ مؤمّلاً فاذهبْ كما ذَهَبَ الخيالُ الساري[7]
لو أنَّ أخباري لديك توصلتْ لبكيتَ في الجنَّاتِ من أخباري
أحزانُ مُدَّكِر، وسَلْوَةُ مفْرَدٍ ومُقامُ مَضْيَعَةٍ، وذُلُّ جِوارِ
أبُنَيَّ إني قد كَنَزْتُكَ في الثَّرَى فانفعْ أباكَ بساعةِ الإقتارِ[8]
أبُنَيَّ قد وَقَفَتْ عليَّ حوادثٌ فوقفنَ من طَلَلٍ على آثارِ

---

(1) الأوكار: مفردها وكر: وهو البيت أو العش.
(2) النضار: الخالص الصافي من كل شيء أي بالدموع فقط.
(3) إضمار: إخفاء.
(4) نائي: بعيد.
(5) الساري: السائر ليلاً ـ التجلد: الصبر والتحمُّل.
(6) صدر البيت: مختلٌ ناقص.
(7) مؤملاً: متفائلاً.
(8) ساعة الإقتار: يقصد يوم الحساب.

ومَضَى البياضُ من الحياة وطِيبها ... لـكـنَّـهـا أبْـقَـتْـهُ فـوقَ عِـذاري[1]
نَـمْ وادعـاً فـلـقـد تـقـرَّحَ نـاظـرِي ... سَـهَـراً، ونـامـتْ أعـيُـنُ الـسُّـمَّـار
أرْعَـى الـدُّجَـى وكـأنَّ ذَيْـلَ ظـلامِـهِ ... مُـتَـشَـبِّـثٌ بـالـنجـم فـي مِـسْـمـارِ[2]
خَلَعَ الصباحُ على المَجَرَّةِ سَجْفَهُ ... أم قُـسِّـمَـتْ شـمْـسُ الـنـهـارِ دَراري
تَـبّـاً لِـعَـادِيَـةِ الـزمـانِ عـلـى الـفَـتَـى ... فـلـقـد حَـذِرْتُ ومـا أفـاد حِـذاري[3]
وحـويـتُ ديـنـاراً بـوجـهـك فـانـتَـحَـى ... صَـرْفُ الـزمـانِ، فـراح بـالـديـنـارِ

85

وقال ابن عربي يخاطب بعض الأرواح:

لا تَـعْـجَـلَـنَّ فـإنَّ الأمْـرَ حـاصِـلُـهُ ... إلـيْـكَ مَـرجِـعُـهُ فـانْـهَـضْ عَـلـى قَـدَرِ
واسْـلُـك سَـبِـيـلَ إمـام جَـلَّ مَـقْـصَـدُه ... مُـصَـدِّقٍ فِـي الـذي قَـدْ جاءَ مِـنْ خَـبَـرِ
وَخُـذْ بِـهِ خَـلْـفَـهُ فـي الـحـالِ مُـقـتَـدِيـاً ... وارْكَـنْ إلـيـهِ وَلا تَـرْكَـنْ إلـى الـنَّـظَـرِ
واعْـلَـمْ بِـأنَّ ذَوِي الأفْـكـارِ فِـي عَـمَـهٍ ... فَـكُـنْ مِـنَ الـفِـكْـرِ يـا هـذا عَـلـى حَـذَرِ[4]
والـعَـقْـلُ لـيـسَ لَـهُ تـقـبـيـحُ مـا قَـبُـحَـتْ ... صِـفـاتُـهُ وَلَـهُ فِـي الـتَّـحـكِـيـمِ فـي الـعِـبَـرِ
وَمـا لَـه ذَلِـكَ الـتَّـحـكـيـمِ فـي عِـبَـر ... إلاَّ إذا كـانَ فِـي الـتَّـحْـكِـيـمِ ذا بَـصَـرِ
ولَـيْـسَ يَـعْـرِفُ سِـرَّ الـلَّـهِ فـي الـقَـدَرِ ... إلاَّ الـذي عَـلَّـمَ الأعْـيـانَ بـالأثَـرِ
وَمـا رأى أثَـرَ الأسْـمـاءِ فـي أحَـدٍ ... فَـقـالَ فـي مُـثْـبِـتِـيـهـا هُـمْ عَـلـى خَـطَـرِ
لا نـعـتَ أشـرفُ مِـن عِـلْـم يـفـوزُ بِـهِ ... يَـقـولُ مَـن فـاتَـهُ يـا خَـيْـبَـةَ الـعُـمُـرِ
يَـمْـشِـي بِـهِ آمِـنـاً فـالـعِـلْـمُ مَـحْـفَـظَـةٌ ... لِـمَـنْ يُـحَـصِّـلـه مِـنْ وَقْـعَـةِ الـغَـرَرِ[5]

---

(1) العِذار: جانب اللحية.
(2) الدجىٰ: الظلام.
(3) تباً: سحقاً، هلاكاً.
(4) عمه: ضلال.
(5) الغرر: تقول: غرَّ الرجل إذا كان ذا غفلة، وقلّت فطنته.

86

قالت عائشة الباعونية مستهلة مدحتها للنبيّ الأعظم ﷺ:

حَنيني لِسَفْحِ الصَّالحيَّةِ والجسْرِ ... أهاجَ الهَوى بينَ الجوانِحِ والصَّدْرِ
ألا لَيتَ شِعري والأمَاني كثيرةٌ ... أأبلُغُ ما أرجُوهُ قبلَ انقضَا عُمري[1]
وهَلْ أرِدَنْ صَافي يَزيدَ وأجتلِيْ ... محاسِنَ ذاكَ السَّفحِ والمرجِ والقصرِ[2]
بَلى إنَّ ربِّي قادِرٌ وعَطاؤُهُ ... بغيرِ حِسَابٍ والهِباتُ بِلا حَصْرِ
وَلي أمَلٌ فيهِ جميلٌ وجودُهُ ... كفيلٌ بما أرجُوهُ مِنْ مِنَنِ الجبْرِ
وحَسْبي بَشيراً بِالأمَاني وبِالمُنَى ... مُعَامَلتي باللطْفِ في العُسرِ واليُسرِ
ولا بُدَّ من جودٍ يوافي رِفاؤهُ ... بتبليغِ آمَالي وفكِّي مِنَ الأسرِ[3]
ويبدُو صباحُ الوصلِ أبيضَ ساطعاً ... سطوعَ ضياءِ البشرِ من كاتبِ السرِّ
سليلُ أجَا، كهفُ اللَّجَا، وافرُ الحَجا ... مُنيلُ الرَّجَا، رُكْنُ السِّيادَةِ والفَخرِ[4]
إمامٌ حَوى من كلِّ عِلمٍ لُبَابَهُ ... فحجَّ لعالي بابِهِ كلُّ ذي قَدْرِ[5]
وأصبَحَ في بحرِ الحقائقِ غائِصاً ... ومستخرِجاً ما شَاءَ من ذَلِكَ البَحْرِ
تلوذُ بِهِ الأعيانُ فيما يهمُّهمْ ... فيلفُونَ عطفَ البرِّ أو فائضَ البرِّ[6]
كريمٌ تُجاري السُّحبَ راحتُهُ ولا ... يريدُ بما يجزي سِوى الفوزِ بالأجرِ
يمنُّ ولا مِنٌّ يشوبُ عطاءَهُ ... ويمنحُ من لفظٍ سَبى العقلَ بالسحرِ
عرائسُ فكرٍ أرخصَ الدُّرَّ لفْظُها ... وأنشَتْ معانيهَا لَنَا دهشَةَ الفِكرِ
مفيدٌ بحلِّ المشكلاتِ بموجزٍ ... حَلا وعَلا عن وهْدَةِ العيِّ والحصرِ[7]

---

(1) انقضا: انقضاء.

(2) يزيد: اسم نهر.

(3) الرِّفاء: الالتئام والاتفاق.

(4) اللجا: تريد اللجوء ـ الحجا: الستر، أو العقل.

(5) لباب الشيء: قلبه وجوهره.

(6) يلفون: يجدون.

(7) الوهدة: الأرض المنخفضة ـ العي: العجز والضعف.

ملـيّ بتـدبيـرِ الـمـمـالِكِ مرتـضـى الـ ـملـوك ملاذُ النَّاسِ في سائرِ المصرِ
هو الشمسُ في العليا هُو النجمُ في الهُدى هو الغَوثُ في الجَدوى هو الصُّبحُ في البشرِ

87

قال بهاء الدين زهير مادحاً الملك الكامل ناصر الدين أبا الفتح بمناسبة القضاء على الإفرنج وطردهم من ثغر دمياط:

بكَ اهتزَّ عِطْفُ الدِّينِ في حُللِ النَّصْرِ ورُدَّتْ على أعقابِها مِلَّة الكُفْرِ[1]
ألا فـلـيـقُـلْ مـا شـاءَ مَـنْ هـو قـائـلٌ ودونَـكَ هـذا مَوْضِعُ النَّظْمِ والنثر
فيـا مَلِكـاً سـامَى الـمـلائكَ رِفْـعَـةً ففي المـلأ الأعلى له أَطْيَبُ الذِّكرِ
لِيَـهْـنِـئْـكَ مـا أعـطـاكَ ربُّـك إنـهـا مواقفُ هنَّ الغُرُّ في موقِفِ الحَشْرِ[2]
وما فَرِحَتْ مِصْرٌ بذا الفَتْحِ وَحْدَها لقد فرحتْ بغدادُ أكثرَ من مصرِ
فـلـو لـم يَـقُـمْ بـالله حَـقَّ قـيـامِـهِ لما سَلِمَتْ دارُ السلام من الذُّعرِ[3]
وأُقْـسِـمُ لـولا هـمـةٌ كـامـلـيَّـةٌ لخافَتْ رجالٌ بالمَقامِ وبالحِجْرِ[4]
فَمَنْ مُبْلِغٌ هـذا الـهـنـاءَ لـمـكّـةٍ وَيَثْرِبَ تُنهيهِ إلى صاحِبِ القَبْرِ
فـقـل لـرسـول الله إنْ سـمـيَّـهُ حَمى بَيْضَةَ الإسلامِ من نُوَبِ الدهرِ[5]
هو الكـامـلُ المولَى الذي إنْ ذكرتَهُ فيـا طَرَبَ الـدنيـا ويـا فَرَحَ العَصْرِ
به ارتجعتْ دمياطُ قهراً من العِدَى وطهَّرهـا بـالسيفِ والمِلَّةِ الطُّهْرِ
وَرَدَّ علـى الـمـحرابِ منـهـا صَلاتَـهُ وكم باتَ مشتاقاً إلى الشَّفْعِ والوِتْرِ
وأُقْسِمُ إن ذاقتْ بنو الأَصْفَرِ الكَرَى فلا حَلِمَتْ إلاّ بأعلامِهِ الصُّفْرِ[6]

---

(1) العطف: الجانب ـ الملة: الجماعة.
(2) الغرُّ: الواضحة المضيئة.
(3) دار السلام: بغداد.
(4) المقام والحجر: مكة وما حولها.
(5) بيضة الإسلام: قتبته.
(6) بنو الأصفر: يقصد الفرنجة.

عجِبْتُ لبحرٍ جاء فيه سَفينُهُمْ ... أَلَسْنَا نراهُ عندنا مَلِكَ الغَمْرِ
ثلاثَةَ أعوامٍ أقَمتَ وأشْهُراً ... تجاهِدُ فيهِمْ لا بزَيدٍ ولا عَمْرو
صبرتَ إلى أنْ أنزَلَ اللَّهُ نَصْرَه ... لذلكَ قد أحمَدْتَ عاقبةَ الصبرِ
وليلةِ غَزْوٍ للعَدُوِّ كأنها ... بكَثْرَةِ مَنْ أرْدَيْتَهُ لَيْلَةُ النَّحْرِ
فيا ليلةً شرَّفَ اللَّهُ قَدْرَها ... ولا غَرْوَ إنْ سمَّيتُها لَيْلَةَ القَدْرِ
أساطيلُ ليستْ في أساطير مَنْ مَضَى ... بكلِّ غرابٍ راحَ أفْتَكَ من صَقْرِ
وجيشٍ كمثْلِ الليل هَوْلاً وهَيْبَةً ... وإنْ زانَهُ ما فيه مِنْ أنْجُمٍ زُهْرِ[1]
وباتَتْ جنودُ اللَّه فوق ضوامِرٍ ... بأوضاحها تُغْني السُّراة عن الفجْر[2]
فما زِلْتَ حتى أيَّدَ اللَّهُ حِزْبَهُ ... وأشْرَقَ وجهُ الأرض جذلانَ بالنصرِ[3]
فروَّيت منهم ظامئَ البيض والقَنَا ... وأشبعتَ منهم طاويَ الذِّئْبِ والنَّسْرِ[4]
وجاء ملوكُ الرُّوم نحوَكَ خُضَّعاً ... تُجَرِّرُ أذيالَ المَهانَةِ والصُّغْرِ
أتَو مَلِكاً فَوْقَ السِّماكِ مَحَلُّهُ ... فَمِنْ جُودِهِ ذاك السَّحابُ الذي يَسْرِي[5]
فَمَنَّ عليهم بالأمانِ تَكَرُّماً ... على الرغم من بيضِ الصَوارمِ والسُّمرِ[6]
كَفَى اللَّهُ دمياطَ المكارِهَ إنها ... لَمِنْ قِبلَةِ الإسلام في مَوْضع النَّحْرِ
وما طابَ ماءُ النِّيلِ إلا لأنه ... يَحُلُّ محلَّ الرِّيقِ من ذلك الثَّغْرِ
فلِلَّهِ يَوْمُ الفَتْح يومُ دخولها ... وقد طارت الأعلامُ منها على وَكْرِ
لقد فاقَ أيامَ الزمان بأَسْرِها ... وأنْسَى حديثاً عن حُنَيْنٍ وعن بَدْرِ
ويا سَعْدَ قومٍ أدرَكُوا فيه حَظَّهم ... لقد جَمَعُوا بَيْنَ الغَنِيمةِ والأَجْرِ
وإني لمُرتاحٌ إلى كلِّ قادِمٍ ... إذا كان من ذاكَ الفتوحِ على ذِكْرِ

---

(1) زهر: مضيئة.
(2) الضوامر: الخيول ـ السُّراة: السائرون في الليل.
(3) جذلان: فرحان، مسرور.
(4) البيض: السيوف ـ القنا: الرماح.
(5) السماك: نجم في السماء.
(6) الصوارم: السيوف ـ السمر: الرماح.

فَيُطْرِبُني ذاك الحديث وطِيبُهُ ... وَيَفْعَلُ بي ما ليسَ في قُدْرةِ الخمرِ
وأُصْغِي إليه مُسْتَعيداً حديثَه ... كأنِّيَ ذو وَقْرٍ ولستُ بذي وَقْرِ[1]
يقومَ مقامَ البارِدِ العَذْبِ في الظَّمَا ... ويُغْنِي عن الأزوادِ في البَلَدِ القَفْرِ[2]
لَكَ اللَّه مَنْ أَثْنَى عليكَ فإنما ... من القَتْلِ قد أنجيتَهُ أو مِنَ الأَسْرِ
يُقَصِّرُ عنكَ المدحُ من كل مادحٍ ... ولو جاءَ بالشمسِ المنيرةِ والبَدْرِ

88

قال ابن مطروح يتغزل وفيها تبدو الصنعة:

وبيضاءَ كالسمراءِ ليناً وقامةً ... ولم أرَ غيري شَبَّهَ البيضَ بالسُّمْرِ
ثَنَى حُسْنُها طَرْفي عن البَدْرِ إذ بَدا ... وقبَّلْتُ فاهاً فاغْتَبَقْتُ من الخمرِ[3]
ولم ألتفتْ للظَّبْيِ لَمّا تَلَفَّتَتْ ... ومِلْتُ وقد مالَتْ عن الغُصْنِ النَّضْرِ[4]
على أنَّ في الأغصان منها مشابهاً ... إذا ما تَثَنَّتْ في غلائِلِها الخُضْرِ
وقد نَسَخَتْ لي آيةَ السخط بالرِّضا ... ولم أرَ مِثْلَ اليُسْرِ يأتي على العُسْرِ[5]
فَبِتُّ وَيَهْنِيني لذيذُ عِناقِها ... وَقَدْ قَيَّدَتْني في قيودٍ من الشَّعْرِ
وتكسِرُ من أجفانها عند ضَمِّها ... فتُجْبِرُني في ذلك الضَّم بالكَسْرِ
فما شئت من ضَمٍّ ولَثْمٍ وغير ذا ... وقالوا دَرَى الواشي فقلتُ لهمْ يَدْرِي

89

قال ابن نباتة مادحاً علاء الدين بن الأثير وشاكياً سوءَ حاله:

أطلتُ مَديحَهُ وأَجَدتُ فِيهِ ... ومَا حَابيتُهُ وَزْنَ النَّقيرِ[6]

(1) الوقر: الصمم، عدم القدرة على السمع.
(2) الأزواد: مفرده الزاد، وهو طعام يُتَّخذ للسَّفَر.
(3) اغتبقت: شربت الخمر وقت العِشاء.
(4) النضر: الطري الغض.
(5) السخط: الغضب والنقمة.
(6) جابيته: مِلْتُ إليه ـ النقير: الشيء الصغير الذي لا وزن له، وهو غلاف نواة التمر.

وقُمتُ لِجَاهِهِ أشكُو الليَّالي كما تَشْكُو الرَّعيَّةُ للأميرِ
وأعجَبُ كَيفَ أظمأُ مِنْ غَمَامٍ وقَدْ شَمِلَ الجلِيْلَ مَعَ الحقِيرِ
وكَيفَ ظِلالُهُ تَسَعُ البَرايَا وشَخْصي قَائِمٌ وَسْطَ الهَجِيْرِ[1]
وَمَا في السُّحبِ مِثْلَ نَدَى يَدَيْهِ وَمَا في الأرْضِ مِثلِيْ مِنْ شَكُورِ
رَعَاكَ اللَّهُ دَارِكْ شَكْوَ عَبْدٍ لِتمسِكَ مِنْكَ بالعَدْلِ السَّفِيْرِ
أتيتُكَ مُحرِمَاً مِنْ كُلِّ صُنْعٍ فَدُمْ يَا كَعْبَةً لِلْمُسْتَجِيرِ[2]

90

قالت عائشة الباعونية في مدح النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام:

هَذا الحَبيبُ وَصفوةُ الجبَّارِ أزلاً ولا أثَرٌ مِنَ الآثَارِ[3]
هَذَا الذي قَرنَ المهيمنُ اسمَهُ مع اسمِهِ وَجلاهُ للإظْهَارِ
هَذا الذي نزلَ القرآنُ بمدحِهِ وَعليهِ أثنى في القديم البَاري[4]
هذا الذي ظهرَ الهُدى بِظهورِهِ وَهَدى بِسيرتِهِ فُؤادَ السَّارِي[5]
هَذَا الذي خلَق المهيمنُ نورَهُ مِنْ نُورِهِ وَحَبَاهُ بِالأنوارِ
هَذا الذي حَازَ الكَمَالَ وغايَةً خَضَعتْ لديْها سَائِرُ الأخبَارِ[6]
هَذا الذي أُسْرِي بهِ لِنهايَةٍ ما بعدها وَطَرٌ مِنَ الأوطارِ[7]
هذا الذي خَدمَتهُ أعيانُ السَّمَا وَغَدُوا لهُ مِنْ جُملَةِ الأنْصَارِ[8]

---

(1) البرايا: المخلوقات، يقصد الناس ـ الهجير: منتصف النهار واشتداد الحرارة.
(2) المستجير: نقول استجار بفلان أي: لجأ إليه.
(3) الصفوة: أي المصطفى المختار ـ الجبار: الله عزّ وجلّ.
(4) الباري: الخالق جل جلاله.
(5) الساري: الذاهب ليلاً.
(6) حاز: مَلكَ.
(7) أسري به: قصدت ليلة الإسراء ـ الوطر: الغاية والمطلب.
(8) أعيان السماء: سادتهم وأشرافهم.

هَـذا إِمـامُ الـمُـرْسَـلـيْـنَ وذُخـرُهُـمْ ... هَـذا مَـلاذُ أَعِـزَّةٍ وكِـبَـارِ[1]
هَـذا الـذي لَـوْلاَهُ مَـا خُـلِـقَـتْ سَـمَـا ... كَـلاً ولا دُحـيـتْ ذَواتُ قَـرارِ
هَـذا فَـريْـدُ أَلـقـابِ هَـذا أَحْـمَـدُ الْـ ... مُـخـتـارُ هَـذا جـامـعُ الأَسْـرارِ
هَـذا خِـتـامُ الأَنـبـيـاءِ هَـذَا أجـ ... لُّ الأَصـفِـيـاءِ هَـذا مـجيرُ الـجـارِ[2]
هَـذَا مـلاذُ الأولـيـاءِ هَـذا غِـيَـا ... ثُ الأَتـقـيـا هَـذا جَـمـالُ الـدَّارِ
هـذا الـسِّراجُ لـمـهـتـدٍ هَـذا الـبَـشِيْـ ... ـرُ لـمـقـتَـدٍ فـي عُـزلـةٍ مُـتَـوارِي[3]
هَـذا الـحـيـاةُ لـعـاشِـقٍ هَـذا الـكَـفِـ ... ـيـلُ لـصَـادِقٍ بـالـجـبـرِ والأَبْـرَارِ
فَـتـمـسَّـكُـوا بِـوَلائِـهِ واسـتـبـشِـرُوْا ... بـمـغـانِـمِ الـرُّضـوانِ مـن غَـفَّـارِ
وَتـوصَّـلُـوا لِـصَـلاتِـهِ بِـصَـلاتِـكُـمْ ... أَبَـدا عـلـى هَـذا الـنَّـبـي الـمـخـتَـارِ
صَـلَّـى عـلـيـهِ الـلَّـهُ ربـي دائـمـاً ... والآلِ والأَصْـحَـابِ والأَصْـهَـارِ
وأنـالَـنـي بِـوفـاهُ غـايـاتِ الـمـنَـى ... كَـرمـاً وهـيَّـأ فـي جِـمـاهُ جِـواري
مَـا فـتَّـحَ الـوردُ الـجـنـيُّ وقـابَـلَـتْ ... وَجـنـاتُـه الأحـداقَ مـن نـوَّارِ[4]
وتـمـايـلَ الـغـصـنُ الـرطـيـبُ مُـتـوَّجَـاً ... بـلآلـىءِ حَـسُـنَـتْ مـن الأَزْهَـارِ

91

قال ابن عربي يحكي تجربته في العشق الإلٰهي:

تَـوَهَّـمْـتُ مَـنْ أَهْـواهُ خـارِجَ صُـورَتِـي ... فقـدَّرتُـهُ فِـي الـقُـربِ بالـبـاعِ والشِّبْرِ[5]
فَـيُـحْـيِـي فُـؤادِي بـالـوِصـالِ وبـالـلِـقـا ... ويَـقْـتُـلُـنـي بـالـصَّـدِّ مِـنْـهُ وبـالـهَـجْـرِ[6]

---

(1) ملاذ: ملجأ.
(2) المجير: الحامي.
(3) متواري: مختفي ومختبىء.
(4) النُّوَّار: الزهر.
(5) الباع: مسافة ما بين الكفين إذا انبسط الذراعان يميناً وشمالاً.
(6) الصدّ: المنع.

يُجَرِّد عَنْ غُصْنٍ قَويمِ وَعَن نَقا وَيَبْسِمُ عَنْ درٍّ ويُسْفِرُ عَنْ بَدْرِ[1]
ويُجْرِي لَنا نَهراً مِن الضَّرْعِ طَيِّباً ومِن عَسَلٍ أصْفى وماءٍ ومِنْ خَمْرِ
يَمُدُّ بِهِ كَوْنِي لأنِّي مِن أرْبَعٍ خُلِقْتُ بِها فِي النشأتَيْنِ بِلا أمْرِ
مَعَ الأمْرِ التَّكْوِينِ فِي كُلِّ حالَةٍ وَلاَ أدْرِ مَعْناهُ وَلا أدْرِ أدري
أتَيْتُ إلَيهِ مِنْ طَرِيقٍ ذَلولَةٍ مسهَّلةٍ لَكِنْ عَلى مَرْكَبٍ وَعْرِ[2]
بِنَقْرٍ بأوْتارٍ بأيْدِي كَواعِبٍ يَمِلْنَ عَلَيْنا مِنْ هَوًى لا مِنَ السُّكْرِ[3]
فَلَمَّا تَأمَّلْنا وَجَدْنا وُجودَنا بأسْمائِهِ الحُسْنى فَقُمْتُ بِها أجْرِي
إلى عالَمِ الأكْوانِ أُخبِرُهُمْ بِها كَما أُخْبِر الرَّحْمٰنُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ

92

قال ابن نباتة متغزلاً:

رقَّتْ لنا حِينَ همَّ السَّفْرُ بالسَّفَرِ وأقبلتْ في الدُّجى تسعَى على حَذَرِ[4]
راضَ الهوى قَلْبَها القاسي فجادَ لنا وكانَ أبخَلَ من تَمُّوزَ بالمطَرِ[5]
رأتْ غداةَ النَّوَى نارَ الكليم وقد شبَّتْ فلم تُبقِ من قلبي ولم تَذَرِ[6]
رشيقةٌ لو تراها عندما سَفَرَتْ والبدرُ ساوٍ إليها سَهْوَ مُعْتذرِ[7]
رأيتَ بَدْرَيْن من وجهٍ ومن قمرٍ في ظلِّ صُبْحَيْن من لَيْلٍ ومن شَعَرِ
رشفتُ درَّ الحُمَيَّا من مُقَبَّلِها إذ نَبَّهَتْني إليها نسمةُ السَّحَرِ[8]

---

(1) النقا: كثيب الرمل ـ الدرّ: اللؤلؤ أو الجواهر.
(2) ذلولة: سهلة ضد وعرة.
(3) الكواعب: مفردها كاعب الفتاة أول بلوغها.
(4) السَّفْر: جماعة المسافرين ـ الدجىٰ: الظلام.
(5) راض الشيء: ليَّنه وهذَّبه.
(6) النوىٰ: الفراق والبعد ـ الكليم: المجروح ـ لم تذر: لم تدع.
(7) أسفرت الفتاة عن وجهها: أبدته وأظهرته.
(8) مقبلها: ثغرها.

رَنَتْ نجومُ الدُّجى نحوي فما نظرتْ مَنْ يرشفُ الراحَ قبْلي من فم القمر
راق العتابُ وأبدتْ لي سرائرها في ليلةِ الوصلِ بل في غُرَّة القمر[1]

93

قال ابن مليك الحموي واصفاً جمال دمشق ومادحاً قاضي قضاتها:

قالُوا: هُوَ الغيثُ والتَّفْريْقُ بينَهُما أضْوا وأَشهرُ من نارٍ ومنْ نُورِ
الغيثُ إنْ شحَّ أو إنْ سَحَّ وابلُهُ نزرٌ وهذا عطاهُ غيرُ منزورِ[2]
واحجُجْ إلى حَرمِ البر معتمر نَفُزْ بِحجٍّ حميدِ السَّعيِ مبرورِ
سادَ الوَرَى ولقَدْ شَادَ العُلا ربقاً أفدِيْهِ من حَرمٍ بالمجدِ معمورِ
منْهُ تهلَّل وجْهُ الدَّهرِ مِنْ فَرَحٍ والنَّاسُ ما بينَ تهليلٍ وتكبيرِ
والأرضُ قد كُسيَتْ من سُنْدُسٍ حُللاً مفوّقَاتٍ بِأنْواعِ الأزاهيرِ[3]
وبِالسُّرورِ رُبَاهَا قَدْ زَهَتْ وَرَبَتْ وَالبِشْرُ أعلنَ فيهِ بِالتباشِيرِ[4]
وجُلَّقٌ قَدْ حَلَتْ أنوارُهَا وَصَفَتْ وَزَالَ مَا كانَ مِن همٍّ وتكديرِ[5]
يَا ناظِرَ الجيشِ يا قَاضي القُضاةِ ومَنْ آيَاتُهُ الغرُّ تُتلى في الأساطيرِ[6]
خُذْها إِليكَ قصيْدَاً لا نَظيرَ لَهَا حَسْبَ اتفَاقي وإِيْرادِي وتَخييري

* * *

(1) غرَّة القمر: وجهه ونوره.
(2) شحَّ: قلَّ ـ سحَّ: انسكب ـ الوابل: المطر الغزير ـ نزر: قليل.
(3) السندس: ما رَقَّ من الديباج ـ حللاً: جمع حلَّة وهي الكساء.
(4) رباها: مفردها ربوة كل ما ارتفع من الأرض دون الجبل.
(5) جلَّق: يقصد دمشق.
(6) الغرّ: البيضاء المضيئة.

94

قال عفيف الدين التلمساني(*): واصفاً مجلساً من مجالس الخمرة الإلٰهية:

هَذي القماريْ تَغنَّتْ فاجلُ يا قَمري ... شمساً تكادُ تَأتي على بَصرِي[1]
يَنالُ مِنْها جنانَ الخلدِ شَارِبُها ... ونَارُ لألائِهَا ترميْهِ بالشَّرَرِ[2]
فإنْ خشيتَ عيونَ الحاسِدينَ بِهَا ... ففي أشِعَّتِهَا إنْ شئْتَ فاستَتِرِ
لا يَسْكُنُ الهمُّ في ساحاتِ ساحَتِها ... وليسَ ترقى إليهَا هِمَّة الغيرِ
زَادَتْ على قَدَمِ الأيَّامِ مُدَّتُهَا ... فالدَّهْرُ أقصرُ منها في مدى العُمرِ
وأنتَ مع حدثَانِ الوجدِ تَطلُبُها ... بِكراً تزورُكَ في الآصَالِ وَالبكرِ[3]
لَوْ لَمْ يكُنْ عَالَمُ الأرواحِ عَالمهَا ... لم يحيَ مِن بعدِ موتٍ عَالمُ الصُّوَرِ
فَمَنْ يَبغْ رسمَهُ في حانِ سكرَتِهَا ... بِالعينِ مِنْهَا يَفُزْ بالعينِ والأثرِ[4]
فَعاط قهوَتِهَا أبناءَ سكرَتِهَا ... ما دنَّسوا طيْبَ صفوِ العيشِ بالكدَرِ[5]

(*) هو عفيف الدين سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي. ولد في تلمسان وفيها نشأ وتلقى الطريق الصوفية. طاف عفيف الدين في الأرض ثم جاء إلى القاهرة، حيث ولد ابنه الشاب الظريف سنة 660هـ، ثم إنه زار بلاد الروم في آسية الصغرى، وتلقى الطريقة المولوية على صدر الدين أبي المعالي محمد بن إسحاق القونوي، ثم انتقل إلى دمشق، فَعُيِّن فيها مباشراً لاستيفاء أموال الخزينة.

كان عفيف الدين التلمساني ناثراً وشاعراً ومصنفاً. أما شعره فسهلٌ ينوء أحياناً بالضعف الذي ينوء به الشعر الصوفي عموماً. وأغراض شعره هي الأغراض الصوفية. ثم إن له عدداً من المقامات وعدداً من التصانيف منها: «شرح المواقف لمحمد بن عبد الجبار النَّفَّري»، «شرح القصيدة العينية لابن سينا»، «شرح منازل السائرين لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي»، «رسالة في شرح الأسماء الحسنىٰ»، «رسالة في علم العروض».

(1) القماري: الحمائم.

(2) لألائها: ضوئها.

(3) الوجد: الحب ـ الآصال: مفرده أصيل وهو ساعة الغروب ـ البكر: مفرده بُكرة: وهي أول النهار إلى طلوع الشمس.

(4) الحان: الخمَّارة.

(5) القهوة: الخمر ـ كدرَ العيش: تعكَّر ولم يصفُ.

مِنْ كلِّ أبلجَ لو لم تدنُ همَّتُهُ تَواضعاً كانَ إحدَى الأنجمِ الزُّهُرِ[1]

أقامَ بينَ نداماهُ وهمَّتُهُ فوقَ الكواكبِ لم تَبْرَحْ على سفرِ[2]

95

قال ابن مليك الحموي في إحدى قصائده مادحاً ولي الدين، ومعزّياً بوفاة أبيه، ومهنئاً بالوظيفة الجديدة:

بكَ الدَّهرُ قد أبدى التَّهلُّلَ والبِشرا ومما جَنى قد جَاء يُبدي لنا العُذرا[3]

وإنْ كانَ ذاكَ البحرُ قد غاضَ في الثَّرى فيُمناكَ قد أبَدَتْ لنَا أبْحُراً عَشراً

ومَا مَاتَ من في الدَّهرِ أنتَ وَلِيُّهُ ولم يُطْوَ يوماً من نشرتَ لهُ ذِكراً[4]

فصبراً وليَّ الدِّينِ صبراً لِمَا مضى وشكراً لما أُوتيتَ من بعدِهَا شُكرا

وبُشْراكَ قد وُلِّيت أشرفَ منْصبٍ وبالصَّبرِ قد نلتَ المثوبةَ والأجْرا[5]

وزادَتْ دمشقُ الشَّامُ حُسناً وأصبحتْ لهَا الشَّرفُ الأعلى وفاقَتْ بِكُم مِصرا

وجامِعُهَا زُفَّتْ إليكَ عروسُهُ ومنبَرهُ أبدى المَسَرَّةَ والبِشرا

وقد أصبحتْ تِلكَ المساكنُ جنةً فمنْ حلَّ فيها لا يجوعُ ولا يعرى

إمامُ الهدى قاضي القضاةِ ومنْ سَمَتْ ببهجتِهِ الدُّنيا وأظهرتِ البُشرى

96

قال بهاء الدين زهير يصف ألم العشق وحرقته وما يلاقيه العاشق من لوعة ومرارة:

غَيري على السّلوانِ قادِرْ وسِوايَ في العُشّاقِ غادِرْ[6]

---

(1) الزُّهرِ: المضيئة المشرقة.

(2) الندامىٰ: جمع نديم وهو الرفيق في مجلس الخمر.

(3) التهلل: تقول جاء متهللاً أي مسروراً يكاد يطير من الفرح.

(4) يطوىٰ الذكر: يُمحىٰ وينسىٰ.

(5) المثوبة: الثواب والأجر.

(6) السلوان: تقول سلا عن الشيء إذ انشغل عنه ونسيه.

لــي فــي الــغــرامِ سَــريــرَةٌ والــلّــهُ أعْــلَــمُ بــالــسّــرائِــرْ[1]
وَمُــشَــبــهٌ بــالــغُــصْــنِ قَــلْــبــي لا يَــزالُ عَــلَــيْــهِ طــائِــرْ
حُــلُــو الــحَــديــثِ وإنّــهَــا لَــحَــلاوَةٌ شَــقّــتْ مَــرَائِــرْ
أشــكــو وَأشــكُــرُ فِــعــلَــهُ فــاعــجَــبْ لــشــاكٍ مــنــهُ شــاكِــرْ
لا تُــنــكِــرُوا خَــفَــقَــانَ قَــلْــبي والــحَــبــيــبُ لَــدَيّ حــاضِــرْ
مــا الــقَــلْــبُ إلاّ دارُهُ ضُــرِبَــتْ لــهُ فــيــهــا الــبَــشــائِــرْ
يــا تــارِكــي فــي حُــبّــهِ مَــثَــلاً مِــنَ الأمــثــالِ ســائِــرْ
أبَــداً حَــديــثــي لَــيــسَ بــالــمَــنْــسُــوخِ إلاّ فــي الــدّفَــاتِــرْ
يــا لَــيــلُ مــا لَــكَ آخــرٌ يُــرْجَــى وَلا لــلــشّــوْقِ آخــرْ
يــا لَــيْــلُ طُــلْ يــا شــوقُ دُمْ إنّــي عــلــى الــحــالَــيــنِ صــابِــرِ
لــي فــيــكَ أجــرُ مُــجــاهِــدٍ إنْ صَــحّ أنّ الــلّــيــلَ كــافِــرْ[2]
طَــرْفــي وَطَــرْفُ الــنّــجــمِ فــيــكَ كِــلاهُــمــا ســاهٍ وســاهِــرْ[3]
يَــهــنــيــكَ بَــدرُكَ حــاضِــرٌ يــا لَــيــتَ بَــدري كــان حــاضِــرْ
حــتــى يَــبِــيــنَ لــنــاظِــري مَــنْ مــنــهــمــا زاهٍ وزاهِــرْ[4]
بَــدري أرَقُّ مَــحــاسِــنــاً والــفَــرْقُ مــثــلُ الــصّــبــحِ ظــاهــرْ

97

قال بهاء الدين زهير:

ولَــيــلَــةٍ كــأنّــهَــا يَــوْمٌ أغَــرّ ظَــلامُــهــا أشــرَقُ مــن ضَــوْءِ الــقــمــرْ[5]

(1) السريرة: موضع الأسرار.
(2) كافر: ساتر.
(3) الطرف: العين.
(4) زاهر: مضيء ومشرق.
(5) أغرّ: مضيء وظاهر.

كأنّها في مُقلةِ الدّهرِ حَوَرْ ما قصَّرَت لو سلِمتْ من القِصَرْ[1]
حينَ أتَتْ مَرّتْ كلَمحٍ بالبصرْ لَيسَ لَها بَينَ النّهارَينِ أثَرْ
تَطابَقَ العِشاءُ منها والسّحَرْ ألذُّ من طيبِ الكرَى فيها السهرْ[2]
قَطَعْتُها فلا تَسَلْ عنِ الخبرْ بصاحبٍ حُلوِ الحَديثِ وَالسّمَرْ[3]
تَحضُرُ كلُّ راحةٍ إذا حَضَرْ في الجِدّ وَالهزْلِ جميعاً قد مَهَرْ
نِعمَ الرّفيقُ في المُقامِ والسّفَرْ وشادِنٍ فيهِ من التّيهِ خَفَرْ[4]
حُلوِ الثّنايا وَالتّثنّي إنْ خَطَرْ مِن أطرَبِ النّاسِ غِناءً وَوَتَرْ
وَفيهِ أشياءٌ وَأشياءٌ أُخَرْ وَقَهْوَةٍ تَسُدّ أبوابَ الفِكَرْ[5]
أشرَفَ شيءٍ عُنصراً وَمُعتَصَرْ تضْعُفُ عن إدراكِها قوَى البشرْ
رَقّتْ فَما يُثْبِتُها حسنُ النظرْ فلم تزَلْ حتى إذا الفجرُ انفَجَرْ
وغرِقَتْ منهُ النُّجومُ في نَهَرْ وَأيقَظَ النّائِمَ أنفاسُ السّحَرْ
وَخمَّش النّسيمُ أغصانَ الشّجرْ وفتّتتْ يدُ الصَّبا مِسكَ الزَّهَرْ
قُمنا وَهلْ طابَ نَعيمٌ واستَمَرّ قد سَتَرَ اللّيلُ عَلَيْنا وَغَفَرْ
وما لَذيذُ العَيشِ إلاّ ما استَتَرْ للّيلِ عندي مِنَنٌ إذا اعتكَرْ[6]
يُلحِفُني جَناحُه عند الحَذَرْ كَمْ حاجةٍ قضَيتُ فيهِ وَوَطَرْ[7]
أوْدَعتُهُ سِرّ الهَوَى فَما ظهَرْ رَقّ عليّ قَلبُهُ لمّا كَفَرْ[8]
أشكُرُهُ وَإنّ مِثلي مَنْ شَكَرْ

---

(1) المقلة: العين.
(2) الكرىٰ: النوم.
(3) السَّمر: المحادثة ليلاً.
(4) الشادن: ولد الظبية ـ التيه: العُجب والتكبُّر.
(5) القهوة: الخمر.
(6) اعتكر: اشتد سواده والتبس.
(7) وطر: غاية والطلب.
(8) كفر: بمعنى ستر.

98

قال ابن نباتة مادحاً:

قَدْ أَمكَنَتْ فُرَصُ اللَّذَّاتِ فانتَهِزِ ... وَسَامحتْكَ وُعودُ الدَّهرِ فانتَجزِ[1]
رَوضٌ يُزفُّ وَمَعشوقٌ وكأسُ طَلاً ... لقد ظَفِرتَ بعيشٍ غيرِ ذِي عَوَزِ[2]
أَمَا ترى الرَّاحَ يُهدى صفوَ مزنَتِهَا ... غَيمُ الزُّجاجِ إلى أرضِ الحشا الجرزِ
وحاملُ الكأسِ قد جازَ الغرامُ بهِ ... قلبي ولولا فتاوَى الحبِّ لم يجزِ
خَمريُّ ثغرٍ فما نفسٌ بصاحبةٍ ... تبريُّ خدٍّ فما دمعٌ بمكتنزِ[3]
إذا خَطا نفحَتْ أعطافُهُ أَرَجاً ... نَفحَ الثناءِ عَليكُم يا بني اللكزِ[4]
أَنْتُمْ أُنَاسٌ إذا أَجْرى الوَرَى نَسَباً ... للجُودِ عدَّ إلى أيديكُم وعُزِي
نِعمَ المفيدونَ للطُّلابِ ما سَألوا ... والآخِذونَ مِنَ الهلاكِ بالحجزِ
والجاعِلونَ مَعاني المجْدِ واضِحَةً ... بينَ الأنامِ وكانَ المجدُ كاللُّغزِ
لم يبقَ بينَ بني الدُّنيا وَبينكُم ... إلاَّ مشابهَ بينَ الدُّرِّ والخرزِ[5]
دَلَّ العلاءُ على إيضاح سُؤدُدِكُم ... دَلالةَ القَبَسِ الموفي على نَشزِ[6]
ذُو الجودِ والبأسِ من يعرضْ لسطوتِهِ ... يَهلكْ ومَنْ يَرجُ نُعمى كفِّهِ يفُزِ
وشائِدُ البيتَ لا حقٌّ بمطّرحٍ ... للقاصدينَ ولا وَفرٌ بمكتنزِ
أمَّا النَّدى فندى غرٌّ نخادعهُ ... والعزمُ عزمُ سديدِ الرأيِ محترزِ
جدوى على إثر جَدوى غيرِ قاصرةٍ ... كالسَّيلِ محتفزٍ في إثرِ محتَفِزِ[7]

---

(1) انتهز الفرصة: استغلها ـ انتجز: أسرع بإنجاز ما تريدُ فعله.
(2) الطلا: الخمر.
(3) تبري: ذهبي.
(4) أعطافه: جوانبه ـ أرجاً: عطراً.
(5) الدُّرُّ: اللؤلؤ.
(6) السؤدد: السيادة ـ القبس: الشعلة ـ النشز: ما ارتفع وظهر من الأرض.
(7) الجدوى: المطر العام أو العطية.

لـو نـازَعـتـهُ بـيـوتُ الأولـيـنَ عـلـى … لصَيَّرِ الصَّدرَ مِنها مَوضِعَ العجُزِ[1]
غَزَا إلى الجيشِ منصورَ اللوا وَدَنا … جَيـشُ الـسُّـؤالِ إلـى أمـوالِـهِ فـغُـزِي
يا ماجدا نالَ من حَمدٍ ومن شَرَفٍ … ما لـم تـنـلْ آلُ حـمـدانٍ ولـم تـحزِ[2]
تقاصَرَ الشعرُ عن علياكَ من خَجَلٍ … حتى البَسيطُ تماماً آخر الرَجَزِ
وَما وَفتكَ لِطولِ المسْهبَاتِ ثَناً … فكيفَ نَبغي وفاءَ الوعدِ بالوَجَزِ[3]

99

قال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيد:

أَهْلاً بِطَيفٍ على الجَرْعَاءِ مُخْتَلِسِ … وَالفجرُ في سَحرٍ كَالثَّغرِ في لَعَسِ[4]
والنجمُ في الأفقِ الغربيِّ منحدرٌ … كَشُعلَةٍ سَقَطتْ مِن كَفِّ مُقتبِسِ[5]
يـا حَـبَّـذا زَمـنُ الـجـرعـاءِ مـن زَمَـنٍ … كـلُّ الـلـيـالـيَ فـيْـهِ لـيـلـةُ الـعُـرسِ
وحَبَّذا العيشُ مع هَيفاءَ لو برزَتْ … للبدرِ لم يَزْهُ أو للغُصنِ لم يَمسِ[6]
خُودٌ لها مِثلُ ما في الظَّبيِ مِنْ ملحٍ … وَليسَ للظبيِ ما فيها منَ الأُنسِ[7]
محروسَةٌ بشعاعِ البيضِ ملتمعاً … ونورُ ذاكَ المحيَّا آيةُ الحرسِ[8]
يَسعى وَرا لحظِها قلبي ومنْ عَجَبٍ … سعيُ الطريدةِ في آثارِ مُفترِسِ
ليتَ العذولَ على مرآى محاسِنَها … لو كانَ ثنَّى عَمَى عَينيهِ بالخَرَسِ
إنِّي وإنْ عَلَّقَتْ بالقَلْبِ صَبوَتُهُ … لمحوجُ العيسَ طيَّ الضوءِ والغَلَسِ[9]

---

(1) الصدر والعجز: الشطر الأول والثاني من البيت.
(2) تحز: تملك.
(3) المسهبات: من أسهب في حديثه إذا أطاله ـ الوجز: الاختصار.
(4) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ـ اللعس: سواد مستحسن في باطن الشفة.
(5) المقتبس: الذي يطلب شعلة من النار.
(6) يمس: يميل ويتثنى.
(7) الخود: مفردها خَوْد: الشابة الناعمة الحسنة الخَلْق.
(8) المحيا: الوجه.
(9) الصبوة: الميل إلى اللهو واللعب ـ العيس: الإبل البيضاء يشوبها شقرة.

سفينةٌ ليسَ تَجري بي لِذي بُخلٍ إنَّ السَّفينةَ لا تجري على اليَبَسِ
تؤمُّ بابَ ابنِ أيوبٍ إذا اعتكرَتْ سودُ الخطوبِ كما يؤتَمُّ بالقَبَسِ
المانحُ الرِّفدَ أفناناً مُهدَّلةً فما يردُّ جناها كفَّ ملتمسِ[1]
والرافعُ البخلَ في الدنيا وسَاكِنِهَا بجودِ كَفَّيهِ رَفعَ الماءِ للنَجَسِ
محا المؤيدُ بؤسَ المقتِرِيْنَ فما تكادُ تظفرُ جدواهُ بمبتَئِسِ
واستأنَسَ الناسُ جدوى كفِّهِ فَرَووا عنْ مالكٍ خبرَ العليَا وعنْ أنسِ
ملكٌ يقاسُ مجاريه بسؤدُدِهِ إذا تقايَسَ عيرُ الدارِ بالفرَسِ
وينتهي لضُحى بشرٍ مؤملُهُ إذا انتهى من بني الدُّنيا إلى عبسِ
مظَّفرُ الجدِّ مشاءٌ على جددٍ من حلمهِ اللدْنِ أو مِنْ حربهِ الشَّرِسِ
يُخفي اللها ودَنانيرُ الصِّلاتِ بِهَا تكادُ تضربُ للأسماعِ بالجَرَسِ
وينشرُ العلمَ لا قولٌ بمختلفٍ إذا رواهُ ولا معنىً بملتبِسِ[2]
ويُشبعُ الأمرَ آراءً مسدَّدَةً تَمضي وتَدفَعُ صُدرَ الحادثِ الشكِسِ[3]
تكونُ كالعضبِ أحياناً وآونةً تكونُ من وقعاتِ العضبِ كَالترسِ[4]
لو باشَرَ الأفقُ يوماً يُمنَ طلعتهِ لَمَا سمعتَ بنجمٍ ثمَّ منتحِسِ
وَلو تولَّتْ حزونَ الأرضِ راحتُهُ لم يبقَ في الأرضِ صَلِدٌ غيرُ منبجسِ[5]
مَنْ مبلغٌ قوميَ الزاكي نجارهُمُ أنِّي اعتزَيتُ إلى جَمِّ العلى ندسِ[6]
مُجدِّداً لِيَ في أمداحِهِ نَسَباً أبرَّ من نسبٍ في التربِ مُندرِسِ[7]
ما زِلتُ أُخبرُ ممدُوحَا وأهجرُهُ حتى اعتلقتُ بحبلٍ محصدِ المرَسِ
وطاهِرِ الخيمِ لا تُثنى خلائقُهُ على الملاكِ ولا تُطوَى على الدنَسِ

(1) الرفد: العطاء ـ الأفنان: العضون ـ الملتمس: الطالب العطاء.
(2) الملتبس: من التبس عليه الأمر اختلط وأشكَلَ.
(3) مسددة: صائبة.
(4) العضب: السيف القاطع.
(5) الحزون: الأرض الصلبة والخشنة.
(6) الجم: الكثير.
(7) المندرس: من اندرس الشيء: إذا زال وانمحى أثره.

ما شِمْتُ بارِقَ جدواهُ فأخلَفني ... ولا عهدتُ إلى معروفِهِ فنسِي[1]
تِلكَ العلى لابْنِ حمدانٍ على حَلَبٍ ... ولا بنِ عمارَ شأوٌ في طَرابلُسِ
مَا ضرَّني إنْ تولوا وَهوَ مرتقبٌ ... وخاسَ عهدُ الغوادي وهوَ لم يَخسِ
يا ابْنَ الملوكِ الأولى خُذها عروسَ ثناً ... مصريَّةَ المنتمى غَربيَّةَ النفَسِ
اللَّهُ أكبرُ صاغَ الحقَ مادِحُكُم ... كأنَّه ناطِقٌ عن حَضْرَةِ القُدُسِ

100

قال بهاء الدين زهير واصفاً أشواقه الحرّىٰ لمحبوبه الذي هجره:

أمُؤنِسَ قلبي كيفَ أوْحشتَ ناظري ... وجامعَ شملي كيفَ أخلَيتَ مَجلسِي
وَيا ساكِناً قَلبي ومَا فيهِ غَيرُهُ ... فدَيتُكَ ما استَوْحشتُ منه لمُؤنِسِ
وَباللَّهِ يا أغنى الوَرَى من مَلاحَةٍ ... تَصَدَّقْ على صَبٍّ من الصّبرِ مُفلِس[2]
بما بَيْنَنا مِنْ خَلوَةٍ لم يُبَحْ بِهَا ... وما بَينَنا مِنْ حُرْمَةٍ لم تُدَنَّسِ
أنِلْني الرّضَا حتى أغيظَ بهِ العِدَى ... وتَذهَبَ عني خيفَتي وَتَوَجُّسِي[3]
رِضاكَ الذي إنْ نِلْتُهُ نِلتُ رِفعَةً ... وَألبَسَني في النّاسِ أشرَفَ مَلْبَسِ
رَعَى اللَّهُ جِيراناً إذا عَنَّ ذِكرُهُمْ ... يَغارُ الحَيَا مِنْ مَدمَعي المُتَبَجِّسِ[4]
وَيا حَبّذا الدّارُ التي كنتُ مُدّةً ... أميلُ إلى ظَبيٍ بهَا مُتأنِّسِ
إذا نَحنُ زُرْناها وَجَدنَا نَسيمَها ... يَفُوحُ بِها كالعَنْبَرِ المتَنَفِّسِ
وَنَمشِي حُفاةً في ثَراها تأدّباً ... نَرَى أنَنا نَمْشِي بوَادٍ مُقدَّسِ

---

(1) شمت: تطلعت وترقبت.
(2) الملاحة: الحسن ـ الصب: المشتاق.
(3) التوجُّس: الفزع والخوف.
(4) الحيا: المطر ـ المتبجس: نقول تبجّس الدمع إذا سال بغزارة.

101

قال التلعفري في إحدى خمريّاته:

عجْ حينَ تسمعُ أصواتَ النواقيسِ مِنْ جانبِ الدير تحتَ اللَّيل بالعيسِ[1]
وانزلْ بحانةِ يوحنا وصاحبِه يوشعْ وتَوما وكَركرْ ثم كركيسِ
صَفَتْ فرقَّتْ وراقَت وهي ذاتُ سناً تجلّ في الوصفِ عن عيب وتدنيس[2]
مستخبراً عن كُميتِ اللونِ صافية قد عَتَّقَتْها أناسٌ في النواويسِ[3]
مرَّ الزمانُ عليها فهي تخبر عـ ـما كان مِنْ آدمٍ قدماً وإبليسِ
ترى الرَّهابين صرعى مِنْ مهابتِها إذا بدتْ شمَّاس وقسيس[4]
تُتلى الأناجيلُ تعظيماً إذا حضرتْ لها بأشرفِ تسبيح وتقديس
لها أحاديثُ ترويها إذا مُزِجَتْ في كأسِها عنْ سليمان وبلقيسِ
لو ذاق منها غزالُ السِّربِ مضمضة لخافَه مَنْ سُطاها ضيغمُ الخِيسِ[5]
يسعى بها مِنْ نصارى الدّير بدرُ دُجاً يميسُ في فتيةٍ مثلِ الطَّواويسِ
فاصرفْ بها صَرف خطبِ الدّهرِ مُغتنماً ما دامتِ الشمسُ مغ تلك الشماميس
واخذرْ ملاكَ قلالِ الدَّير مجتلياً كأسَ المدامةِ إلاّ فارغَ الكيسِ[6]

102

وقال يصف مجلساً من مجالس الأنس واللهو:

نَادِمْ عُيونَ النَّرجِسِ بخدُودِ وَرْدِ الأكْؤُسِ[7]

(1) عاج: مال ـ النواقيس: أجراس الكنيسة ـ العيس: الإبل.
(2) السنا: الضوء ـ التدنيس: مصدر دنس أي اتسخ وتلطخ.
(3) الكميت: لون الخمرة ـ النواويس: تابوت من الحجر مفرده ناووس.
(4) الشماس: مرتبة دون القسيس.
(5) الضيغم: الأسد.
(6) قلال: جِرار مفردها قُلَّة.
(7) نادِم: رافِقْ وشارِبْ.

واسـتَـجْـلِ بـكْـرَ مُـدامَـةٍ ... مـعـشُـوقَـةٍ لِـلأنـفُـسِ[1]
خَـلَـعَـتْ خَـلـيْـعـاً واغـتَـدَتْ ... بـجـدِيْـدِ حُـسـنٍ تَـكْـتَـسـي
مـن فَـوقِ بُـسْـطِ بـنـفْـسَـجٍ ... مَـرقـومَـةٍ بِـالـسُّـنْـدُسِ[2]
لا عـيـشَ إلا بـالـمُـدَا ... مَـةِ والـنَّـديـمِ الأكْـيَـسِ
وخَـلاعَـةٍ مـا دُنِّـسـتْ ... أثـوابُـهَـا بِـتَـدنُّـسِ
ومـغـازَلاتِ نَـواظِـرٍ ... نـعـسٍ وَإنْ لـم تَـنْـعَـسِ
مـنْ كـلِّ ظـبـيٍ نـافـرٍ ... مُـسـتَـوحِـشٍ مـسـتَـأنِـسِ
يُـبـديْ لـعـيـنِـكِ حُـسْـنُـهُ ... مـعـنـى الـجـمـالِ الأقْـدَسِ
يَـعِـدُ الـوِصَـالَ ويَـدَّعِـيْ ... نِـسـيـانَ ذاكَ ومَـا نَـسِـيْ

103

قال بهاء الدين زهير يمدح الأمير مجد الدين اللمطي ويهنئه بولايته أعمال القوصية:

تَـمَـلَّـيْـتَـهُ يـا لابِـسَ الـعِـزّ مَـلْـبَـسـا ... وَهُـنِّـئْـتَـهُ يـا غـارِسَ الـجـودِ مَـغْـرَسَـا
قَـدِمْـتَ قُـدومَ الـغَـيْـثِ لـلأرْضِ إنّـهـا ... بـهِ أشرَقَتْ حُسناً وطابَتْ تَنَفُّسَا[3]
عـلَـوْتَ بَـنـي الأيّـامِ إذْ كـنـتَ فـيـهِـمُ ... إذا ذُكِـرُوا أسـمَـى وَأسـنـى وَأرْأسَـا[4]
زَعيمُ بَني اللَّمطيِّ في البأسِ والنّدى ... مكَرَّمُها المأمُولُ في الدّهرِ إنْ قَسَا[5]
غَـمَـامٌ هَـمَـى بَـحـرٌ طَـمَـى قَـمَـرٌ أضَـا ... حُسامٌ مَضَى لَيثٌ قَسا جبلٌ رَسَا[6]

---

(1) استجل: انظرْ واستكشف ـ البِكر: أول كل شيء.
(2) مرقومة: منقوشة ومطرَّزة.
(3) الغيث: المطر.
(4) أسما: أكثر سموّاً وعلوّاً ـ أسنى: أكثر ضياءً ـ أرأس: أعلى درجات الرئاسة.
(5) الندىٰ: العطاء والجود.
(6) همىٰ: هطل وانسكب ـ طمىٰ: ارتفع وفاض.

وحاشاهُ إنّي غالِطٌ حينَ قِستُهُ ... وَذاكَ قِياسٌ تَرْكُهُ كانَ أقيَسَا[1]
إذا فَعَلَ الأقوامُ نَوْعاً من النّدَى ... تَنَوّعَ فيه جُودُهُ وتَجَنّسَا
وَإنْ بَدَأ النُّعْمى تَلاهَا بِمِثْلِها ... فتَزدادُ حُسناً كالقَريضِ مُجَنَّسَا[2]
تَحُلّ بهِ الشُّمُّ العَرانِينُ في العُلا ... فتَلْقاهُمُ من هَيْبَةٍ منهُ نُكَّسَا[3]
بهِ أصْبَحَتْ تَيمٌ إذا هيَ فاخَرَتْ ... أعَزَّ قَبيلٍ في الأنَامِ وَأنْفَسَا[4]
أجلُّ الوَرَى قَدْراً وأكرَمُ شِيمَةً ... وَأكثَرُ مَعرُوفاً وأكبرُ أنْفُسَا
إذا بخَسَ الجُهّالُ قَدرَ فضيلةٍ ... فلَيسُوا بها بالجاهِلِينَ فيُبْخَسَا[5]
همُ القَوْمُ يَلقونَ الخُطوبَ إذا عرَتْ ... بكلّ كَميٍّ في الخُطوبِ تَمَرّسَا[6]
إذا أُوقِدَتْ للحرْبِ نارٌ أوِ القِرَى ... تَوَهّمْتَهُ مِنْ عِشقِها مُتَمَجّسَا[7]
يَبينُ لَهُ الأمْرُ الخَفيُّ فِراسَةً ... ويَعنو لهُ الطّرْفُ العصِيُّ تَفَرُّسَا[8]
إذا صالَ أضْحَى أفرَسُ القومِ أميَلاً ... وَإنْ قالَ أضْحى أفصَحُ القَوْمِ أخرَسَا
أمولايَ لا زَالَتْ مَعاليكَ غَضّةً ... وَأغصانُها رَيّانَةً منكَ مُيَّسَا[9]
سما بكَ مجدَ الدّينِ مَجدٌ وَمحْتِدٌ ... وَعِرْضٌ نَهاهُ الدّينُ أنْ يَتَدَنّسَا[10]
لقد شَرُفَتْ منهُ الصّعيدُ وِلايَةً ... فأصبَحَ وَاديهِ بهِ قد تَقَدّسَا
بلادٌ بلُقياكَ استَقامَتْ نُجُومُها ... فصِرْنَ سُعُوداً بعدَما كنّ نُحَّسَا
سَتندى وقد وَافَى وَفاكَ رُبُوعَها ... وَإنْ عُهِدَتْ مُغبَرّةَ الجَوّ يُبَّسَا
ورُبّ قَوافٍ قد طَوَيتُ بُرودَهَا ... فلمْ أرْضَ أن تَغدو لغيرِكَ مَلْبَسَا

(1) قسته: قارنته مع غيره.
(2) القريض: الشعر.
(3) الشم العرانين: الأعِزّة والأُباة من الأشراف.
(4) قبيل: قبيلة.
(5) بخس: أنقص.
(6) الكمي: الفارس الكامل السلاح.
(7) متمجساً: أي مثل المجوس الذين يعبدون النار فهو مثلهم يحب النار ولكن نار الحرب فقط.
(8) يعنو: يخضع ويذل.
(9) ميّسا: نقول ماس الغصن إذا تمايل بلطف ولين.
(10) يتدنّس: يتّسخ ويتلطّخ ـ المحتد: الأصل.

أقمنَ حَبيساتٍ كَحَبسِكَ مَن جنى ... على أنّها لمْ تَجْنِ يَوماً فتُحْبَسَا[1]
فها هيَ كالوَحشيِّ من طولِ حَبسِها ... عَساها بِبِرٍّ منكَ أنْ تَتَأنّسَا
وَإنْ قَصّرَتْ عن بَعضِ ما تَستَحِقّه ... فمثلُكَ مَنْ أوْلى الجَميلَ لمَن أسَا[2]
كَذا المَنهمَل المَوْرودُ في مُستَقَرّهِ ... إذا عَدِمَ الوُرّادَ لَنْ يَتَنَجّسَا
سيُرْضيكَ منها ما يزيدُ على الرّضَا ... ويَستَعبِدُ ابنَ العَبدِ وَالمُتَلَمِّسَا[3]
وَهَبْنيَ أُعطيتُ البَلاغَةَ كلّها ... فما قَدرُ مدحي في عُلاكَ ومَا عَسَى

104

قال بهاء الدين زهير واصفاً محبوبه:

طَلَعَ العِذارُ عَلَيْهِ حارِسْ ... قَمَرٌ تُضِيءُ بهِ الحَنادِسْ[4]
كالرّمْحِ، مَهْزُوزُ القَوَا ... مِ وكالقَضِيبِ اللّدنِ مائِسْ[5]
ويَرُوحُ يَقْظانَ الجُفُو ... نِ تَخالُهُ كالظّبيِ ناعِسْ
البَدْرُ أمسَى أكلَفاً ... مِنْ حُسنِهِ والغُصْنُ ناكِسْ[6]
وَالظّبيُ فَرّ منَ الحَيَا ... ءِ إلى المَهامِهِ وَالبَسابِسْ[7]
عَجَباً لَهُ عَدِمَ المُمَا ... ثِلَ في المَلاحةِ وَالمُقايِسْ
وَيُقالُ يا رِيمَ الكِنا ... سِ لَهُ وَيا زَينَ الكَنائِسْ[8]
يا مُطْمِعي في وَصْلِهِ ... لا رُحْتُ يَوْماً منكَ آيِسْ

---

(1) جنىٰ: أذنب.
(2) أسا: أساء.
(3) ابن العبد: يقصد الشاعر طرفة، والمتلمّس خاله.
(4) الحنادس: مفرده حِنْدِس: الليلة الشديدة الظلمة.
(5) اللدن: اللين المرن ـ مائس: متمايل.
(6) الأكلف: من امتلأ وجهه بالكلف وهو نمس يعلو الوجه يشبه السمسم.
(7) المهامة والبسابس: الصحارى والقفار.
(8) الكناس: هو المكان الذي تأوي إليه الظباء والبقر في الحر.

يـا مُـوحِـشـي بِـصُـدودِهِ   وسِـوايَ مـنـهُ الـدّهـرَ آنِـسْ[1]
بَـيـنـي وبَـيـنَـكَ فـي الـهَـوَى   حرْبُ البسوسِ وَحرْبُ داحسْ[2]
فـلِـذاكَ خَـدُّكَ راحَ فـي الـوَرْ   دِ الـمُـضـاعَـفِ وَهـوَ لابِـسْ

105

قال شرف الدين الأنصاري من قصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيوبي صاحب حماة الذي كان مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة (عين جالوت):

رُعْتَ العِدَى فَضَمِنْتَ ثَلَّ عروشِها   ولقيتَها فأَخَذْتَ فَلَّ جيوشِها[3]
نـازَلْـتَ أمـلاكَ الـتـتـارِ فـأُنْـزِلَـتْ   عن فَحْلِها قَسْراً وعن إكْدِيشِها[4]
فَغَدَا لِسَيْفك في رِقابِ كُماتِها   حَصْدُ المناجِلِ في يَبِيسِ حَشِيشِها[5]
رَوَّيْـتَ أكـبـادَ الـقَـنـا بـدمـائـهـم   لَمّا أطالَ سِواكَ في تَعْطِيشِها[6]
أقْدَمْتَ مُقْتَحِماً على نُشَّابها   تَكْسُو الجِيادَ رِياشَها مِنْ رِيشِها[7]
دارتْ رَحَى الحربِ الزَّبُونِ عليهمُ   فغَدَتْ رؤوسُهُمُ حُطامَ جَرِيشها[8]
وطويتَ عن مِصْرٍ فسيحَ مراحلٍ   ما بَيْنَ بِرْكَتها وبَيْنَ عَرِيشِها
حتى حَفِظْتَ على العِبادِ بلادَها   مِنْ رُومِها الأقصَى إلى أُحْبوشِها[9]

---

(1) الصدود: المنع وهو ضد الوصال.
(2) البسوس وداحس: من حروب العرب في الجاهلية.
(3) رُعْت: أفزعت وأخفت ـ ثلّ العرش: خربه وأذهب سلطانه ـ فلّ الجيش: هزمه وقضىٰ عليه.
(4) الإكديش: الفرس غير الأصيل.
(5) الكماة : الفرسان الكاملو السلاح مفردها كمي.
(6) القنا: الرماح.
(7) النُشّاب: مفردها نشابه وهي الرماح والسهام.
(8) الحرب الزبون: الحرب الطاحنة التي فيها صِدام شديد ـ الجريش: هو ما لم ينعم دقُّهُ أو طحنه من الحبوب.
(9) الأحبوش: بلاد الحبشة.

فَرَشَتْ حَماةُ لِوَطْءِ نعلِكَ خَدَّها فَوَطِئْتَ عَيْنَ الشمسِ مِنْ مَفْروشِها
وكذا المعرَّةُ إذْ مَلَكْتَ قِيادَها دَهِشَتْ سُروراً سارَ في مَذْهوشِها
لا زِلْتَ تُنْعِشُ بالنَّوالِ فقيرَها وتَنالُ أَقْصَى الأَجْرِ مِنْ مَنْعوشِها

106

قال البرعي رحمه الله فيه ﷺ:

صَدُّوا عَنِ الصَّبِّ الكئِيبِ وأَعْرَضُوا والهَجْرُ أَطْوَلُ ما يَكُونُ وأَعْرَضُ[1]
كَثُرَ السِّقامُ فَقُمْتُ أَطْلُبُ بُرْأَهُ مِنْ أَيْنَ يَبْرأُ والطَّبِيبُ المُمْرِضُ[2]
إنْ يَسْتَحِلُّوا بالفِراقِ دَمِي فلِي يَوْمَ القِيامَةِ حُجَّةٌ لا تُدْحَضُ
قِفْ بالمَطِيِّ على مآثِرِهِمْ ولَوْ مِقْدارَ ما يَتَمَضْمَضُ المُتَمَضْمِضُ[3]
هُمْ جِيرَتِي قَبْلَ الفِراقِ وإنَّما كُتِبَ الفِراقُ ولا رَضِيتُ ولا رَضُوا
يا حَسْرَةَ العُشَّاقِ من غُصَصِ النَّوى لَوْ أَنَّهُمْ بالهَجْرِ وَصْلاً عَوَّضُوا[4]
لِلَّهِ رَكْبٌ أزمَعُوا رَأْدَ الضُّحى والشَّمْسُ تَلْفَحُ والقَلائِصُ تُرْكَضُ[5]
رَحَلُوا المَطِيَّ يَؤُمُّهُمْ من يَثْرِبٍ رَعْدٌ يَحِنُّ وبارِقاتٌ تُومَضُ
وعَمائِمٌ تَكْسُو الرِّياضَ مَطارِفاً يَفْتَرُّ عَنْها مُذْهَبٌ ومُفَضَّضُ
بَلَدٌ بِهِ المَجْدُ المُؤَثَّلُ والسَّخا والبَذْرُ والبَحْرُ الطَّوِيلُ الأَعْرَضُ[6]
بَحْرٌ يَمُوجُ غِنًى لِمُغْتَرِفِيهِ لا وَشَلٌ بِهِ يَتَرَبَّضُ المُتَرَبِّضُ[7]
قَمَرٌ تَسَلْسَلَ من ذُؤابَةِ هاشِمٍ لِمَكانَةٍ عَنها المَراتِبُ تُخْفَضُ

---

(1) الصَّبّ: المشتاق.
(2) السقام: المرض ـ البرء: الشفاء.
(3) المطي: كل ما يُركب من الدواب.
(4) النوىٰ: الفراق والبعد.
(5) رَأْدَ الضحىٰ: انبساط شمسه وارتفاع نهاره ـ القلائص: واحدتها قلوص وهي الناقة الفتية الضخمة.
(6) المؤثل: الأصيل.
(7) الوشل: الماء القليل ـ يتربض الرجل: يتمدد ويلتصق بالأرض.

صَفْوُ السُّراةِ صَفْوَةُ العِزِّ الذي ... في اللَّهِ يَبْرُمُ ما يَشاءُ ويُنْقِضُ
ناهي الورى عَنْ فِعْلِ كُلِّ دَنيَّةٍ ... وعلى المكارمِ والوفاءِ مُحَضِّضُ[1]
قُمْ لَهُ في كُلِّ قَلْبِ مُنزلِ ... أعدّ لَهُ في كُلِّ ثغرٍ مَربضُ
بَرٌّ بِمَنْ والى عَدُوٌّ لِلعِدا ... في اللَّهِ شيمَتُهُ يُحِبُّ ويَبْغَضُ
فَنَزيلُهُ خَصْبُ الرِّحابِ وجارُهُ ... عالِي الجِنابِ وبَسْطُهُ لا يُقْبَضُ
هُوَ مُكْرِمٌ لِلنَّاسِكِينَ بِهَدْيِهِ ... هُوَ ضَيْغَمٌ تَحْتَ العَجاجِ مُحَرِّضُ[2]
هُوَ مُقْبِلُ القَلْبِ السَّلِيمِ على الهُدى ... وعَنِ الغَوايَةِ والضَّلالَةِ مُعْرِضُ
ولَهُ الحَنِيفَةُ مِلَّةٌ مُرْضِيَّةٌ ... دِينُ الخَلِيلِ وكُلُّ دِينٍ يُفْرَضُ
يا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ يا مَنْ هَدْيُهُ ... فِي النَّاسِ نُورٌ واضِحٌ لا يُغْمَضُ[3]
ومَنِ الصَّلاةُ عليه حَقٌّ واجِبٌ ... أبَداً يُسَنُّ على العِبادِ ويُفْرَضُ
نَطَقَتْ بِفَضْلِكَ مُعْجِزاتٌ جَمَّةٌ ... فالكُلُّ فِيها مُصَرِّحٌ ومُعَرِّضُ[4]
أَدْعُوكَ مِن نَيَّابَتِي بُرَعٍ وفي ... كَبِدِي مِنَ الأَشْواقِ حَرٌّ مُمْرِضُ
فاعْطِفْ على عَبْدِ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ ... واجْبُرْ بِفَضْلِكَ ما الحَوادِثُ تَمْهَضُ[5]
أنا في جِوارِكَ يَوْمَ ما تُطْوى السَّما ... والنَّارُ تُسْعَرُ والخَلائِقُ تُعْرَضُ[6]
أَوْرِدْنِي الحَوْضَ الذِي أَوْصافُهُ ... مِنْ دُونِها لَبَنٌ وشَهْدٌ أَبْيَضُ
وانْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ لُطْفِكَ إِنَّنِي ... لِعَرِيضِ جُودِكَ آمِلٌ مُتَعَرِّضُ
وأْذَنْ لِمُشْتاقٍ يَزُرْكَ فإِنَّهُ ... لا يَسْتَطِيعُ مِنَ الكَبائِرِ يَنْهَضُ
فَكَمِ امْرِئٍ أَدْنَيْتَهُ مِن بُعْدِهِ ... فأَتَتْ بِهِ الأَقْدارُ سَعْياً تَرْكُضُ
ومَضَى الزَّمانُ وما انْقَضى وَطَرِيَ بِكُمْ ... والنَّفْسُ تَأْمُلُ والحَوادِثُ تُعْرِضُ[7]

(1) محضض: تقول حضّه على كذا، إذا شجّعه وحرّضهُ.
(2) الضيغم: الأسد.
(3) الثقلين: الجن والإنس.
(4) جمةٌ: كثيرة.
(5) تمهض: تكسر.
(6) سعرت النار: اشتعلت والتهبت.
(7) الوطر: الغاية والهدف والمطلب.

وعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ يا مَنْ عِرْضُهُ ... عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ بالمَحامِدِ يُرْحَضُ [1]

107

قال ابن عربي متأمّلاً في تجربته العرفانية:

الشُّكْرُ للَّهِ لا أَبْغِي بِهِ عَوَضا ... بَلْ شُكْرُنا امتِثالٌ للذي فَرَضا
خَلَى لِيَ الأَمْرُ في الأَكْوانِ أَجْمَعِها ... وغادَرَ القَلْبَ مَشْغُوفاً بِهِ وَمَضى
فَما رَأَيْتُ بَرِيقاً فِي جَوانِبِها ... إلاّ وكانَ هُوَ البَرْقُ الذي وَمَضا
وآضَ عَنّي الذي قَدْ كانَ يَحْجُبُنِي ... لَمّا رأى النُّورَ في آفاقِهِنَّ أَضا
لَمّا سَلَكْتُ سَبِيلَ الواصِلِينَ إِلى ... بَحْرِ العَماءِ رَأَيْتُ الزَاخِراتِ أَضا
فَقُلْتُ هَلْ ثَمَّ بَحْرٌ لا يَكُونُ لَهُ ... سَيْفٌ فَقالُوا نَعَمْ هذا الذي اعْتَرَضا
ما بَيْنَنا وَهُوَ مِنْ وَجْهٍ يَخِيطُ بِنا ... وَما لَهُ غايَةٌ وَلا عَلَيْهِ فَضا
وَنَحْنُ فِيهِ كَغَرْقى يَسْبَحُونَ بِهِ ... وَلا يُقاسُون هَمّاً لا وَلا مَضَضا [2]
بَحرُ الثُّبوتِ الذي أَبْدى جَزائِرَهُ ... فِيهِ وَمِنْهُ بِما قَدْ شاءَهُ وَقَضى [3]
والنّاسُ سَفْرٌ وَلَكِنْ مِنْ جَزائِرِهِ ... إِلى جَزائِرِهِ فِي شَقْوَةٍ وَرِضى [4]
الإسمُ يُوجِدُنا والذّاتُ تَعْدِمُنا ... فَما تَرى صِحَّةً إلاّ تَرى مَرَضا
أَساتُنا لَمْ تَكُنْ إلاّ إساءَتُنا ... وَهيَ الغِذاءُ لِمَنْ قَدْ صَحَّ أَوْ مَرِضا
بِها بَدا عَفْوُهُ عَنّا وَرَحْمَتُهُ ... وَمَنْ يَقُومُ بِهِ إِحسانُهُ نَهَضا
إِلى الوُجُودِ الذي ما عِنْدَهُ عَدَمٌ ... وَهُوَ الذي حَصَّلَ المأمُولَ والغَرَضا
شَخْصاً سَوِيّاً وَقَدْ سَمّاهُ لِي بَشَراً ... مِنَ المُباشَرَةِ الزُّلفى التي انْتَهَضا [5]

(1) يرحض: الرحض الغسل والتطهير.
(2) المضض: ألم المصيبة ـ والمضاض: الماء الشديد الملوحة.
(3) الجزائر: مفردها جزيرة وهي أرض يحيط بها الماء من كل الجهات.
(4) السفر: المسافرون.
(5) الزلفى: القربى والمنزلة، أو الروضة.

بِـهـا فَـأَبْـصِـرُهُ فِـي عَـيْـنِ صُـورَتِـهِ مَـثَـلاً فَـأَنْـشـأهُ حَـتَّـى يَـرى عِـوَضـا
فَـلَـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرُهُ إلاَّ بِـجَـنَّـتِـهِ فَزالَ عَنْ نَفْسِهِ المَثَلُ الذي افْتَرَضا

108

قال بهاء الدين زهير يشكو من حرقة الأشواق ولوعة الفراق:

أَمَـا آنَ لـلـبَـدْرِ الـمُـنـيـرِ طُـلُـوعُ فـتُـشـرِقَ أَوْطـانٌ لَـهُ وَرُبُـوعُ[1]
فـيَـا غـائِـبـاً مـا غـابَ إلا بـوَجـهِـهِ وَلـي أَبَـداً شَـوْقٌ لـه وَوَلـوعُ[2]
سـأشـكُـرُ حُـبّـاً زَانَ فـيـكَ عِـبادَتي وَإنْ كـانَ فـيـهِ ذِلّـةٌ وَخُـضُـوعُ
أُصَـلّـي وعـنـدي لـلـصّـبـابَـةِ رِقّـةٌ فـكـلّ صَلاتـي في هـوَاكَ خُشـوعُ[3]
أأحبابَنا هلْ ذلكَ العَيشُ عائِدٌ كـمَـا كـانَ إذ أنـتُـمْ ونـحـنُ جـمـيـعُ
وَقـلـتـمْ رَبـيـعٌ مَـوْعِـدُ الـوَصْـلِ بَـيْـنَـنـا فـهـذا رَبـيـعٌ قـد مَـضـى وَرَبـيـعُ
لـقـد فَـنِـيَـتْ يـا هـاجِـرونَ رَسـائِـلـي وَمَـلّ رَسُـولٌ بَـيْـنَـنـا وَشَـفـيـعُ[4]
فَـلا تَـقْـرَعُـوا بـالـعَـتْـبِ قَـلـبي فـإنّـهُ وَحَـقّـكُـمُ مـثـلُ الـزُّجـاجِ صَـديـعُ[5]
سـأبـكـي وَإن تـنـزِفْ دموعي عـلـيـكُـمُ بـكَـيـتُ بـشِـعـرٍ رَقّ فَـهـوَ دُمـوعُ
وَمـا ضَـاعَ شِـعـري فـيـكُـمُ حـيـنَ قُـلـتُـهُ بـلَـى وَأبـيـكُـمْ ضـاعَ فـهـوَ يَـضُـوعُ[6]
أُحـبّ الـبـديـعَ الـحـسـنِ مـعـنًـى وَصـورَةً وَشـعـريَ فـي ذاكَ الـبـديـعِ بَـديـعُ

(1) الربوع: الديار وما حولها، مفردها: رفع.
(2) الولوع: حب الشيء والتعلق به.
(3) الصبابة: شدة الشوق.
(4) هاجرون: هاجرين.
(5) صديع: مصدوع، أي: مكسور.
(6) يضوع: تنتشر رائحته.

109

قال ابن الفارض مُبدِياً عشقه وهيامه بالذات الإلٰهية:

أبَرْقٌ بدا، من جانبِ الغَوْرِ، لامِعُ، أمِ ارْتَفعتْ، عن وجهِ ليلى، البَراقِعُ[1]
نَعَمْ أسفَرَتْ ليلاً، فصارَ بوَجهِها نهاراً، بِهِ نُورُ المَحاسِنِ ساطِعُ[2]
ولما تجَلّتْ للقُلوبِ، تزاحَمَتْ على حُسنِها، للعاشِقينَ، مَطامِعُ
لِطَلْعَتِها تَعْنُو البُدورُ، ووجْهُها لهُ تَسجُدُ الأقمارُ، وهْيَ طَوالِعُ[3]
تجمّعَتِ الأهواءُ فيها، وحُسْنُها بَديعٌ، لأنواعِ المَحاسنِ جامِعُ
سَكِرْتُ بخَمرِ الحبّ في حانِ حَيّها، وفي خَمرِهِ، للعاشِقينَ، مَنافِعُ
تواضَعْتُ ذُلاً، وانخِفاضاً لِعزّها، فَشَرّفَ قَدْري، في هواها، التّواضُعُ
فإن صِرْتُ مَخفوضَ الجَنابِ، فحبّها لِقَدْرِ مَقامي، في المَحَبَّةِ، رافِعُ[4]
وإن قَسَمَتْ لي أنْ أعيشَ مُتَيَّماً، فشوقي لها، بينَ المُحبّينَ، شائِعُ
يقولُ نِساءُ الحيّ: أينَ دِيارُهُ؟ فقُلتُ: ديارُ العاشِقينَ بلاقِعُ[5]
فإنْ لم يكُنْ لي في حِماهنَّ مَوضِعُ، فلي في حِمى ليلى بليلى مواضِعُ
هوَى أُمّ عمرٍو جَدّدَ العُمرَ في الهوَى، فها أنا فيه، بعدِ أن شِبتُ، يافِعُ[6]
ولما تراضَعْنا بِمَهْدِ وَلائِها، سَقَتْنا حُمَيّا الحُبّ فيهِ مَواضِعُ
وألقى علينا القُرْبُ منها مَحَبّةً، فهلْ أنتَ، يا عَصْرَ التراضُعِ، راجِعُ
وما زِلْتُ، مُذْ نيطَتْ عليّ تَمائمي، أُبايِعُ سُلطانَ الهَوَى، وأُتابِعُ[7]

(1) البراقع: مفردها برقع وهو قناع تضعه المرأة على وجهها.
(2) أسفرت: كشفت عن وجهها.
(3) تعنو: تذل وتخضع.
(4) الجناب: القدر والمقام.
(5) بلاقع: مقفرة وخالية من أهلها.
(6) اليافع: هو من ناهز سن البلوغ.
(7) نيطت: علقت ـ التمائم: مفردها تميمة وهي ما يصفه الإنسان لردِّ العين والسحر ـ المبايعة: العهد على الطاعة.

لَقد عرَفتني بالوَلا وعرَفْتُها،   ولي ولها، في النّشأتَينِ، مَطالِعُ
وإنّيَ، مُذْ شاهَدْتُ في جَمالِها،   بِلَوْعَةِ أشْواقِ المَحَبّةِ والِعُ[(1)]
وفي حضْرَةِ المحبوبِ سِرّي وسِرّها   معاً، ومَعانيها علينا لوامِعُ
وكُلُّ مَقامٍ، في هواها، سَلكْتُهُ،   وما قَطَعَتْني فيه، عنها، القَواطِعُ
بِوادي بَوادي الحُبّ أرْعى جَمالَها؛   ألا في سبيلِ الحُبّ ما أنا صانِعُ[(2)]
صَبَرْتُ على أوهالِهِ صَبرَ شاكِرٍ،   وما أنا في شيء، سوَى البُعدِ، جازِعُ[(3)]
عزيزَةَ مِصْرِ الحُسْنِ! إنّا تِجارُهُ،   وليسَ لنا إلاّ النّفوسَ بَضائِعُ
لأرْضِكِ فَوزْنا بِها، فَتَصَدّقي   علينا، فقدْ نَمّتْ علينا المَدامِعُ[(4)]
عَسَى تَجعلي التّعويضَ عنها قَبولَها،   لِيَرْبَحَهُ مِنّا مَبيعٌ وَبائِعُ
خليليّ! إني قد عَصَيتُ عَواذِلي،   مُطيعٌ لأمْرِ العامِريّةِ، سامِعُ[(5)]
فَقولا لها: إنّي مُقيمٌ على الهَوَى؛   وإنّي، لِسُلْطانِ المَحَبّةِ، طائِعُ
وقولا لها: يا قُرّةَ العَينِ! هل إلى   لِقاكِ سَبيلٌ، ليسَ فيهِ موانِعُ؟
ولي عِندَها ذَنْبٌ بِرؤيَةِ غيرِها،   فهل لي، إلى ليلى المَليحةِ، شافِعُ؟
سَلا: هل سَلا قَلبي هَواها، وهل لهُ   سِواها، إذا اشتدّتْ عليهِ الوَقائِعُ؟[(6)]
فيا آلَ ليلى! ضَيفُكُمْ ونَزيلُكُمْ   بحَيّكُمُ، يا أكرَمَ العُرْبِ، ضارِعُ[(7)]
قِراهُ جَمالٌ لا جِمالٌ، وإنّهُ   بِرُؤيَةِ ليلى مُنيَةِ القلْبِ، قانِعُ[(8)]
إذا ما بَدَتْ ليلى، فكُلّيَ أعيُنٌ؛   وإنْ هي ناجَتني، فكُلّي مَسامِعُ
ومِسْكُ حديثي في هَواها، لأهلِهِ،   يَضوعُ، وفي سَمعِ الخليّينَ ضائِعُ[(9)]

---

(1) والع: متعلق أشد التعلق.
(2) بوادي الأولى: في وادي، بوادي الثانية: جمع بادية.
(3) جازع: فزِعٌ وخائف.
(4) فوزنا: عبرنا المفازة وهي الصحراء المهلكة ـ نمّت علينا: أخبرت عنا وفضحتنا.
(5) العواذل: اللوّام.
(6) سلا الأولى: أي: أسألا ـ سلا الثانية: نسي وانشغل عنها.
(7) ضارع: متذلل وخاضع.
(8) القرى: الطعام.
(9) يضوع: تنتشر رائحته وتفوح الخليين: الذين لا يعرفون الحب ولم يجربوه، مفرده خلي.

تجافتْ جنُوبي، في الهوَى، عن مضاجعي   ألا أنْ جفَتني، في هَواها، المَضاجِعُ
وسِرْتُ برَكبِ الحُسنِ بينَ مخامِلٍ،   وهَوْدَجُ ليلى، نورُها مِنهُ ساطِعُ
ونادَيْتُ لَمّا أنْ تَبدّى جَمالُها: لعَمْرُكَ، يا جَمّالُ، قلبيَ قاطِعُ[1]
فسيروا على سَيري، فإني ضعيفُكُمْ،   وراحِلتي، بَينَ الرّواحلِ، ضالِعُ[2]
ومِلْ بي إليها، يا دليلُ، فإنّني   ذليلٌ لها، في تِيهِ عِشْقيَ واقِعُ[3]
لعَلّيَ، مِنْ لَيلى، أفوزُ بنَظرَةٍ   لها، في فُؤادِ المُسْتَهامِ، مواقِعُ
وألتَذّ فيها بالحَديثِ، ويَشْتَفي   غليلُ عليلٍ، في هواها، يُنازِعُ
فيا أيّها النّفسُ، التي قد تَحَجّبَتْ   بِذاتي، وفيها بَدرُها لي طالِعُ
لَئِنْ كُنتِ ليلى، إنّ قَلبيَ عامِرٌ   بحُبّكِ، مجْنونٌ بوَصْلِكِ، طامِعُ[4]
رأى نُسخَةَ الحُسنِ البديعِ بِذاتِهِ   تَلوحُ، فلا شيءٌ سِواها يُطالِعُ
فيا قَلْبُ شاهِدْ حُسْنَها وجَمالَها،   ففيها، لأسرارِ الجَمالِ، وَدائِعُ
تَنَقّلْ إلى حَقّ اليَقينِ، تَنزّهاً   عنِ النّقْلِ، والعَقلِ، الذي هوَ قاطِعُ
فإحياءُ أهلِ الحُبّ موتُ نُفُوسِهِمْ،   وقوتُ قُلوبِ العاشِقينَ مَصارِعُ[5]
وكَم، بينَ حُذّاقِ الجدالِ، تَنازُعٌ،   وما بَينَ عُشّاقِ الجَمالِ تنازُعُ
وصاحِبْ بموسَى العَزْمِ خِضْرَ ولائها،   ففيهِ، إلى ماءِ الحيَاةِ، مَنافِعُ
فأنتَ بها قَبلَ الفِراقِ مُنَبّىءٌ،   بتأويلِ عِلْمٍ، فيكَ منهُ بَدائِعُ
لقد بَسَطَتْ في بحرِ جِسمِكَ بَسطةً،   أشارَتْ إليها، بالوَفاءِ، أصابِعُ
فيا مُشتَهاها! أنتَ مِقياسُ قُدْسِها؛   وأنتَ بها، في رَوْضةِ الحُسْنِ، يانِعُ[6]
فقَرّي بِهِ يا نَفْسُ عيناً، فإنّهُ   يحدّثُني، والمُؤنِسونَ هواجِعُ[7]

---

(1) الجمَّال: راعي الجمال.
(2) ضالع: معوجة.
(3) التيه: الضلال والضياع.
(4) عامر: قبيلة ليلىٰ وقيس ـ وعامر: مسكون ومأهول.
(5) مصارع: مهالك.
(6) اليانع: ما كمُل وطاب وحان قطافه من الثمار.
(7) هواجع: من الهجوع وهو النوم.

فما أنتِ نفْسٌ، بالعُلا، مُطْمَئِنّةٌ، وسِرُّكِ، في أهلِ الشّهادةِ، ذائِعُ[1]
لقَدْ قُلْتَ في مَبدا أَلَسْتُ بِرَبّكُمْ: بَلى قد شَهِدْنا، والوَلا مُتتابِعُ
فيا حَبّذا تِلكَ الشّهادَةُ، إنّها تُجادِلُ عَنّي سائِلي، وتُدافِعُ
وأنجو بها يومَ الوُرودِ، فإنّها لقائِلِها حِرْزٌ، مِنَ النّارِ مانِعُ[2]
هيَ العُرْوَةُ الوُثْقى بها فتَمَسّكي، وحَسْبي بها أنّي إلى اللّهِ راجِعُ
فيا رَبُّ! بالخِلّ الحبيبِ، نَبيِّنا، رَسولِكَ، وهْوَ السيّدُ المُتَواضِعُ
أنِلْنا معَ الأحبابِ رؤيَتَكَ، التي إليها قُلُوبُ الأولياءِ تُسارِعُ
فبابُكَ مَقصُودٌ، وفَضْلُكَ زائِدٌ، وجُودُكَ مَوْجودٌ، وعَفوُكَ واسعُ

110

قال بهاء الدين زهير أيضاً:

لكَ في فَضْلِكَ المَحَلُّ الرّفيعُ لا يُجارِيكَ في البَديعِ البَديعُ[3]
أيّها المُتْحِفي بنَظْمٍ وَنَثرٍ كلآلٍ قد زانَها التّرْصيعُ[4]
أنتَ في الفَضْلِ قُدوَةٌ وَإمَامٌ فإذا قُلتَ قَوْلُكَ المَسموعُ
فأشِرْ لي أوْ فادعُني أوْ فمُرْني أنا في الكُلّ سامعٌ وَمُطيعُ
يا كَثيرَ الجَميلِ مثلُكَ مولًى يَشتريني جَميلُهُ وَيَبيعُ
فابْسُطِ العُذْرَ في الجَوَابِ فإنّي مثلَ ما قد تَقُولُ لا أستَطيعُ

* * *

(1) ذائع: منتشر.
(2) الحرز: المانع ـ يوم الورود: يوم الحساب.
(3) البديعُ: هو بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات.
(4) لآل: الدُرر، مفردها لؤلؤة ـ الترصيع: التزيين بالذهب والجواهر.

111

قال ابن نباتة مادحاً رسول الله ﷺ:

يـا دارَ جيـرتِـنَـا بـسـفـحِ الأجـرعِ ... ذَكَرتـكِ أفـواه الـغُـيـوثِ الـهُـمَّـعِ[1]
وكَـسـتـكِ أنـواءُ الـرَّبـيـعِ مَـطـارِفـاً ... مُـوشـيـةً بِـسَـنَـا الـبُـروقِ الـلـمَّـعِ[2]
تـتـحلَّـبُ الأنـواءُ فـيكِ عـلـى الـرُّبـى ... بـسـحـائـبٍ تـحـنـو حُـنـوَّ الـمُـرضِـعِ
فـلـكـلِّ قـطـرةِ وابـلٍ فـمُ زهـرةٍ ... مـفـتـرَّةٍ عـنِ بـاسـمٍ مـتـضـوِّعِ[3]
تُـزهـى لـوامـعُ رَبـعِـهَـا وربـيـعِـهـا ... بـمـنـوَّرٍ فـي الـحـالـتـيـن مُـنَـوَّعِ
فعسى يعـودُ الـحـيُّ فـيكِ كـمـا بَـدا ... فـي خـيـرِ مُـرتـادٍ وأخـضـبِ مـرْبَـعِ
عَـهـدي بـسـفـحـكِ مـرتـعـاً لأوانِـسٍ ... كَـم فـي مـحـاسـنِـهَـا لـنـا مِـنْ مَـرتَـعِ
مِـن كـلِّ دائـرةِ الـقـنـاعِ عـلـى سَـنـا ... بـدرٍ يُـراغـمُ بـدرَ كـلِّ مـقـنَّـعِ
شـقَّ الأسـى قـلـبـي الـصَّـريـعَ فـيـا لـهُ ... بـيـتـاً أبـتْ سـكـنـاهُ غـيـرَ مُـصـرَّعِ
بـالـنـازعـاتِ ومـهـجـتـي عـوَّذتُـهَـا ... وحـجـبـتـهـا بـالـمرسَـلاتِ وأدمُـعـي[4]
آهـاً لـعـهـدِ الـرُّقـمـتـيـنِ وعـهـدِهَـا ... لـو أنَّ عـهـدَهُـمـا قـريـبُ الـمـرجـعِ
وَلـطـيـفـهـا كَـم هـاجَ لـوعـةَ بـيـنـهـا ... فـالـويـلُ إنْ أهـجَـعْ وإنْ لـم أهْـجَـعِ[5]
بـانَـتْ سُـعـادُ فـلـيـتَ يـومَ رحـيـلِـهَـا ... فَـسَـحَ الـلـقـا فـلـثـمـتُ كـعـبَ مـوَدَّعـي
وضَـمـمـتُ بـدرَ رِكـابـهـا فـعـسـاهُ أنْ ... تُـعـديـهِ رِقَّـةُ قـلـبـيَ الـمـتـوجِّـعِ[6]
إنـي وإنْ لـم أقـضِ نـحـبـي بَـعـدَهـا ... فـلـيـقـضـيـنَّ بُـكـايَ حـقَّ الأربـعِ
ولأخـتـمـنَّ بـمـوضـعِ الـتـقـبـيـلِ مَـا ... ضـمَّ الـثـرى مِـن قـلـبـيَ الـمـسْـتـودعِ

---

(1) الهمَّع: الهاطلة.

(2) أنواء: مفردها نوء، وهو المطر الغزير ـ مطارفاً: أردية ـ موشية: مزينة ومزخرفة.

(3) الوابل: المطر ـ مفترَّة: متفتحة ـ متضوع: متعطِّر.

(4) أراد بالنازعات والمرسلات أنه حصَّنها بآيات القرآن الكريم من العين والحسد.

(5) اللوعة: حرقة القلب ـ أهجع: أنام.

(6) الركاب: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئاً.

وأُحمِّل الهمَّ الذي حُمِّلتُهُ نجباً تقيسُ ليَ الفلا بالأذرُعِ[1]
مِنْ كلِّ حرفٍ وفقها للساكني تلكَ الرُّبوعِ وعَطفها للموضِعِ
مشتاقةٌ تَسرِي بمشتاقٍ كَما رجعُ المدامع وجنةَ المسترجعِ[2]
كادَتْ من الذِّكرى تطيرُ نسوعُهَا وتقومُ من صَدري حَواني الأضلُعِ[3]
ولقد يذكرني حنينُ سَواجعٍ بالقلبِ كم هاجَتْ على غُصنٍ معي[4]
شتّانَ ما بيني وبينَ حمامةٍ صدحَتْ فمن مُسترجعٍ ومرَجّعِ
غُصني بعيدٌ عن يديّ وغُصنها ضمَّتْ عليهِ أنامِلَ المستمتِعِ
لا طوْقَ لي بالصبرِ عنهُ وطوْقها بالزّهرِ بينَ مدبّجٍ وموشَّعِ[5]
إنْ لم تُعرني للحنينِ جناحَها فلقدْ أعَرتُ حدا الركائبِ مَسمعي
يطفو بِنا عندَ النُّجودِ مديدُهَا طلاّعة ويسيلُ عندَ البلقعِ[6]
حتى إذا شِمنا لطيبةَ مَعلماً عجَّلتُ قبل الحجِّ طيبَ تمتعي
ونزلتَ عن ظهرِ المطيةِ لاثماً وجهَ الثرى فرحاً بنشرِ الأدمُعِ
وإذا المطيُّ بنا بلغْنَ محمداً فلَها رعايةُ خيرِ حقٍّ قد رُعِي
ولها بآثارِ المناسمِ في السُّرى شرفٌ على شرفِ البدورِ الطُلَّعِ[7]
يا زائدَ الأشواقِ زائرَ قبرهِ سلِّم على خيرِ البريةِ يسمعِ
والجأ إلى الحَرمِ الذي جبريلُ من زوّارِهِ من ساجدينَ وركَّعِ
بينَ الملائكِ والملوكِ تزاحمٌ من حول منهلِهِ اللذيذِ المكرَعِ
فوفودُهَا من أرضِهَا وسمائِها في مطمحٍ يسعى إليهِ ومطمعِ

---

(1) نجباً: الإبل النجب، النجيبة: وهي من خيار الإبل.
(2) الوجنة: ما ارتفع من الخد.
(3) النسوع: مفردها نِسع: المفصل بين الكف والساعد، أو: سير عريض طويل تشدُّ به الحقائب أو الرحال.
(4) السواجع: الحمائم.
(5) موشع: مزيَّن.
(6) البلقع: الخالي من كل شيء.
(7) المناسم: مفردها منسم: طرف خفِّ البعير.

تـدعـو مـنـازِلـهُ سُـراةَ وفـودِهِ ... لجنابِ من في ليلةِ الإسرَا دُعي
حتى تقلَّدَ بالرّسالةِ حَافظاً ... ضَوّاعَ نشرِ الفضلِ غير مضيَّعِ (1)
وترٌ يقالُ لهُ غداً قلْ يُستمع ... يا خيرَ مشفوعٍ وخيرَ مشفَّعِ
كانَ الورى في حيرةٍ حتَّى أتى ... بجليِّ أخبارٍ دعاها مَنْ يعي
شَرعَ الهدى ووصفتُ شارعَ فضلِهِ ... أكرِمْ بفضليْ مشرعٍ ومشرِّعِ
من سَفحِ عدنانَ التي شرفتْ بِهِ ... مع ذلكَ الشرفِ القديمِ المهيعِ (2)
بطباعِهِ يزكُو فكيفَ بطابعٍ ... لثبوتِ أعناءٍ على المتطبِّعِ
ألفَ الندى حتى بَدا في كفِّهِ ... نبعُ الزُّلالِ فيا لَهُ منْ مَنبعِ
والبدرُ شقَّ لقربِهِ مُتَهللاً ... والجذعُ حنَّ لبعدِهِ بتفجُّعِ
والشَّمسُ شَاهدةٌ بأنَّ غمامةً ... كانتْ تظلّلُ من سواءِ المطلعِ
شهدتْ بإمكانٍ لهُ ومَكانةٍ ... وعلى كمثلِ الشمسِ فاشهدْ أودَعِ
والوصفُ ملتمعُ النجومِ يجِلُّ أنْ ... يحصى وإنْ شئتَ الحَديثَ فألمِعِ
واذكرْ ببدرٍ طلعةً نبويَّةً ... من مفردٍ يسمو ابنَ عشرَ وأربَعِ
ما البدرُ في كبدِ السَّما كسناهُ في ... قلبِ الخميسِ ولا بصدرِ المجمعِ (3)
تفدي البدورُ بيومِ بدرٍ وجهَهُ ... ما بينَ معشرِهِ البدورُ الطُّلَّعِ
المعرقينَ سماحةً وحماسةً ... يومَ الفخارِ دُعوا ويومَ المفزعِ (4)
مِن كلِّ مفترسِ الليوثِ بثعلبٍ ... من رمحِهِ في صدرِ كلِّ مسَبَّعِ
وقضيبُ سيفٍ إن يُهزُّ تساقَطتْ ... ثمراتُ هامٍ كانَ منهُ لتبّعِ (5)
ورِثوا الشَّجاعةَ والعُلى يَروونَهَا ... قرشيَّةً عن غالبٍ ومجمَّعِ
وبهِ اهتدوا فتتابعوا في نصرِهِ ... مِنْ طائعٍ وافى إليهِ ومهطعِ (6)

---

(1) ضاع العطر: فاح وانتشر ـ النشر: الرائحة الطية.
(2) المهيع: الواضح البيّن.
(3) الخَميس: الجيش العظيم.
(4) يوم المفزع: يوم الحرب.
(5) هام: مفردها هامة: الرأس ـ تبّع: لقب لأعظم ملوك اليمن.
(6) المهطِع: من ينظر في تذلل وخضوع وخوف.

حتى إذا صلَّى الحسامُ بطوعهِمْ صلَّت رؤوسُ عدًى بغيرِ تطوعِ
حَمدوا الوغى في حبِّ أحمدِهم فما يتفيَّؤونَ سوى الطوالِ الشرعِ[1]
هذا وَكانوا يتقَّونَ بهِ إذا حميَ الوطيسُ فيتَّقونَ بأشجَعِ[2]
بأشدِّ من شَهدَ الوغى وأرقِّ مَنْ وقَعتْ عواطِفُ حلمِهِ في موقعِ
بِكليلِ جفنٍ عن معائِبِ مخطىءٍ وحديدِ سيفٍ في فؤادِ مُدرَّعِ
بالمجتدي في يسرهِ وخصاصة وَالمجتلي في حلَّةٍ وَمرَقَّعِ
ذُو المعجزاتِ الباقياتِ وحَسْبُهُ سوَرٌ مسوّرةٌ تصدُّ المدَّعي
هُديَتْ قرومُ ذوي الفصاحةِ قَبلها وتقاعَسُوا عنها لأوَّلِ منزعِ[3]
كَمْ مدَّعٍ نظماً يُحاولُ حيهُ في سورةٍ منها فيسلى مُدّعي
قالَ الكلاميونَ صرفةُ خاطرٍ قُلنا ونشرةُ كوكبٍ مُتَشعشِعِ[4]
يَا سيدَ الخلقِ الذي مدَحَتهُ مِنْ آيِ الكتابِ فواصلٌ لم تقطعِ
ماذا عسى المدحُ الطهورُ يديرُ من كأسَ الثنا بعدَ الكتابِ المترعِ
بعدَ الحواميمِ التي بثنائِهَا هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفَعِ
من كلِّ حرفٍ عن سواكَ بمدحِهَا ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ[5]
أرجو لفهمي بامتداحِكَ يقظةً من غفلَتي وشهادةً في مضرعي
وإليكَ أشكُو صدرَ حالٍ ضيِّقٍ بالمؤلماتِ وحالَ همٍّ مُولعِ
وتذللاً في الخلقِ بعدَ تعزُّزٍ وتحيُّراً في الأمرِ قبلَ توقعِ
حتى كأنّ العقلَ ليسَ بعاقلٍ إياكَ أنْ تعي بأمر مفضعِ
إن تستبنْ لك حيلةٌ في الأمرِ لا تعجز وإنْ لم تستبنْ لا تجزُعِ[6]

---

(1) الطوال الشُّرع: الرماح.
(2) الوطيس: التنُّور: ويقصد اشتداد الحرب.
(3) القروم: مفردها قرم: السيد المعظَّم.
(4) متشعشع: مضيء.
(5) الورقاء: الحمامة.
(6) لا تجزع: لا تخف ولا تفزع.

ولقد أراعي الصَّبرَ فيما أشتكي ... مِن مؤلم والصبرُ بعضُ تجزُّعي
شيبَتْ حياتي ثمَّ شابَتْ لُمتي ... في غيرِ ذُخرٍ للمعادِ مجمّعِ[1]
فالرَّأسُ مشتعِلٌ بشيبٍ أبيضٍ ... والقلبُ مشتعلٌ بشيبٍ أسْفعِ[2]
ومَعَ المشيبِ ففيَّ من سِنِّ الصبى ... جَهلٌ وضرسُ غوايةٍ لم يقلَعِ
أوّاهُ من سنٍ وأسنانٍ مضَتْ ... في فعليَ العاصِي وَقَولي الطيِّعِ
سنٌّ علا كبراً وسنٌّ قد هوى ... تلفاً وَلسْنٌ إنْ يؤخَّرْ يفزعِ
وتشاغُلي فيما يَضُرُّ وحسبُهُ ... لَوْ لَمْ يَضرّ بأَيِّهِ لَمْ ينفعِ
همّانِ من دُنيا وآخرةٍ فيا ... للحيرتينِ بمعضلٍ وبمُضْلِعِ
وبليةُ الإنسانِ منه وإنَّما ... بكَ يا شفيعَ المذنبينَ تشفُّعي
سَارَت إليكِ صلاةُ ربِّكَ ما سَرَتْ ... لحماكَ ناجيةُ المحبِّ الموضعِ
وتوسَّلت بِكَ مدحةٌ سيارةٌ ... سيرَ النُّجومِ من ابتداء المطْلعِ
ونظيمةٌ من طيِّبِ الكَلِمِ الذي ... لسوى مقامِكَ في الورى لمْ ترفعِ
عوّذتُ من عينِ الحسودِ عيونَها ... من حرفِ مطلَعِهَا بحرفِ المقطعِ
وَتخذْتُها عَيناً ترَوِّيني غَدَاً ... وترى لِذي الدارينِ منجاً منجَعِي[3]
إنْ كُنتُ حسَّاناً بمدحِكَ نائباً ... فسناكَ أرشده وقالَ ليَ اتبعِ
سَجَعَتْ لكَ المدَّاحُ في طُرقِ الهدى ... والمكرماتِ ومَنْ تطوّقَ يَسْجَعِ

112

قال ابن عربي:

إذا نَظَرَتْ عَيْنِي فَأَنْتَ الذي ترى ... وإنْ سَمِعَتْ أُذُنِي فَلَسْتَ سِوى سَمْعِي
وإنَّ قِوايا كُلَّها وَمَحَلَّها ... وُجُودُكَ يا سِرِّي كَما جاءَ فِي الشَّرْعِ

(1) اللمّة: شعر الرأس المجاور شحمة الأذن.
(2) الأسفع: الذي لونه أسود مشرَّب حمرة.
(3) المنجع: الموضع يُقصد لما فيه من كلأ وماء.

وَلا حُكْمَ مِنْ طَبْعٍ إذا ما تُكَوِّنُهُ — فإنْ كُنْتَهُ كانَ التحكُّمُ لِلْطَّبْعِ[1]
إذا كُنْتَ عَيْنِي جحِينَ أُبَصِّرُكُمْ بِكُمْ — فَقَدْ أَمِنَتْ عَيْنايَ مِنْ عِلَّةِ الصَّدْعِ
إذا فَرَّقَتْ أَسْماؤُهُ عَيْنَ صُورَتِي — عَلى صُورَتِي فيهِ أُحِنُّ إلى الجَمْعِ
فأَحْمَدُهُ حَمْدَ المَحامِدِ كُلِّها — وأشْكُرُهُ فِي حالَةِ الضَّرِّ والنَّفْعِ
وأَرْقُبُ أَحْوالِي إذا كانَ عَيْنُها — وأشْهُدُهُ فِي صُورَةِ الوَهْبِ والمَنْعِ
لَقَدْ أَثَرْتُ لَمَّا أَغارَتْ جِيادُهُ — بِميدانِهِ شُحْباً كَثيراً مِنَ النَّفْعِ
فَما قَرْعُ بابِ اللَّهِ والبابُ أَنْتُمُ — كَما أَنْتَ ذاتِي حِينَ أَشْرَعُ فِي القَرْعِ
وأَشْهَدُهُ عِنْدَ اللِّوى وانْعِطافِهِ — وإنَّ كَمالَ الحَقِّ فِي مَشْهَدِ الجَزْعِ
وَصُورَتُهُ فِي الدُّرِّ أَكْمَلُ صُورَةٍ — وَصُورَةُ عَيْنِ الكَوْنِ أَكْمَلُ فِي الجَزْعِ
أَمَّا وَجَلالُ النّازِعاتِ وَغَرْقِها — لَقَدْ شَهِدَتْ عَيْنِي الطَّوالِعَ فِي النَّزْعِ
إذا لَمْ يَكُنْ فَرْعٌ لأَصْلِ وُجُودِنا — وَهَلْ ثَمَرٌ تَجْنِيهِ إلاّ مِنَ الفَرْعِ
وَصِقْعٌ وُجُودُ الحَقِّ فِي دارِ غُرْبَتِي — فَلا صِقْعٌ أَعْلى فِي المَنازِلِ مِنْ صِقْعِي
أَلا إنَّهُ يُخْفِي مَعَ الوَتْرِ عَيْنَهِ — وَيُظْهِرُها لِلْعَيْنِ في حَضْرَةِ الشَّفْعِ
أَلا كُلُّ ما قَدْ خامَرَ العَقْلَ خَمْرَةٌ — وإنْ كانَ فِي مَزْرٍ وإنْ كانَ فِي تَبْعِ
لَقَدْ رُفِعَتْ لِلْعَيْنِ أَعْلامُ هَدْيِهِ — وَضِمْنَ كَيْدِ الحَقِّ فِي ذلِكَ الرَّفْعِ
وَلَوْلا دِفاعُ اللَّهِ هُدَّتْ صَوامِعٌ — لِرُهْبانِ دِيرٍ فالسَّلامَةُ فِي الدَّفْعِ
لَقَدْ سُحْتُ فِي شَرْقِ البِلادِ وَغَرْبِها — وَما خَفِيَتْ نَعْلِي وَلا انْقَطَعَتْ شِسْعِي
وَفِي عَرَفاتٍ ما عَرَفْتُ حَقِيقَتِي — وَلا عَرَفْتُ حَتَّى أَتَيْتُ إلى جَمْعِ
ولَمَّا شَهِدْناها وَجِئْتُ إلى مِنًى — بَذَلْتُ لَهُ بالنَّحْرِ ما كانَ في وُسْعِي
حَصَبْتُ عَدُوِّي جَمْرَةً بَعْدَ جَمْرَةٍ — بِبِضْعٍ مِنَ الأَحْجارِ بُورِكَ مِنْ بِضْعِ
ولَمَّا أَتَيْتُ البَيْتَ طُفْتُ زِيارَةً — حَنيناً بِها مِنْ فَوْقِ أرقِعَةٍ سَبْعِ
عِنايَةُ رَبِّي أَدْرَكَتْ كُلَّ كائِنٍ — مِنَ النّاسِ فِي خَتْمِ القُلُوبِ وَفِي الطَّبْعِ
وَمِنْ أَجْلِ ذا لَمْ يَدْخُلِ الكِبْرُ قَلْبَهُمْ — عَلى مُوجِدِ الصَّنْعِ الذي جَلَّ مِنْ صَنْعِ

---

(1) كُنْتَهُ: نهاية الشيء وحقيقته.

وَلَوْلا وُجودُ السَّمْعِ فِي النَّاسِ ما اهْتَدَوا ... وَلَيْسَ سِوى عِلْمِ الشَّريعةِ والوَضْعِ
فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِ النَّقْلِ والعَقْلِ يا فَتًى ... وَهَلْ تَبْلُغُ الأَلْبابَ مَنْزِلَهُ السَّمْعِ

113

قال ابن مطروح:

مَنْ مبلغٌ عني المليكَ الأَرْوَعا ... عن عَبْدِهِ يحيى مقالاً مُقْنِعا
يا ابن الملوكِ الأكرَمِينَ ومَنْ لهم ... هِمَمٌ بها سَدُّوا الفضاءَ الأوسعا
وإذا النجومُ سَعَتْ لتدرِكَ مجدَهم ... رجعتْ ولم تبلغْ نَداهم ظُلَّعا(1)
أيجوزُ أنْ أبقَى ببابك ظامئاً ... ونداكَ قد وَسِعَ الخلائقَ أجمعا(2)
ولو ادعيت بأنَّ ما لَكَ ناصِحٌ ... مِثْلي شهدت بصدق ذاك المدَّعى
ومع النصيحةِ فالتخلُّقُ بالوفا ... خُلُقٌ خُلِقْتُ عليه لا متطَبّعا(3)
ومحبةٌ لِدَمي ولحمي مازَجَتْ ... وهوىً حنيتُ عليه مني الأضْلُعا
ولطالما جَرَّبْتَني فوَجَدْتَني ... أَجْدَى من المَلإِ الكثيرِ وأنْفَعا(4)
وأسَدَّ آراءً، وأثْقَبَ فِكْرَةً ... وأشدَّ عارِضَةً وألطفَ مَوْقِعا
وَلَكَم ليالٍ بِتُّ في دَيْجورِها ... للَّهِ أدْعُو خاشِعاً متضرِّعا(5)
حتى رأيتُكَ فوق كِسْرَى رِفْعَةً ... ورأيتُ دونَكَ في الجلالةِ تُبَّعا(6)
فعلامَ بَعْدَ الاصطفاءِ نَبَذْتَني ... نَبْذَ النَّواة بقَوْلِ واشٍ قَدْ سَعَى
وسمعتَ في حَقِّي كلامَ مَعاشِرٍ ... أقْصَى مُنَاهُم أنْ أبيتَ مُضَيَّعا
حَقُّ العَذُولِ بأنْ يقولَ فيفتري ... لكنْ أُجِلُّكَ أن يَقُولَ فَتَسْمَعا

---

(1) الندىٰ: العطاء والجود ـ الظلَّع: مفرده ظالع وهو الأعرج.
(2) ظامىء: عطشان.
(3) متطبعاً: متصنّعاً.
(4) أجدى: أنفع.
(5) الديجور: الظلام ـ التضرع: الابتهال.
(6) تبّعاً: التُّبّع اليمني من الملوك العظماء.

إن كنتُ خنتكَ ظاهِراً أو باطِناً ... فخسرتُ دنيائي وآخرتي معا
أأودُّكُمْ في عُنْفُوَانِ شَبِيبَتِي ... وأحُولُ إذْ عَهْدُ الشبيبةِ وَدَّعا؟

114

قال ابن نباتة مادحاً قاضي قضاة الشام:

ألا في سَبيلِ الحُبِّ حالُ مسهَّدٍ ... لثعلبِ هذا الفجْرِ عنهُ مَراغُ(1)
يُراعي نجومَ اللَّيْلِ تِبْراً ودَأبُهُ ... أمانيَّ من عهدِ الوصالِ تُصاغُ(2)
دَعا شجوَهُ فقدُ الأحبةِ والصِّبا ... فما للكَرى في مقلَتيهِ مَساغُ(3)
أحبايَ لي في اليومِ شغلٌ بَصَبوَتي ... وشَيبي وفي أهلِ الملامِ فراغُ(4)
وكَم عاقبَ اللوامُ والشيبُ في الهوى ... محبّاً وفي جلدِ المحبِّ دُباغُ
صَبغتُ مَشيبي رَاجياً عودةَ الصِّبا ... وهيهاتِ مِنْهُ دعوةٌ وبلاغُ
كذلكَ أفكارُ المشيبِ إذا سَرَتْ ... وفي بَعضِ باذنجانِهِنَّ صِباغُ
دَعِ الغيَّ بعدَ الأربعينِ فكَم دَعَا ... هداةَ الورى داعي الغواةِ فزاغوا(5)
وقدْ أسقطَ العالي بناثرِ ساقطٍ ... كطاهرِ ماءِ المُزْنِ حينَ بلاغُ(6)
تباركَ من صانَ العُلى بعليها ... على حينِ رامَ السَّائدونُ ورَاغوا
ثنى كلَّ باعٍ عن مداها ممدَّحٍ ... كأنَّ ثناهُ في البسيطةِ باغُ
ووافى وأوقاتُ الزَّمانِ كثيفةٌ ... فها هي كالبيضِ الحِسانِ رفاغُ
أخو الفَضلِ والألفاظ قالَتْ وعلَّمتَ ... فأصغى إليها المادحونَ وَصَاغوا
وقاضي قضاةِ الشامِ والذِّكرِ والنَّدى ... بحيثُ ثبيرٌ فالحسَا فأباغُ

(1) المسهد: الذي لا يستطيع النوم من الأرق.
(2) التبر: الذهب.
(3) الشجو: الحزن ـ الصِّبا: الحداثة والشباب ـ الكرى: النوم.
(4) الصبوة: الميل إلى اللهو واللعب.
(5) الغي: الضلال ـ زاغوا: ضلُّوا وابتعدوا عن الهدى.
(6) المزن: الغيوم الماطرة.

على كلِّ وادٍ للندى مِنهُ مَبسمٌ وفي كلِّ حيٍّ للصنائعِ داغُ
من المعشرِ السامينَ كاد وَليدُهُم يقولُ لنُظامِ المدائِحِ نَاغُوا[1]
كأنَّ العلى شخصٌ لهمْ منهُ قدْ سَعاً وفي النَّاسِ كعبٌ للعلى وَدِماغُ
أمولايَ خذ هاذاتَ نظمٍ موشَّعٍ على أوجهِ الأندادِ ذاكَ ردَاغُ[2]
وما القولُ إلاّ كالورى متفاوتٌ فمنهُ صهيلٌ أو فمنهُ تواغُ

115

قال ابن نباتة أيضاً:

رَشَأ رشفتُ رضابَهُ أو ثعلبٌ ما للمحبِّ إلى رضاهُ بلوغُ[3]
حلوُ اللمى متمنِّعٌ يعطيكَ مِنْ طَرفِ اللسانِ حلاوةً ويَروغُ[4]
لا مثل أقلامٍ بيمنى سَعدِهَا لفظاً وفَضْلاً كُلهنَّ بليغُ
لسطورِهَا صبغٌ يردُّ شبيبةً منّا وللنُّعمَى لدَيهِ سبوغُ[5]
نبغَتْ فضائِلهُ وجدوى كفِّهِ ناهيكَ نابغةً لهُ ونبوغُ[6]
فليهنَهُ العيدُ السعيدُ لمثله مِدَحٌ تساغُ لواردِ وتسوغُ[7]
من جودِهِ ذهبٌ ومن ألفاظِهِ دُرَرٌ تباحُ لنا ونحنُ نصوغُ[8]

(1) ناغى الطفلَ: حدَّثه ولاعبه.
(2) موشع: موشَّح ومزيَّن.
(3) الرشأ: الغزال ـ الرضاب: الريق.
(4) اللمىٰ: سمرة في الشفة مستحسنة ـ يروغ: يحتال ثم يتفلّت.
(5) سبغت النعمة: عمَّت وشملت.
(6) نبغتْ: ظهرت وتميزت ـ الجدوى: المعروف والعطاء.
(7) تساغ: تشرب بسهولة لا غصَّة فيها.
(8) الدُّرر: واحدتها دُرَّة وهي اللؤلؤة.

116

قال بهاء الدين زهير متعجباً من صدودِ محبوبه:

حبيبيَ ما هذا الجَفَاءُ الذي أرَى ... وَأينَ التّغاضي بَيْنَنا وَالتّعَطّفُ[1]
لَكَ اليَوْمَ أمْرٌ لا أشُكّ يُريبُني ... فما وَجهُكَ الوَجهَ الذي كنتُ أعرِفُ[2]
لقَدْ نَقَلَ الواشونَ عَنّيَ باطِلاً ... وَمِلْتَ لِما قالوا فزادوا وَأسرَفُوا
كأنّكَ قد صَدَّقتَ فيّ حَديثَهُمْ ... وَحاشاكَ من هذا وَخُلقُكَ أشرَفُ
وقد كانَ قولُ النّاسِ في النّاس قبلَنا ... فَفُنِّدَ يَعقُوبٌ وَسُرّق يُوسُفُ[3]
بعَيشِكَ قُلْ لي ما الذي قد سَمعتَهُ ... فإنّكَ تَدري ما تَقُولُ وَتُنصِفُ[4]
فإنْ كانَ قَوْلاً صَحّ أنّي قُلتُهُ ... فلِلْقَوْلِ تأوِيلٌ وَللقَوْلِ مَصرَفُ
وهَبْ أنه قولٌ مِنَ الله مُنْزَلٌ ... فقد بَدَّل التوراةِ قومٌ وحرَّفوا
وَهَا أنَا وَالوَاشي وَأنتَ جَميعُنا ... يكونُ لَنا يَوْمٌ عَظيمٌ وَمَوْقِفُ

117

قال البرعي مادحاً المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام:

عَسى من خَفِيِّ اللطْفِ سُبْحانَهُ لُطْفُ ... بِعَطْفَةِ بِرٍّ فالكَرِيمُ لَهُ عَطْفُ
عَسى مِن لَطِيفِ الصُّنْعِ نَظْرَةُ رَحْمَةٍ ... إلى مَنْ جَفاهُ الأَهْلُ والصَّحْبُ والأُلْفُ
عَسى فَرَجٌ يأتِي بِهِ اللّهُ عاجِلاً ... يُسَرُّ بِهِ المَلْهُوفُ إنْ غَمَّهُ اللَّهْفُ[5]
عَسى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَدْبِيرُ رَأْفَةٍ ... وَبِرٌّ مِنَ البارِي إذا العَيْشُ لَمْ يَصْفُ[6]

---

(1) التغاضي: نقول تغاضى عن الشيء إذا تغافل وتغابىٰ.
(2) يريبني: يُدخل في نفسي الشك.
(3) فنَّدَ رأي فلان: إذا أضعفهُ وأبطلَهُ.
(4) تنصف: تعدل وتقول الحقَّ.
(5) الملهوف: المظلومُ المضطرُّ يستغيث ويتحسَّر.
(6) الباري: الخالق عزّ وجلّ.

عَسى نَفْحَةٌ فَرْدِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ ... بِها تَنْقَضِي الحاجاتُ والشَّمْلُ يُلْتَفُّ [1]
فإنّيَ والشَّكْوى إلى اللّهِ كالَّذِي ... رَمى نَفْسَهُ في لُجَّةٍ مَوْجُها يَطْفُو [2]
فَمِنْ مِحَنِ الأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ ... أَلَمَّ بِرَوْحِي قَبْلَ حَتْفِ الفَنا حَتْفُ [3]
ومِنْ فُرْقَةِ الأَحْبابِ قَلْبي مُقَسَّمٌ ... ثَلاثٌ وأَرْباعٌ ونِصْفٌ ولا نَصْفُ
ولكِنَّ مِثْلِي يُذْخرُ الصَّبْرَ لِلأَسَى ... وإنْ أَبَتِ الأَحْزانُ والأَرْبُعُ الذُّرْفُ
وإنّي لأَرْضى ما قَضى اللّهُ لِي وَلَوْ ... عَبَدْتُ على حَرْفٍ لأَزْرَى بي الحرْفُ [4]
ولَمْ أَبْنِ حُسْنَ الظَّنِّ في سَيِّدِي عَلى ... شَفا جُرُفٍ هارٍ فَيَنْهارُ بِي الجَرْفُ [5]
ولَكِنْ دَعَوْتُ اللّهَ يَكْشِفُ كُرْبَتِي ... فَما كُرْبَةٌ إلاَّ ومِنْهُ لَها كَشْفُ
فَكَمْ بُسِطَتْ كَفٌّ بِسُوءٍ تُرِيدُنِي ... فَقالَ لَها الكافِي ألا غُلَّتِ الكَفُّ
وَكَمْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نابَهُ ... عَلَيَّ فَجاءَ المَوْتُ وانْصَرَفَ الصَّرْفُ [6]
وَلَمْ أَعْتَصِمْ باللّهِ إلاَّ وَمَدَّ لِي ... مَنَ البِرِّ ظِلاً في رِضاءٍ لَهُ وَكْفُ
وإنّي لَمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وفاقَتِي ... إليْهِ ومُسْتَقْوٍ وَإنْ كانَ بِي ضَعفُ
وفي الغَيْبِ لِلْعَبْدِ الضَّعِيفِ لَطائِفٌ ... بِها جَفَّتِ الأَقْلامُ وانْطَوَتِ الصُّحْفُ
فَكَمْ راحَ رَوْحُ اللّهِ في خَلْقِهِ وكَمْ ... غَدا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنّاظِرِ الطَّرْفُ
بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ الهَوا وبَنى السَّما ... طَرائِقَ فَوْقَ الأَرْضِ فَهْيَ لَها سَقْفُ
ومَنْ نَصَبَ الكُرْسِيَّ والعَرْشَ واسْتَوى ... على العَرْشِ والأَمْلاكُ مِن حَوْلِهِ حَفُّوا [7]
ومَنْ بَسَطَ الأَرْضِينَ فَهِيَ بِلُطْفِهِ ... لِحَيِّ بَنِي الدُّنْيا ومَيِّتِهِمْ ظَرْفُ
وأَلقى الجِبالَ الشُّمَّ فِيها رَواسِياً ... فَلَيْسَ لَها مِن قَبْلِ مَوْعِدِها نَسْفُ [8]

---

(1) فردية صمدية: إلٰهيَّة.
(2) اللجَّة: معظم الماء.
(3) الحتف: الموت والهلاك.
(4) حرف الشيء: حافته.
(5) الجرف: زاوية الجبل المنحدرة بشدة.
(6) صروف الدهر: مصائبه وحوادثه.
(7) الأملاك: الملائكة ـ حفّوا: أحاطوا.
(8) نسف الشيء: دمّره وأفناه.

وأَلْبَسَها من سُنْدُسِ النَّبْتِ بَهْجَةً ... مِنَ النورِ ما صَنْفٌ يُشابِهُهُ صَنْفُ (1)
وَسَخَّرَ من نَشْرِ السَّحابِ لَواقِحاً ... إذا انْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَحائِبُها الوَطْفُ (2)
وأَنْشَأَ من أَلْفافِها كُلَّ حَبَّةٍ ... بِهِ الأبُّ والرَّيْحانُ والحبُّ والعَصْفُ (3)
ويَعْلَمُ مَسْعى كُلِّ سارٍ وسارِبٍ ... وما أَعْلَنُوهُ من خَطاب وما أَخْفُوا
ويُحْصِي الحَصى والقَطْرُ والنَّبْتُ في الثَّرى ... والأحْقافُ عَدٌّ قَلَّ أَوْ كَثُرَ الحَقْفُ (4)
ويَدْرِي دَبِيبَ النَّمْلِ في اللَّيْلِ إنْ سَعَتْ ... وإنْ وَقَفَتْ ما أَمْكَنَ السَّعْيُ والوقْفُ
ووزْنِ جِبالٍ كَمْ مَثاقِيلَ ذَرَّةٍ ... وكَيْلُ بِحارٍ يُغِيِّضُها نَزْفُ (5)
وكَمْ في غَرِيبِ المُلْكِ والمَلَكُوتِ مِنْ ... عجائِبَ لا يُحْصِي لأَيْسَرِها وصْفُ
فَسُبْحانَ مَنْ إنْ هَمَّ وَهْمٌ يَقِيسُهُ ... بِكُفْءٍ وتَكْيِيفٍ يُلَجِّمُهُ الكَفُّ
ولَمْ تُحِطِ السِتُّ الجِهاتُ بِذاتِهِ ... فأَيْنَ يكُونُ الأَينُ والقَبْلُ والخَلْفُ
إلٰهي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وتَوَلَّنِي ... بِعفوٍ فإنَّ النائِباتِ لها عُنْفُ (6)
خَلَعْتُ عِذرِي ثُمَّ جِئْتُكَ عائِذاً ... بِعُذْرِي فإنْ لَمْ تَعْفُ عَنِي فَمَنْ يَعْفُو
وأَنْتَ غِياثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وكَهْفِي إذا لَمْ يَبْقَ لِي بَيْنَ الوَرى كَهْفُ
فَكَمْ صاحِبٍ رافَقْتُهُ لِيَكُونَ لِي ... رَفِيقاً فأَضْحى وهو بادِي الجَفا خُلْفُ
وماشَيْتُ من قَوْمٍ عَدُوٌّ صَدِيقُهُمْ ... إذا استُنْصِروا ذَلُّوا وإنْ وُزِنُوا خَفُّوا
طِباعُ ذِئابٍ في ثِيابٍ جَمِيلَةٍ ... بَصائِرُهُمْ عُمْيٌ قُلُوبُهُمْ غُلْفُ (7)
يَلُوحُ عَلَيْهِمْ لِلنِّفاقِ دَلائِلٌ ... وبِالحِكِّ يَبْدو الزَّيْفُ والذَّهَبُ الصِّرْفُ (8)
فَحُلْ سَيِّدي ما عِشْتُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ ... بِحَوْلِكَ حَتَّى يَخْضَعَ الفَرْدُ والأَلْفُ

(1) السندس: نوع من الديباج الرقيق.
(2) الوطف: نقول وطف المطر إذا هطل.
(3) الأب: المرعى ـ العصف: التبن.
(4) الحقف: المعوج من الرمل.
(5) يغيضها: نقول غاضت البئر إذا قلّ ماؤها وجفّت.
(6) أقلني عثرتي: أي اصفح عني وتجاوز عن زلّتي.
(7) غُلفُ: قاسية لا رحمة فيها ومغلّفَة.
(8) الصرف: الصافي الخالص.

وأَعْلِ مَقامِي وانْصُبِ اسْمِي بِخَفْضِهِمْ لِيُصْرَفَ كُلُّ اسْمٍ يَحِقُّ لَهُ الصَّرْفُ
لأَنَّـكَ مَـعْـرُوفِـي ومِـنْـكَ عَـوارِفِـي إذا اسْتُنْكِرَ المَعْرُوفُ وانْقَطَعَ العُرْفُ
وأَثْبِتْ بِنُورِ العِلْمِ والحِلْمِ منكَ لِي سَعَـادَةَ حَـظٍّ ما لِـمَـثْـبَـتِـهـا حَـذْفُ
وأَيِّدْ بِحَرْفِ الكافِ والنُّونِ حُجَّتِي ليسبقَ لِي من كُلِّ صالِحَةٍ حَرْفُ
وقُلْ فُزْتَ يا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ ومَغْفِرَةٍ في يَوْمَ المَلائِكُ تَصطَفُّ
وأَكْرِمْ لأَجْلِي مَنْ يَلِينِي وأَعْطِنا مِنَ النَّارِ أَمْناً يَوْمَ كُلٌّ لَهُ ضِعْفُ
وَصَلِّ على رُوحِ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ صَلاةً عَلاها النُّورُ وانْتَشَرَ العَرْفُ[1]
وأَزْواجِهِ والآلِ والصَّحْبِ ما انْثَنَتْ أَراكُ الحِمَى واسْتَطْرَبَ الإِبِلُ الزَّيْفُ[2]

118

قال بهاء الدين زهير واصفاً إحدى محبوباته:

تَعشَّقتُها مثلَ الغَزالِ الذي رَنا لهَا مُقْلَةٌ نَجْلا وَأَجْفانُها وُطْفُ[3]
إذا حَسَدوها الحُسنَ قالوا لَطيفَةٌ لقد صَدقوا، فيها اللّطافةُ وَالظّرْفُ
وَلم يَجحدوهَا مَا لَها مِنْ مَلاحَةٍ لعِلْمِهِمُ ما في مَلاحَتِها خُلْفُ[4]
بديعَةُ حُسنٍ رَقّ مِنها شَمائِلٌ وَراقَتْ إلى أن كادَ يَشرَبُها الطّرْفُ[5]
فلا الخُلقُ منها لا وَلا الخَلقُ جافياً وحاشا لهاتِيكَ الشّمائِلِ أن تَجفُو[6]
وما ضَرّها أنْ لا تَكونَ طَويلَةً إذا كانَ فيها كلُّ ما يَطلُبُ الإلْفُ
وَإنّي لَمَشْغُوفٌ بكُلّ مَليحَةٍ وَيُعجِبُني الخَصرُ المُخصَّرُ وَالرِّدفُ[7]

(1) العرف: الرائحة الطيبة.
(2) الأراك: نوع من الشجر يُستاكَ به.
(3) المقلة: العين ـ نجلا: نجلاء أي: قاتلة ـ وطف: كثرة شعر الحاجبين والجفون.
(4) الجحود: الإنكار عامةً، وإنكارُ المعروف خاصةً.
(5) الشمائل: الصفات.
(6) الجفاء: القسوة.
(7) المشغوف: هو من احترقت شغاف قلبه من الحب ولوعته، والشغاف: غشاء رقيق يحيط بالقلب.

119

قال ابن الفارض متحدثاً عن عشقه المقدَّس، ومبيِّناً ما يلاقيه من لوعة الحرمان:

قـلـبـي يُـحَـدّثُـنـي بـأنّـكَ مُـتْـلِـفـي، روحي فِداكَ، عرَفْتَ أمْ لـمْ تَعرِفِ[1]
لـم أقـضِ حَـقّ هَـوَاكَ إن كُـنـتُ الـذي لم أقضِ فيهِ أسًى، ومِثلي مَن يَفي[2]
ما لـي سـوَى روحـي، وبـاذِلُ نَـفسِـهِ، في حُبّ مَن يَهواهُ، ليسَ بمُسرِفِ[3]
فَلَئِنْ رَضِيتَ بهـا، فقد أسعفْتَنِي؛ يـا خَيبَةَ المسْعى، إذا لـم تُسْعِفِ!
يـا مـانِـعي طيـبَ الـمَنـامِ، ومـانِـحي ثـوبَ السّقامِ بهِ ووَجْدي المُتْلِفِ[4]
عَطفاً على رمَقي، وما أبْقَيْتَ لي مِنْ جِسميَ المُضْنى، وقلبي المُدنَفِ[5]
فـالـوَجْدُ بـاقٍ، والـوِصـالُ مُـمـاطِـلي، والـصَّـبـرُ فـانٍ، والـلّـقـاءُ مُـسَـوِّفـي
لم أخلُ مِن حَسَدٍ عليكَ، فلا تُضِعْ سَهَري بتَشنيعِ الخيَالِ المُرْجِفِ[6]
واسألْ نجومَ اللّيلِ: هل زارَ الكَرَى جَفني، وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ؟
لا غَرْوَ إنْ شَحّتْ بِغُمْضِ جُفونـها عيـني، وسَحّتْ بـالـدّموعِ الـذُّرَّفِ[7]
وبـمـا جـرَى فـي مَـوْقِـفِ الـتّـوديـعِ مِـنْ ألـمِ النّوَى، شاهدتُ هَوْلَ المَوْقِفِ[8]
إن لـم يـكُـنْ وَصْـلٌ لَـدَيْـكَ، فَـعِـدْ بِـهِ أمَلي، وماطِلْ، إنْ وَعَدْتَ، ولا تَفي
فـالـمَـطْلُ مِـنْكَ لَـدَيّ، إنْ عـزّ الـوَفـا، يحلو كَوَصْلٍ مِن حَبيبٍ مُسْعِفِ[9]

---

(1) متلفي: مهلكي.
(2) أقضي الأولى: أفي ـ والثانية: أهلك ـ الأسى: الحزن.
(3) بذل نفسه: وهبها.
(4) السقام: المرض ـ الوجد: الحزن.
(5) المضنى: المنهك ـ المدنف: المرض الشديد.
(6) التشنيع: اختلاق الأخبار الكاذبة ـ والمرجّف كذلك.
(7) الشح: البخل ـ السح: السَّيَلان ـ الذرَّف: مفردها ذارف: نقول ذرف دمعه إذا هطل وانسكب.
(8) النوىٰ: الفراق.
(9) المطل: التأجيل.

أهْفُو لأنفاسِ النّسيمِ، تَعِلّةً، ... ولوَجْهِ مَن نقَلَتْ شَذاهُ تشوُّفي[1]
فلَعَلّ نارَ جَوانحي بهُبُوبِها ... أنْ تَنطَفي، وأوَدّ أن لا تَنطَفي
يا أهْلَ وُدّي! أنتمُ أمَلي، ومَنْ ... ناداكُمُ يا أهْلَ وُدّي قد كُفي
عُودوا لِما كُنتمْ عليهِ من الوَفا، ... كَرَماً، فإنّي ذلِكَ الخِلُّ الوَفي
وحياتِكُمْ وحياتِكُمْ، قسَماً، وفي ... عُمري، بغيرِ حياتِكُمْ، لم أحْلفِ
لو أنّ رُوحي في يدي ووَهَبْتُها ... لمُبَشّري بِقُدومِكُمْ، لم أُنصِفِ
لا تحسَبوني، في الهوى، مُتَصَنّعاً، ... كَلَفي بِكُمْ خُلُقٌ بغيرِ تَكَلُّفِ[2]
أخفَيتُ حُبّكُمُ، فأخفاني أسًى، ... حتى، لعَمري، كِدتُ عني أختَفي
وكَتَمْتُهُ عَنّي، فلو أبدَيْتُهُ ... لَوَجَدْتُهُ أخفى مِنَ اللُّطْفِ الخَفي
ولقد أقولُ لِمَنْ تحَرّشَ بالهَوَى: ... عرّضْتَ نَفسَكَ للبَلا، فاستَهدِفِ
أنتَ القَتيلُ بأيّ مَنْ أحْبَبْتَهُ، ... فاخترْ لنَفسِكَ، في الهوى، مَن تصطفي
قُلْ للعَذولِ: أطَلْتَ لَوْمي، طامِعاً ... أنّ المَلامَ عنِ الهوَى مُستَوقِفي
دَعْ عَنكَ تَعنيفي، وذُق طعمَ الهَوىٰ، ... فإذا عَشِقتَ، فبعدَ ذلكَ عَنّفِ[3]
بَرَحَ الخفَاءُ بحُبّ مَن لو، في الدُّجى، ... سَفَرَ اللّثامَ، لقُلتُ يا بدرُ اختَفِ[4]
وإن اكتَفى غَيْري بطَيفِ خيَالِهِ، ... فأنا الّذي، بِوِصَالِهِ، لا أكْتَفي
وَقْفاً عَلَيْهِ محَبّتي، ولِمِحْنَتي، ... بأقلّ مِنْ تَلَفي بِهِ، لا أشْتَفي
وهَواهُ، وهْوَ ألِيّتي، وكَفَى بِهِ ... قَسَماً، أكادُ أُجِلّهُ كالمُصْحَفِ
لوْ قالَ تِيهاً: قِفْ على جَمْرِ الغَضا، ... لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلاً، ولم أتَوَقّفِ[5]
أوْ كانَ مَنْ يَرضَى، بخدّي، موْطِئاً، ... لوَضَعْتُهُ أرْضاً، ولم أسْتَنكِفِ[6]

---

(1) أهفو إليه: أميل إليه ـ التشوُّف: التطلّع والترقُّب.
(2) التكلّف: التصنُّع.
(3) التعنيف: التوبيخ والعتاب.
(4) سفر: كشف.
(5) الغضا: نوع من الشجر معروف بشدة اشتعاله وحرارته.
(6) استنكف: استكبر.

لا تُنكِروا شَغَفي بِما يَرْضَى، وإن   هو، بالوِصالِ، عليّ لم يَتَعَطّفِ
غَلَبَ الهوَى، فأطَعتُ أمْرَ صَبابَتي،   من حَيثُ فيه عَصَيتُ نَهْيَ مُعَنّفي (1)
مني لَهُ ذُلّ الخُضُوعِ، ومنهُ لي   عِزّ المَنُوعِ، وقوّةُ المُستَضْعِفِ
ألِفَ الصّدودَ، ولي فؤادٌ لم يَزَلْ،   مُذْ كُنْتُ، غيرَ وِدادِهِ لم يألَفِ
يا ما أُمَيْلَحَ كُلَّ ما يرْضَى بِهِ،   ورُضابُهُ، يا ما أحَيلاهُ بفي! (2)
لو أسمَعوا يَعقُوبَ ذِكْرَ مَلاحَةٍ   في وجهِهِ، نَسِيَ الجَمالَ اليوسُفي
أو لو رآهُ، عائِداً، أيّوبُ في   سِنَةِ الكَرَى، قِدماً، من البَلوَى شُفي (3)
كُلُّ البُدورِ، إذا تجَلّى مُقْبِلاً،   تَصْبُو إلَيهِ، وكُلُّ قَدٍّ أهيَفِ (4)
إنْ قُلتُ: عِندي فيكَ كُلُّ صَبابةٍ؛   قالَ: المَلاحةُ لي، وكُلُّ الحُسنِ في
كَمَلَتْ مَحاسِنُهُ، فلو أهدى السّنا   للبَدرِ، عِندَ تَمامِهِ، لم يُخسَفِ (5)
وعلى تَفَنّنِ واصِفيهِ بِحُسْنِهِ،   يَفنى الزّمانُ، وفيهِ ما لم يُوصَفِ
ولقد صرَفتُ، لحُبّهِ، كُلّي، على   يَدِ حُسْنِهِ، فحَمِدْتُ حُسنَ تصرُّفي
فالعينُ تَهْوَى صورَةَ الحُسْنِ، التي   روحي بها تَصبو إلى مَعْنًى خَفي
أسْعِدْ أُخَيَّ، وغَنّني بِحَديثِهِ،   وانثُرْ على سَمْعي حِلاهُ، وشَنّفِ (6)
لأرى بعينِ السّمعِ شاهِدَ حُسْنِهِ   معنًى، فأتحِفْني بذاكَ، وشَرّفِ
يا أُختَ سَعْدٍ، مِن حَبيبي، جئتني   برِسالَةٍ أدّيْتِها بتَلَطّفِ
فسَمِعْتُ ما لم تَسمَعي، ونَظرْتُ ما   لم تَنظُري، وعَرَفْتُ ما لم تَعرِفي
إنْ زارَ يوماً، يا حَشايَ تَقَطّعي،   كَلَفاً بهِ، أو سارَ، يا عينُ اذرِفي
ما للنَّوَى ذَنْبٌ، ومَنْ أهوَى مَعي،   إن غابَ عن إنسانِ عيني، فهْوَ في (7)

---

(1) الصبابة: شدّة الشوق.
(2) الرضاب: الريق العذب.
(3) السنة: النعاس ـ الكرى: النوم.
(4) صبا إليه: مال إليه ـ القدّ: القوام ـ الأهيف: من كان رقيق الخصر وضامر البطن.
(5) السنا: النور.
(6) حِلاه: ما يتزين به من حلِي ـ شنِّف: اجعل الشنف في أذني، والشنف ما يعلق في الأذن من الحلي.
(7) إنسان العين: ناظرها ـ فهو في: أي في قلبي.

120

قال ابن مليك الحموي متغزِّلاً وشاكياً من عَذلِ العُذَّال:

قَسَماً بِفَرْطِ تَلهُّبي وتَلَهُّفِي ... لأُخالفَنَّ على هواكَ معنِّفِي(1)
أيَلومُني حَسَداً عَلَيْكِ بِجهْلِهِ ... ليسَ العَذُولُ على هَواكِ بمُنصِفِي(2)
يَا رَائِشاً قَلبي بِنُبْلِ لِحَاظِهِ ... يَكْفِيكَ قَتْلي بالصَّقيْل المُرْهَفِ(3)
إنْ كانَ قَتليْ يرتضيْهِ صَبَابَةً ... دَعني أَمُوتُ جَوىً بغيرِ تَكلُّفِ(4)
أَوْ كانَ نفسُكَ حدَّثَتْكَ بِسَلْوَةٍ ... قَلبي يُحدِّثُني بِأَنَّكَ مُتلِفي(5)
يَا هَاجِري هَلْ وقفةٌ لِيْ رحمةً ... لَم أنْسَهَا لَكَ في غدٍ بالمَوْقِفِ
أَنَا فيكَ مُغرىً بالصَّبَابَةِ مُغْرَمٌ ... فلْيَدْرِ بي منْ لاَ دَرَى وليَعْرِفِ
رِفْقاً بِصَبٍّ في الغَرامِ متيَّمٍ ... مُضْنى حليف السُّقمِ عانٍ مُدنَفِ(6)
لا يَستَقِرُّ من البُكاءِ قَرارُهُ ... وَجْداً عَليْكَ ونَارُهُ لا تنطَفِي
وعلى نَواكَ فما لَهُ من مُسعِدٍ ... وعلى هَواكَ فَمَا لَهُ من مُسْعِفِ(7)
قُلْ للمعنِّفِ عَنْ هَواهُ بِجَهْلِهِ ... زِدْ من مَلامِكَ يَا عَذُولُ وعَنِّفِ
وَحَديثَ هَاتيكَ المناطقِ لِي أَعِدْ ... وبِذِكْرِ ذاكَ القِرْطِ سَمعِي شَنِّفِ(8)
من لي به ذهبيّ لو خده ... دِيْنَارُهُ عَن نَاظِرِي لَمْ يُصرَفِ
رُشَأٌ مُحيَاهُ يُريْكَ إذا انْثَنَى ... بَدْراً على غُصْنٍ بغيرِ تَكَلُّفِ(9)

---

(1) فرط الشيء: كثرته ـ التلهب: الاشتعال والتلظّي ـ التلهف: التشوُّق ـ المعنف: اللائم اللاحي.
(2) المنصف: العادل.
(3) النبل: السهام ـ اللحاظ: العيون ـ الصقيل المرهف: السيف المصقول والمحدَّد.
(4) صبابة: شوقاً وحباً ـ الجوى: اشتداد الوجد واللوعة من العشق.
(5) السلوة: النسيان ـ متلفي: مهلكي.
(6) الصب: العاشق المشتاق ـ مضنى، حليف السقم، عانٍ، مدنف: كلها بمعنى المريض العليل.
(7) نواك: بعدك.
(8) القرط: ما يُعلّق في شحمة الأذن من المصوغات والحلي ـ شنّفت المرأة: تزينت بالقرط.
(9) الرشأ: الغزال ـ المحيا: الوجه.

سَاقٍ عنِ المصْبَاحِ يُغني وَجْهُهُ ... وعنِ النَّديمِ بِقَولِهِ المسْتَظرَفِ
وَتنُوبُ عَن أَقْدَاحِهِ أحْدَاقُهُ ... والرِّيقُ مِنْهُ عن السُّلافِ القرقفِ[1]
فَكأنَّمَا اعتُصِرَ المُدَامُ بِثَغْرِهِ ... أو فيهِ أُودِعَ ذلِكَ السِّرُّ الخَفِي

121

قال الشاب الظريف شارحاً ما يعانيه من آلام العشق وذاكراً لرفاقه دروس الهوىٰ:

لا تُخْفِ ما صنَعَتْ بكَ الأشواقُ ... واشرحْ هواكَ فكلُّنا عُشَّاقُ
قد كان يَخفي الحبُّ لولا دمعك الـ ... ـجاري ولولا قلبُكَ الخفَّاقُ
فعسى يُعينُكَ مَنْ شكوْتَ له الهوى ... في حمله فالعاشقون رفاقُ
لا تجزعَنَّ فلستَ أوّلَ مُغْرمٍ ... فَتَكتْ به الوجنات والأحداق[2]
واصْبِرْ على هجر الحبيب فربّما ... عاد الوصالُ وللهوى أخلاقُ
كم ليلةٍ أسهرتُ أحدَاقي بها ... ملقىً وللأفكارِ بي إحداقُ[3]
يا ربِّ قد بَعُدَ الذين أُحبُّهمْ ... عنّي وقد ألفَ الرفاقَ فِراقُ
واسوَدَّ حظِّي عندهم لمّا سَرَى ... فيه بنارِ صَبابتي إحراقُ[4]
عُرْبٌ رأيتُ أصحَّ ميثاقٍ لهمْ ... ألاّ يصحَّ لديهمُ ميثاقُ
وعلى النياقِ وفي الأكلّةِ مُعْرِضٌ ... فيه نِفارٌ دائم ونفاقُ[5]
ما ناء إلاّ حاربتْ أردافهُ ... خَصْراً عليه من العيونِ نطاقُ[6]
ترنو العيونُ إليه في إطراقِهِ ... فإذا رنا فلكلّها إطراق[7]

---

(1) الأقداح: الكؤوس ـ الأحداق: العيون ـ السّلاف: الخمرة والمدام كذلك.
(2) الجزع: الخوف والفزع ـ الوجنات: مفردها وجنة وهي ما ارتفع من الخدين ـ الأحداق: العيون.
(3) الإحداق: الإحطاطة والحِصار.
(4) الصَّبابة: الشوق وحرارته.
(5) النياق: مفردها ناقة.
(6) النطاق: الحزام.
(7) رنا: أدام النظر مع سكون طرفه ـ أطرق: أمال رأسه إلى صدره ناظراً إلى الأرض دون أن يتكلم.

122

قال بهاء الدين زهير يتشوّق إلى مصرَ وإلى أهلها:

أَسَفِي على زمنِ التلاقي ... والعيشُ مُتَّسِعُ النِّطاقِ
ورداءِ عِزٍّ كنتُ أَرْ ... فُلُ في حواشِيهِ الرِّقاقِ[1]
أيامُ مِصْرٍ ليتَها ... فُدِيَتْ بأيامي البَوَاقي
وبجانبِ الفُسْطاطِ لي ... قمرٌ يَعِزُّ له فِراقي[2]
قمرٌ شَرِبْتُ له الفرا ... قَ المُرَّ بالكأْسِ الدِّهاقِ[3]
وأَرقتُ فيه دَمِي فكيـ ... ـفَ أُلامُ في دَمْعِي المُراقِ[4]
أحبابَنا ماذا لقيـ ... ـتُ من البِعادِ وما أُلاقي
لو تُشْرِفُونَ رأيْتُمُ ... مِنْ مِصْرَ نيرانَ اشتياقي
نَفَسٌ يُصَعِّدُهُ الجَوَى ... راقٍ وَدَمْعٌ غيرُ راقِ[5]
ما كنتُ أَصْبِرُ عنكُمُ ... لو كنتُ مُنْطلِقَ الوِثاقِ
ولقد تفضَّلَ طيفُكُمْ ... ليلاً وأَنْعَمَ بالتَّلاقي
وَسَرَى وباتَ مُضاجِعِي ... والليلُ مسدُولُ الرِّواقِ[6]
فقطعتُ أَنْعَمَ ليلةٍ ... ما بَيْنَ لَثْمٍ واعتناقِ
ثم انتبهتُ وَجَدْتُ إثْـ ... ـرَ الطِّيبِ في بُرْدَيَّ باقِ
ورأى العواذِلُ ليس وَجْـ ... ـهي من وجوهِهِمُ الصِّفاقِ
مُذْ كنتُ لم تكنِ الخيا ... نةُ في المحبةِ مِنْ خَلاقي

---

(1) رفل: جرَّ ذيلِ ثوبه متبختراً.
(2) الفسطاط: بيت يُتخذُ من الشعر أو مدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص.
(3) الكأس الدهاق: الممتلئة والمتابعة على شاربيها.
(4) المُراق: المسكوب.
(5) تصعَّدَ النَّفَس: صعُبَ مخرجُهُ ـ الجوىٰ: اشتداد الوجد من العشق.
(6) مضاجعي: النائم معي.

ولــقــد بــكَـيْــتُ ومــا بــكـيـ ـتُ مِــنَ الــريــاءِ ولا الــنِّــفــاقِ
بــرقــيــقــة الألــفــاظ تَــخْــ ـكـي الــدَّمْــعَ إلاّ فــي الــمَــذاقِ
لــم تَــدْرِ هــل نــطــقــتْ بــهــا الأ فــواهُ أم جَــرَتِ الــمــآقــي[1]
لَــطُــفَــتْ مــعــانــيــهــا وَرَقَّــ ـتْ والــحــلاوةُ فــي الــرِّقــاقِ
مِــصْــرِيَّــةٌ قــد زانَــهــا لُــطْــفــاً مُــجــاوَرَةُ الــعِــراقِ

123

قال ابن نباتة مادحاً السلطان الناصر:

طَيفٌ تَصيَّدتُهُ وَاللَّيْلُ محتبِكُ من حلية الشهب أو من شعره الحبكُ[2]
بَينَ الذَّوائِبِ تَمشي في حَبائِلِهَا يا حَبَّذا الظبيُ أو يا حبَّذا الشَرَكُ[3]
عَجِبْتُ من لائمٍ هَتكي على قَمرٍ الشَّمسُ منْهُ على الحيطانِ تَنهتِكُ[4]
محجبٌ لا يَراهُ العَاذلونَ وَلا أُصغي إليهِم وإنْ بَرُّوا وإنْ أفكُوا[5]
فليتَهُمُ نَظروهُ واستمعْتُ لهمْ وخَلَّصوني من جَفنيهِ واشْتَبَكُوا
أبكي وعَاذليَ التعبَانُ يَطلبني أسْلُوا فيأخُذُني من عقلهِ الضَّحِكُ[6]
وكَيفَ أسْلوا هوى بدرٍ رضيتُ بأنْ أشقى بهِ وهوَ في اللذَّاتِ مُنَهمِكُ
لو يعلمُ التُّركُ أهلوهُ بأنِّي قَدْ شبَّهتُهُ البدرَ ما أبقوا ولا تركُوا
أميرُ حسنٍ كما قُلنا أميرُ تقىً في الشَّامِ وَهوَ على شَهبائِهِ مَلكُ
سَيفُ الملوكِ وكافيهِمْ إذا مَنَحُوا يَومَ العَطاءِ وَيومَ البؤسِ إنْ فتِكُوا[7]

(1) المآقي: يقصد العيون.
(2) الطيف: الخيال ـ محتبك: مظلم.
(3) الشرك: المصيدة.
(4) الهتك: القيام بأعمال الضلالة دون مبالاه ـ تنهتك: تتمزق.
(5) أفكوا: كذبوا.
(6) أسلو عن الشيء: أنساه وأنشغل عنه.
(7) فتكوا: قتلوا وأهلكوا.

نَحيى بلُقياهُ أن نَفْنَى بِفُرقتِهِ كأنَّما نحنُ يا بحرَ النَّدى سَمَكُ
قالوا: امتَدِحْهُ فقلْتُ: العيُّ معذرةٌ قَالوا فَخُذْ من حُلاهُ الدَّرَّ ينسَلِكُ[1]
أمْدَاحُهُ مِن عَطَاه أَوْ فَضائِلهِ كأنَّ أمداحَهُ مِنْ تِبرِهِ سَبَكُوا[2]
ذُو الجودِ والبأسِ كَم يحيى بيّنةٍ من حيٍّ أو يهلكُ الأعدا بما هَلَكُوا
يَظنُّ من طَارَ خَوفاً من مَهابَتِهِ أنَّ النُّجومَ عليهِ في الدُّجى شَبَكُ
وفي النَّهارِ يرى خَيلاً يُضاعِفُها كأنَّ ظِلَّ المذاكي خَلفَها رمكُ
فالشَّامُ كالحَرَمِ المأمونِ طائرهُ فِيهِ الأماني وفيهِ البرُّ والنَّسكُ
نَعَمْ وفي حلبٍ فاضَتْ مَراضِعُها جَدوى خَوارِزمَ كالأنواءِ تَعتَرِكُ[3]
والغيثُ يَهمِلُ لا مَحْلٌ ولا سَغَبٌ والأمَنْ يَشمَلُ لا خوفٌ ولا دَرَكُ[4]
إنْ جَادَ فالمزنُ في العافينَ منسفحٌ أو جالَ فالدّمُ في العادينَ منسَفِكُ[5]
ودَولةُ الناصرِ السلطانِ زاهرةٌ وللسُّعودِ على أمصَارِهَا بركُ
كانَتْ عدى الملكِ كالثُّعبانِ فاصْطلحُوا وبَعضُهُمْ كَانَ كَالبرغُوثِ فانفرَكُوا
إذا تَفرْزَنَ في الطاغينَ بندقهُمْ فَرأسُهُ بِتُرابِ الحتْفِ يَنْمَعِكُ
كِسْرَى مِنَ الدولةِ الشهباءِ منكَسِرٌ قِدماً وقَيصَرُ بالتَّقْصِيْرِ مُرتَبِكُ
فالأمنُ يعمرُ مِنها فوقَ ما تَعِبُوا والرُّعبُ يَردعُ عَنها فوقَ ما فتكُوا
وَأنْتَ نجلُ ذوي مُلكٍ لخِدمَتِهِ قَدْ قدَّموا منهُ في الأرواحِ ما مَلَكُوا
أنتَ البداوةُ في التُّرك الأُولى نشؤوا مع الضَّراغِمِ في الأغيالِ تَشتَرِكُ[6]
خُيولُهمْ في الوغىٰ للبيضِ راكضةٌ وفي جِفانِ القِرَى كالبُدْنِ تَبترِكُ[7]

(1) العي: الوهن والضعف من المرض ـ الدُّرُّ: اللؤلؤ ـ ينسلك: ينتظم.
(2) التبر: الذهب.
(3) الأنواء: الأمطار الغزيرة.
(4) يهمل: يهطل ـ المحل: الجفاف. السغب: الجوع.
(5) انسفك وانسفح: سال وانسكب.
(6) الضراغم: الأسود، مفردها: ضرغام. الأغيال: مفردها غيل: الشجر الكثيف الملتف الذي يستتر فيه، أو موضع الأسد.
(7) الوغىٰ: الحرب ـ الجفان: الأواني التي تستعمل لطهو الطعام.

مـحمَّـرَةٌ فـي الـعَـطـا آلافُ مـا وَهَـبُـوا ... كـأنَّـهـم لـدِمِ الأكْـيـاسِ قـد سَـفَـكُـوا
يـا مَـنْ بـحـبـلِ ولاهُ أو مـواهـبِـهِ ... ومـن بـمسـكِ ثـنـاهُ فـازَ مُـمـتَـسِـكُ[1]
جبراً لـهـا مِـدْحَـةً لـولاكَ مـا انسلكَتْ ... نَـظـمـاً بـهِ سـارَ قـومٌ أيـة سَـلـكـوا
كَم مثلهَا قلتُ في رَوضِ الشَّبابِ وكم ... قد قـالَ غـيـري فـبـانَ الزهرُ والحَسَكُ
قَـصـرتُ نَـظـمـيَ إلاّ أنَّـهُ نـخـبٌ ... وَطـوّل الـنـاسُ إلاّ أنَّـهُـم لـبِـكُـوا[2]
ومَـا تَـقـضَّـتْ لـبَـانـاتٌ لـطـائـفـةٍ ... قَـالـتْ حلاوةُ ألفاظِـي لَقدْ عَلكُوا[3]
فـلـيُـعْـذِر الآنَ مـغـلـوبٌ بِـعـائِـلـةٍ ... ليسَ السُّكوتُ بِمجْدِيهِمْ وَلاَ الحَرَكُ
تـدورُ فـي أحـرفِ الألـفـاظِ هـامـتُـهُ ... ومـا يَـدُورُ عـلـى حَـرفٍ لـهـم حَـنَـكُ[4]
أمـوتُ حُـزنـاً إذا عـايـنـتُ حَـالـهـمُ ... ومـا بـيَ الـمـوت إلا هـذِهِ الـتـركُ
خَـلَّـصـتُ رزقـهـمُ مـن كـيـدِ كَـائـدِهِـمْ ... وغـبـتُ عـنـهُـمْ فـلا والـلَّـهِ مـا تـركُـوا
ولـي خُـصـومٌ ولـسْـتَ الآنَ شـاكِـيـهُـمْ ... لـكـنَّـهـمْ فـي غـدٍ يـدرونَ أيـنَ شـكُـوا
لا زالَ حَـظُّـكَ مِـنْ دُنـيـا وآخـرةٍ ... مـيـسـراً وحُـظُـوظُ الـنَّـاسِ تَـعْـتَـرِكُ[5]
يَـجـري بِـسـؤدُدِكَ الـوضـاحِ كـلُّ ثـنـاً ... كَـأنَّـمَـا هـوَ نـجـمٌ والـثَّـنَـا فَـلَـكُ[6]

124

قال صفي الدين الحلّي متغزّلاً:

غَـيـري بـحَـبـلِ سِـواكُـمُ يَـتَـمَـسَّـكُ، ... وأنـا الـذي بـتُـرابِـكُـم أتَـمَـسَّـكُ
أضَعُ الـخُـدودَ عـلـى مَـمَـرّ نِـعـالِـكـم، ... فـكـأنّـنـي بـتُـرابِـهـا أتَـبَـرّكُ
ولـقَـد بـذَلـتُ الـنّـفـسَ، إلاّ أنّـنـي ... خـادَعـتُـكـم، وبـذَلـتُ مـا لا أمـلِـكُ
شَـرطـي بـأنّ حُـشـاشـتـي رِقٌّ لـكـم، ... والشّـرْطُ في كلّ المَذاهبِ أملَكُ[7]

---

(1) ممتسك: متمسّك.
(2) لبكوا: اختلط عليهم والتبسوا وارتبكوا.
(3) اللبانات: مفردها لبانة، وهي الحاجة.
(4) الهامة: الرأس.
(5) تعترك: تتصارع.
(6) السؤدد: السيادة.
(7) الحشاشة: بقية الروح في جسد المريض.

قد ذقتُ حبَّكمُ، فأصبَحَ مُهلكي، ومِنَ المَطاعِمِ ما يُذاقُ فيُهلِكُ[1]
لا تَعجَلوا قَبْلَ اللّقاءِ بقتلَتي، وصِلُوا، فذلكَ فائِتٌ يُستَدرَكُ[2]
ولقد بكيتُ لدَهشتي بقدومِكُم، وضَحكتُ قبلُ وهجرُكم لي مُهلكُ
ولربّما أبكى السُّرورُ إذا أتى فَرطاً، وفي بعضِ الشّدائِدِ يُضحكُ
زَعَمَ الوُشاةُ بأنْ هَويتُ سِواكُمُ، يا قُوتِلَ الواشي، فأنّى يُؤفكُ[3]
عارٌ عليَّ بأنْ أكونَ مُشَرِّعاً دينَ الهَوى، ويُقالُ إنّي مُشرِكُ

125

قال البرعي مادحاً الحبيب المصطفى ﷺ:

لاقَيْتِ يا نَفْسُ حَقاً ما حَكى الحاكِي فامْضِي لِشَأنِكِ إنِّي لَسْتُ أَلْحاكِ[4]
واسْتَعْذِبِي غُصَصَ التَّعْذِيبِ راضيَةً وحَكِّمِي الحُبَّ عَلَّ الحِبَّ يَرْعاكِ
واسْتَنْظِري فُرَصَ الأَيَّامِ عائِدَةً واستَعْمِلِي الصَّبْرَ وارْعِي تَرْكَ شَكْواكِ
عَساكِ إنْ مُتِّ في ذِكْراكَ مِتِّ على شَهادَةِ الحَقِّ حَيْثُ الحَقُّ يَلْقاكِ
وَاللَّهِ لَوْلا أمانِيٌّ تُجاذِبُني عَهْدِ قَدِيمِ كُنْتُ أَنْعاكِ[5]
أغْفَلْتِ مِنْ غَفَلاتِ الدَّهْرِ أونَةً آوَتْ مِنَ الجيرَةِ الغادِينَ مَثْواكِ[6]
أيامَ لَيْلى بِوادِي السِّدْرِ نازِلَةً مُقِيمَةً خِدْرَها المَضرُوبَ يُمْناكِ[7]
والعَيْش أَخْضَرُ والأَيَّامُ مُشْرِقَةٌ وعَيْنِ رَبِّ الهَوى العَذْرِيِّ تَرْعاكِ

(1) المطاعم: الطعام.
(2) يُستدرك: أي تستطيعون فعله فيما بعد الوصل.
(3) يؤفك: نقول: أفك فلان إذا كذب وافترى
(4) ألحاك: ألومك وأعذلك.
(5) أنعاك: أذيع خبر موتك.
(6) المثوى: مكان الإقامة.
(7) الخدر: كلُّ ما واراك من بيت أو غيره ـ أو هو ستر يمد للمرأة في ناحية البيت.

وَنَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَتْفِي ولَيْسَ لَها ... شاكٍ لأنِّي أنا المَشْكُوُّ والشَّاكِي[1]

رُدِّي بَقِيَّةَ رُوحٍ فاتَ مِن رَمَقِي ... يا شَمْسَ حُسْنٍ بَدَتْ من بُرْجِ شُبَّاكِ

وارْثِي لِقَلْبِي بِما في سِحْرِ عَيْنِكِ من ... حَبائِلٍ مُرْصِداتٌ لِي وأَشْراكِ

وبَيْنَ سَفْحِ جِيادٍ فالمَسِيلِ إلى ... دارِ الأَمِيرِ عَرُوسٌ نُورُها زاكِي

سَحَّارَةُ الطَّرْفِ تَرْمِي من لَواحِظِها ... حَبَّ القُلُوبِ بإحْياءٍ وإهْلاكِ[2]

خُذِي بِحَقِّكِ من عَيْنَيْكِ لِي خَفَراً ... حِتفاً فعائِفَتِي عَيْناكِ عَيْناكِ

وساعِدِينِي على التَّقْبيلِ مُغْتَنِماً ... فَما الَّذِكَ تَقْبِيلاً وأَحْلاكِ

فَكَمْ وَدِيعَةِ شَوْقٍ لِي إلَيْكِ مَضَتْ ... قَدْ كُنْتُ يَوْمَ النَّوى أَوْدَعْتُها فاكِ

عَواطِلُ السَّرْبِ تَرْعى في الخُزامِ ومَا ... ترعى القُلوبُ فَدَتْكَ النَّفسُ إلاكِ[3]

يا لعبةَ اللَّهِ كُلُّ القَصدِ أَنْتَ وَما ... يَحِنُّ ذُو شَجَنٍ إلاَّ لِذِكْراكِ

صَفَتْ صِفاتُكِ لِلْعُشَّاقِ وابْتَهَجَتْ ... أَنْوارُ حُسْنِكِ مِنْ أَنْوارِ حُسْناكِ

خَلْفَ الخِمارِ جَمالٌ منكِ خامَرَهُ ... حُسْنٌ بَدِيعٌ مَحانِي في مُحَيَّاكِ[4]

ودُونَ سِتْرِكِ سِرٌّ في طَلائِعِهِ ... نُورٌ كَبَهْجَةِ نُورِ الشَّمسِ غَشَّاكِ

ورَوْضَةٌ من رِياضِ الخُلْدِ قَدْ مُلِئَتْ ... مِنَ الجَمالِ حَواها منكِ رُكناكِ

وثَمَّ رَوْحٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ مُنْتَفِخٌ ... في الجِسْمِ يَعْبَقُ من رَيَّاهُ رَيَّاكِ[5]

وفي الشَّاهِدِ آياتٌ مُبَيَّنَةٌ ... تُنْبِي شَواهِدُها عن فَضْلِ مَعْناكِ

ما يَمْلأُ العَيْنَ من حُسْنٍ ومِنْ حَسَنٍ ... ويَشْرَحُ الصَّدْرَ إلاَّ حُسْنَ مَرْآكِ

كَمْ من قَتِيلِ الهَوى العَذْرِيِّ أَحْسِبُهُ ... لا يَسْتَفِيقُ بِشَيْءٍ غَيْرِ لُقْياكِ

وكَمْ مَنْ أَفْنى اللَّيالي نِضْوُ صَبْوَتِهِ ... ما طابَ نَفْساً بِغَيْرِ حِينَ وافاكِ[6]

حَيَّاكِ ربِّي عَنِّي كلَّ آوِنَةٍ ... بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ حَيَّاكِ حَيَّاكِ

---

(1) حتفي: هلاكي.

(2) الطرف: العين ـ اللواحظ: العيون حبّة القلب: مهجته وسويداؤه.

(3) العواطل من الإبل: التي تركها صاحبها بلا راعٍ يرعاها ـ السَّرب: الماشية كلها.

(4) خامره: خالطه ـ المحيَّا: الوجه.

(5) الرَّيَّا: الريح الطيبة.

(6) نضو الصبوة: المُجْهَدُ منها ـ والصبوة: الميل إلى اللهو.

وجادَ طَيْبَةَ صَوْبُ المُزْنِ مُنْسَجِماً ... تَثُجُّهُ مُعْصِراتٌ ذاتُ أَحْلاكِ[1]
حَيْثُ النُّبُوَّةُ مَضْرُوبٌ سُرادِقُها ... والحَقُّ يَزْهُو بِسامِي النُّورِ سيماكِ
وحَيْثُ طَهَّرَ من الأَقْطارَ قاطِبَةً ... بالسَّيْفِ من كلِّ ذِي بَغْيٍ وإشراكِ
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ السَّاداتِ مِنْ مُضَرٍ ... حامِي الحِمى فَرْعُ أَصْلٍ طَيِّبٍ زاكِي
هدايَةُ اللَّهِ في شامٍ وفي يَمَنٍ ... وخِيرَةُ اللَّهِ مِنْ رُسْلٍ وأَمْلاكِ
مُهَذَّبٌ قُرَشيٌّ الأَصْلِ يَشْرُفُ عَنْ ... حامٍ وسامٍ وعَنْ رُومٍ وأَتْراكِ
مُسْتَجْمَعُ الحُسْنِ والإحْسانِ والكَرَمُ الـ ... فَيَّاضُ فاضٍ فَلَمْ يُعْرَفْ بإمْساكِ[2]
لِسانُهُ الوَحْيُ والتَّنْزيلُ مُعْجِزَةٌ ... يُنْسِكُ عُجْمَةَ قِبْطِيٍّ وأَنْطاكِي
مُعْطِي الحُقُوقَ لِمَنْ والَى وقاطِعُ مَنْ ... عادى وعانَدَ منهُمُ قِطْعَ فَتَّاكِ
طَلْقُ المُحَيَّا لِكُلِّ النَّازِلينَ بِهِ ... وفي الكَريهَةِ حَتْفُ الفارِسِ الشَّاكِي[3]
غَضبانَ تَحتَ ظِلالِ السُّمْرِ مُمْتَلِئاً ... بأْساً وعِنْدَ عُبُوسِ الدَّهْرِ مِضْحاكِ
وراسِخُ العِلْمِ والصَّفْحِ الجَميلِ إذا ... يُرْجى ولَيْسَ لِذِي سِتْرٍ بِهَتَّاكِ[4]
جَلالَةٌ مُلِئَتْ جُوداً ومَرْحَمَةً ... عَنْ ماجِدٍ لِدَمِ الطَّاغِينَ سَفَّاكِ[5]
أَغْنى وأَفْنى وأَحْيا دِينَ أُمَّتِهِ ... بِصَولَةٍ بَثَّها في كُلِّ مِعْراكِ[6]
والحَرْبُ قامَتْ على ساقٍ بِهِ وسَمَتْ ... إذا قامَ مُنْتَقِماً من كُلِّ أَفَّاكِ[7]
فاتُوا فأَدْرَكَهُمْ بالسَّيْفِ مُنْتَصِراً ... فَما يَفِيقُونَ من فَوْتٍ وإدْراكِ
نِكايَةً لَمْ تَدَعْ لِلْمُشْرِكِينَ يَداً ... تَعْلُو وما كُلُّ مَنْ يَبْغِي العُلا ناكِي[8]
يا سَيِّدي يا رَسُولَ اللَّهِ يا أَمَلِي ... يا راحَةَ الرُّوحِ من ضَيْمٍ وإضْناكِ[9]

---

(1) الصوب: المطر ـ المزن: الغيوم الماطرة ـ تثجه: تصبُّه.
(2) الإمساك: المنع والبخل.
(3) الكريهة: الحرب.
(4) هتّاك: نقول: هتك السر إذا أذاعه ونشره.
(5) سفّاك: سفّاح.
(6) المعراك: المعركة.
(7) الأفّاك: الكذاب الذي يزرع الفتنة.
(8) نكاية: نقول: نكى في العدو إذا أوقع به وهزمه وغلبه.
(9) الضيم: الظلم ـ الضنك: ضيق العيش والشدّة.

نـاداكَ مـن بُـرَعِ الـغَـرَّاء قـائِـلُـهـا   عَبْدُ الرَّحيمِ المُسِيءُ الخائِفُ الباكِي
أَملَيْتُها فيكَ من بُعْدٍ ولَسْتُ بِها   بِغَيْرِ عُرْوَتِكَ الوُثْقى بِمَسَّاكِ
إذا لَمْ أَكُنْ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعاً   ولا لِمَنْهَجِ زَلاَّتِي بِتَرَّاكِ
ولا مِنَ الجَهْلِ والعِصْيانِ مُمْتَنِعاً   ولا بِنَسْكِ أُولي التَّقْوى بِنَسَّاكِ
فاجْعَلْ جَزائِي عَلَيْها كُلَّ مَكرَمَةٍ   مِنْ أَنْعُمٍ لا قَناطِيرَ وأَلكاكِ[1]
والْبِسْ شِعارَ صَلاةِ اللَّهِ دائِمَةً   مُمْتَدَّةً مَرَّ أعصارٍ وأَفْلاكِ

126

استهلَّ شرف الدين الأنصاري مِدحتهُ للناصر بن العزيز بأبياتٍ يتغزل فيها فقال:

رِفْقاً بِرُوحي فَهْيَ لَكْ   وعلى السَّخِيِّ بِما مَلَكْ[2]
أَفْضِلْ بِحَقِّ مَنِ اصْطَفا   كَ على المِلاحِ وفَضَّلَكْ[3]
وكَأَنَّ ربَّكَ في الجَما   لِ على اقتراحي مَثَّلَكْ[4]
أَحْظاكَ منه بِمَنْصِبٍ   سَوَّاكَ فيهِ وعَدَّلَكْ
مَنْ فَرَّ مِنْ ذُلِّ السُّؤا   لِ فَعِزَّتي أَنْ أَسْأَلَكْ
إنْ تَحْمِ طَرْفِي أَنْ يَرا   كَ جَعَلْتُ قلبي مَنْزِلَكْ
إنِّي أَغارُ إذا الأرا   كُ دَنا إليكَ فَقَبَّلَكْ[5]
وَيَرُوعُني واشي النَّسِيـ   مِ إذا ثَناكَ ومَيَّلَكْ
ما أَقْبَحَ الصَّبْرَ الجَمِيـ   لَ بِعاشِقِيكَ وأَجْمَلَكْ!

---

(1) ألكاك: جمع اللَّكُّ وهو عدد مقداره مائة ألف عند أهل إيران والهند واليمن، وعشرة ملايين عند المولَّدين.
(2) السخي: الكريم الجواد.
(3) اصطفاك: اختارك.
(4) مثلك: شكّلك.
(5) الأراك: نوع من الشجر يستخدم لتنظيف الأسنان.

127

قال ابن مليك الحموي متغزلاً:

أطالَ اللَّهُ يا مولايَ عُمرَكْ ... وعَظَّم في قتيلِ البحر أجرَكْ
حبيبي إنْ يكُنْ يُرضيْكَ قَتلي ... فَيَا بُشْرايَ ذا إنْ كانَ سَرَّكْ
حبيبي لي بِسَيفِ اللَّحظِ فاقتُلْ ... فمَا أنَا مَنْ يخالِفُ قَطُّ أمرَكْ[1]
حبيبي مَنْ أبَاحَ لديْكَ هَجري ... ومن هذا الَّذي بِاللَّهِ غَرَّكْ[2]
حبيبي إنْ يكُنْ مِنْ خوفِ واشٍ ... جفاكَ فقد قبلتُ اليومَ عُذرَكْ[3]
حبيبي لو خَيَالٌ منكَ وَافَى ... وجُدْتَ بِزَورَةٍ مَا كانَ ضَرَّكْ[4]
حبيبي اليومَ ما أقْسَاكَ قَلبَاً ... على مُضنى الهَوى وأرَقَّ خَصْرَكْ
حبيبي إنْ يَكُنْ سُكْنَاكَ قَلبِي ... فَإِنَّكَ يُوسُفٌ وسَكَنْتَ قَصْرَكْ
حبيبي فَيْكَ أغْراني عَذُولي ... وَحَذَّرَني صُدُودَكَ لي وَهَجْرَكْ[5]
وقَالَ: تَسَلَّ واصْبِرْ تَلْقَ خَيْراً ... فَقُلتُ: كَفَاني الرحمٰن شرّكْ

128

قال ابن الفارض واصفاً لوعته وصبابته واشتداد وجده لحبيبه المقدَّس:

هوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهوَى سَهْلُ ... فَما اختارَهُ مُضنًى بهِ، وَلَهُ عَقْلُ[6]
وَعِشْ خالياً، فالحُبّ راحَتُهُ عَناً، ... وأوّلُهُ سُقْمٌ، وآخِرُهُ قَتلُ[7]

---

(1) اللحظ: النظر بمؤخر العين مما يلي الصدغ أو العين مطلقاً..

(2) غرَّك: خدعك.

(3) الجفىٰ: القسوة والتمنُّع.

(4) الزورة: المرَّة من الزيارة.

(5) الصدود: الابتعاد، ضد الوصال.

(6) المضنىٰ: المريض.

(7) العنا: العناء ـ السقم: المرض.

ولكنْ لَديّ المَوْتُ فيهِ، صَبابَةٌ، حَياةٌ لمَن أهوَى، عليّ بها الفَضْلُ[1]
نَصَحْتُكَ عِلماً بالهوَى، والذي أرى مُخالَفتي، فاختَرْ لنَفسِكَ ما يحْلو
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ به شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حُبّهِ لم يَعِشْ به، ودونَ اجتناءِ النّحلِ ما جنتِ النّحلُ[2]
تَمَسّكْ بأذيالِ الهوَى، واخلَعِ الحيا، وخَلّ سَبيلَ النّاسكينَ، وإن جَلّوا
وَقُلْ لقَتيلِ الحبّ: وَفّيتَ حَقّهُ، وللمدّعي: هيهاتِ ما الكَحَلُ الكَحْل[3]
تعرّضَ قومٌ للغرامِ، وأعرَضوا، بجانبهِمْ، عن صِحّتي فيه، واعتَلّوا[4]
رَضُوا بالأماني، وَابتَلوا بحظُوظِهِم، وخاضُوا بحارَ الحبّ، دعوَى، فما ابتلّوا
فَهُمْ في السُّرَى لم يَبرَحوا من مكانهم وما ظَعَنوا في السّيرِ عنه، وقد كَلّوا[5]
عن مَذهَبي، لمّا استَحَبّوا العمى على الـ ـهُدى حَسَداً من عِندِ أنفُسِهم ضَلّوا
وأحِبّةَ قَلبي، والمَحَبّةُ شافِعي لدَيكُمْ، إذا شِئتُمْ بها اتّصَل الحبلُ
عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَلَيّ بِنَظرَةٍ، فقد تَعِبَتْ بَيني وبَينَكُمُ الرُّسْلُ
أحِبّايَ أنتُمْ، أحسَنَ الدّهرُ أم أسا، فكونوا كما شِئتمْ، أنا ذلكَ الخِل[6]
إذا كانَ حَظّي الهَجرَ منكم، ولم يكن بِعادٌ، فذاكَ الهجرُ عندي هوَ الوَصْلُ
وما الصّدّ إلاّ الوُدّ، ما لم يكنْ قِلًى، وأصْعَبُ شيءٍ غَيرَ إعراضِكم سَهلُ[7]
وتَعذيبُكُمْ عَذبٌ لدَيّ، وجَوْرُكم عليّ، بما يَقضي الهَوَى لكُمُ، عدلُ
وَصَبريَ صَبرٌ عنكُمُ، وعلَيْكُمُ، أرى أبداً عِندي مَرارَتَه تَحْلُو
أخَذتُم فؤادي، وهوَ بَعضي، فما الذي يَضُرّكُمُ لو كانَ عِندَكُمُ الكُلّ

---

(1) الصبابة: الشوق وحرارته.
(2) جنت: ارتكبت جناية ويقصد بها اللسع.
(3) الكَحل: العيون الكحيلة خلقة.
(4) اعتلُّوا: وضعوا الحُجَجَ والعِلَلَ ليبرِّروا فشلهُم.
(5) السُّرىٰ: السير ليلاً ـ ظعنوا: ارتحلوا ـ كلُّوا: عجزوا وتعبوا.
(6) أسا: أساء.
(7) الصَّدُّ: الابتعاد والمنع ـ القلى: البغض والهجر.

نأيتمْ، فغَيرَ الدّمعِ لم أرَ وافياً، ... سوى زَفرَةٍ، من حرّ نارِ الجوَى، تغلو (1)

فسُهديَ حَيٌّ، في جُفوني، مُخَلَّدٌ، ... ونَومي بها مَيتٌ، ودمعي له غُسْلُ (2)

هَوًى طَلّ ما بَينَ الطّلولِ دمي فمن ... جُفوني جرى بالسّفحِ من سَفحِه وَبلُ (3)

تَبالَهَ قَومي، إذ رأوني مُتَيَّماً، ... وقالوا: بمن هذا الفتى مَسّه الخَبْلُ (4)

وماذا عسَى عنّي يُقالُ سِوى غَدا، ... بنُعم، له شُغلٌ، نعَم لي بها شُغلُ

وقالَ نِساءُ الحَيّ: عَنّا بذِكرِ مَنْ ... جَفانا، وبعدَ العِزّ لَذّ لَه الذّلّ

إذا أنعَمَتْ نُعْمٌ، عليّ بنَظْرَةٍ، ... فلا أسعدتْ سعدَى ولا أجملتْ جُملُ

وقد صَدِئَتْ عَيني برُؤيةِ غَيرِها، ... ولَثمُ جُفُوني تُربَها للصَّدا يجلو (5)

وقد عَلِمُوا أنّي قَتيلُ لِحاظِها، ... فإنّ لها، في كلّ جارحَةٍ، نَصْلُ (6)

حَديثي قَديمٌ في هواها، وما لَهُ ... كما عَلِمتْ، بَعْدٌ، وليسَ لها قبلُ

وما ليَ مِثلٌ في غَرامي بها، كمَا ... غَدَتْ فِتْنَةً في حُسنِها، ما لها مِثلُ

حَرامٌ شِفا سُقْمي لديها، رضيتُ ما ... به قسمَتْ لي في الهوَى، ودمي حِلّ

فحالي وإنْ ساءَتْ فقد حَسُنَتْ بهِ، ... وما حطّ قدري في هواها به أعْلو

وعُنوانُ ما فيها لقيتُ، وما بهِ ... شَقيتُ، وفي قولي اختَصَرْتُ وَلَمْ أغل (7)

خَفيتُ ضَنًى، حتى لقد ضَلّ عائدي، ... وكيفَ ترَى العُوّادُ مَن لا له ظِلّ (8)

وما عَثَرَتْ عَينٌ على أثَري، ولم ... تَدَعْ ليَ رَسماً في الهوى الأعينُ النُّجلُ (9)

ولي هِمّةٌ تَعلو، إذا ما ذَكَرْتُها، ... وروحٌ بذِكراها، إذا رَخُصَتْ، تغلُو

---

(1) نأيتم: بعدتم - الزفرة: المرّة من الزفير.

(2) السهد: السهر والأرق، وعدم القدرة على النوم.

(3) طلَّ دمُ القتيل: هَدَرَ وبَطلَ ولم يثأر له ولم تؤخذ ديته - الطلول: مفرده طلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار - سفح الجبل: بداية ارتفاعه - الوبل: المطر الغزير.

(4) الخبل: الجنون.

(5) جلا الصدأ: أزاله ونظّفه.

(6) اللحاظ: مفرده لحظ وهو مؤخر العين مما يلي الصدغ، وقصد به العين.

(7) لم أغل: لم أبالغ، والمغالاة في الشيء المبالغة وتجاوُز الحد.

(8) الضنى: المرض - العائد: الزائر عند المرض.

(9) النجل: نقول نجلت العين اتسعت، وتأتي بمعنى قتلت.

جَرَى حُبّها مَجرَى دمي في مَفاصِلي، فأصْبَحَ لي، عن كلّ شُغلٍ، بها شغلُ
فنافِس ببَذلِ النّفسِ فيها أخا الهوَى، فإن قَبِلَتْها منكَ، يا حَبّذا البَذلُ[1]
فمَن لم يجُدْ، في حُبّ نُعْم، بنفسِه، ولو جادَ بالدّنيا، إليهِ انتهَى البُخلُ
ولَولا مراعاةُ الصّيانَةِ، غَيْرَةً، ولَو كَثُرُوا أهلُ الصّبابةِ، أو قلّوا[2]
لقُلتُ لِعُشاقِ الملاحةِ: أقبِلوا إليها، على رأيي، وعن غيرِها ولّوا
وإن ذُكرَتْ يَوْماً، فخُرّوا لذِكرِها سُجوداً، وإن لاحتْ، إلى وجهها، صَلّوا
وفي حُبّها بِعتُ السّعادَةَ بالشّقا، ضَلالاً، وعَقلي عن هُدايَ، به عقلُ[3]
وقُلتُ لرُشْدي والتّنَسّكِ، والتّقَى: تخَلَّوا، وما بَيني وبينَ الهوَى خَلّوا[4]
وفَرّغْتُ قلبي عن وجوديَ، مُخلِصاً، لَعَلّيَ في شُغلي بها، مَعَها أخلُو
ومِن أجلِها أسعى لِمَنْ بَينَنا سَعى، وأغدو، ولا أغدو لمَنْ دأبُهُ العَذْلُ
فَأرتاحُ للواشينَ بَيني وبَيْنَها، لِتَعْلَمَ ما ألقَى، وما عندَها جَهلُ[5]
وأصْبو إلى العُذّالِ، حُبّاً لذِكرِها، كأنّهُمُ، ما بَينَنا في الهَوَى، رُسْلُ[6]
فإنْ حَدّثوا عَنها، فكُلّي مَسامعٌ، وكُلّيَ، إن حَدّثتُهُمْ، ألسُنٌ تَتلُو
تَخالَفَتِ الأقوالُ فينا، تبايُناً، برَجْمِ ظُنونٍ بَينَنا، ما لها أصلُ[7]
فشنّعَ قومٌ بالوِصالِ، ولم تَصِلْ؛ وأرْجَفَ بالسّلوانِ قَومٌ، ولم أسلُ[8]
فما صَدقَ التّشنيعُ عنها، لشِقْوَتي، وقد كذبَتْ عني الأراجيفُ والنّقْلُ
وكيفَ أُرَجّي وَصْلَ مَن لو تَصَوّرَتْ حِماها المُنى، وهْماً، لضاقتْ بها السُّبلُ
وإن وَعدَتْ لم يَلحَقِ الفِعلُ قَوْلَها؛ وإن أوْعدَتْ فالقولُ يَسبُقُهُ الفِعلُ[9]

---

(1) البذل: العطاء.
(2) الصبابة: الشوق وحرارته.
(3) العقل: الربط والمنع.
(4) تخلوا: ابتعدوا جانباً ـ خلُّوا: دعونا وشأننا.
(5) أرتاح له: أضع سرّي عنده.
(6) أصبو: أشتاق.
(7) رجم الظنون: التحدث بالظن.
(8) التشنيع والإرجاف: اختلاق الأخبار الخادعة.
(9) أوعد: هدّد.

عِدينـي بِـوَصْـلٍ، وامْـطُـلـي بِـنَـجـازِهِ، فعِندي، إذا صَحّ الهوَى، حسُن المطلُ[1]
وحُرْمةِ عَهْدٍ بينَنا، عنهُ لم أحُلْ، وعَـقْـدٍ بـأيْـدٍ بـيـنَـنـا، مـا لـهُ حَـلّ
لأنتِ، على غَيظِ النّوَى ورِضَى الهوَى، لدَيّ، وقلبي ساعَةً منكِ ما يخلُو
تُرَى مُقلتي يوماً تَرَى مَن أحبّهمْ، ويَعتِبُني دَهْري، ويجتمِعُ الشّملُ[2]
وما برِحوا مَعنًى أراهُمْ مَعي، فإنْ نأوا صورَةً، في الذّهنِ قامَ لهُم شكلُ
فهم نَصْبُ عيني، ظاهراً، حيثُما سرَوا، وهُم في فُؤادي، باطِناً، أينما حلّوا
لـهُـمْ أبـداً مِـنـي حُـنُـوٌّ، وإنْ جَـفَـوْا؛ ولي أبَداً مَيلٌ إلَيهِمْ، وإنْ مَلّوا[3]

129

قال صفي الدين الحلي متغزلاً وواصفاً ما يلاقيه من الوجد:

لـيـس لـلـصَّـبِّ عـن هـواكَ عُـدولُ فـلـمـاذا يـلـحُّ فـيـكَ الـعـذولُ[4]
كـيـف أسـلـو وسـابـقـاتُ دموعـي فـي مـيـاديـن وجـنـتـيَّ تـجـولُ[5]
أأرومُ الـسُّـلُـوَّ عـنـك وخـصـمـي عـارضٌ سـائـلٌ وخـدٌّ أسـيـلُ[6]
إن أطعتُ السُّلوَّ في عِصياني جَـلَـدٌ مُـسـعـدٌ وصَـبـرٌ جـمـيـلُ[7]
أيُّـهـا الـمـخـلـفُ الـوعـودَ إلـى كـم مـربـعِ الأُنـسِ مـن وفـاكَ مـحـيـلُ[8]
جُـد فـقـد ذقـتُ فـي هـواك عـذابـاً لـم يـذقْـهُ كـثـيـرٌ وجـمـيـلُ
قـسـمـاً بـانـسـكـارِ جـفـنِـكَ والـخـصـرِ ووعـدِ الـرِّضَـى وكـلٌّ عـلـيـلُ
لـم أطِـعْ لائـمـي عـلـيـكَ ولـم أعْـصِ غـرامـي ولـي شـهـودٌ عُـدولُ[9]

---

(1) المطل: التأجيل. (2) المقلة: العين.
(3) الحنوُّ: العطف والميل ـ جفا: قسا وذهبت منه الرحمة واللّين.
(4) الصب: المشتاق ـ عدول: رجوع وابتعاد ـ العذول: اللائم.
(5) أسلو: أنسىٰ وأنشغل ـ وجنتيَّ: مفردها وجنة وهي ما ارتفع من الخد.
(6) أروم: أطلب ـ العارض: صفحة الخد أو الثنيَّة من الأسنان ـ أسيل: ناعم.
(7) الجَلَد: الصبر والتحمُّل.
(8) محل الربع: أصابه القحط والجفاف.
(9) عدول: ثقات.

مَـدمـعٌ مـطـلـقٌ وقـلـبٌ أسـيـرٌ وضـنـىً ظـاهـرٌ وداءٌ دخـيـلُ[1]
وجـفـونٌ عـن الـرقـادِ قِـصـارٌ ولـيـالٍ بـهـا الـسُّـهـادُ طـويـلُ

130

قال عفيف الدين التلمساني متغزّلاً:

شَـهِـدَتْ شَـمـائِـلَـكَ الـشَّـمـولُ فَـغَـدَتْ مَـعَـاطِـفُـهَـا تَـمِـيْـلُ[2]
وَصَـبَـتْ بِـمـغـنَـاكَ الـصَّـبَـا فـلِـذَا الـنَّـسـيـمُ بِـهَـا عَـلـيْـلُ[3]
ويَـلـوحُ فـي الـشَّـفَـقِ احْـمِـرا رٌ كـلَّـمَـا اصـفـرَّ الأصـيْـلُ[4]
والـروضُ أضـحـكَـهُ الـحَـيَـا والـطـيـرُ مـن طَـرَبٍ يَـقُـولُ:[5]
خُـذْ يـا عَـذولُ فـلـيـسَ عَـنْـ ـهُـم وَإنْ عَـذَلـوا عُـدُولُ[6]
فَـغَـرامُ قـلْـبِـي وَاجِـبٌ فـيـهـم وَصَـبـرِي مُـسـتَـحـيْـلُ
يَـا نَـازِلـيـنَ بِـمَـنْـزِلٍ ظِـلُّ الأَرَاكِ بِـهِ ظَـلـيْـلُ[7]
قَـلْـبِـي نَـزِيْـلُـكُـمُ وأنـ ـتُـمْ فـي سـرائِـرِهِ نُـزُوْلُ[8]

131

قال ابن نباتة مادحاً ابن ريان:

مَـالـي إلـى الـسّـلْـوانِ عَـنـكَ سَـبـيـلُ فَـدَعِ الـعـذولَ ومـا عَـسـاهُ يـقـولُ[9]

---

(1) الضنىٰ: المرض.
(2) الشمائل: الصِّفات ـ الشمول: الخمر.
(3) صَبَتْ: هامت وعشقت ـ الصَّبا: ريح تهب من المشرق.
(4) الأصيل: ساعة الغروب.
(5) الحيا: المطر والخصب.
(6) العُدول: من عَدَل عن الشيء ابتعد ومال عنه.
(7) الأراك: شجر يستاك به.
(8) النزيل: الضيف والمقيم.
(9) السلوان: من سلا عنه إذا انشغل عنه ونسيهُ ـ العذول: اللائم.

مَهما بَعثتَ جوًى وَفيضِ مَدَامِعٍ فَعلى حَشايَ وَمَقْلَتِي مَحْمُولُ[1]
يا غُصْنَ بَانٍ قد تَبيَّنَ جُورهُ إنْ أنتَ لم تَعطفْ فكَيفَ تميلُ[2]
كَم ذا عليكَ القلبُ تلهبُ نارُهُ هَذا وذِكرَكَ للقلوبِ خَليلُ
أهْفو إلى مرِّ النَّسيمِ بمهجةٍ تَرجُو شِفاءً مِنهُ وَهوَ عَليلُ[3]
وأبثُّ جُرحَ جوارِحٍ بيدِ الأسى لكنَّ تجريحَ الأسَى تَعديلُ[4]
أمَّا غرام القلبِ فهوَ كثيرٌ عِنْدِي ولكنْ ما السلوُّ جَميلُ
مَهِ يا عذولُ فقدْ جَهلتَ صَبابتي وبعيدُ شبهِ عَالمٌ وَجَهولُ[5]
أنا من يحولُ العاشقونَ وعشقُهُ كَنَدَى بني رَيَّانَ ليسَ يَحولُ
المعرِقينَ مَناسباً ومَكارِمَاً تَدري بها الأوصافُ كيفَ تجولُ
والواضحينَ وفي البدورِ تكلّفٌ والثابتينَ وفي الحيَا تَبديلُ
والتاركينَ لبيتِهمْ فَرعاً بهِ نشأتْ لهم بعدَ الدُّروسِ أصُولُ[6]
إنْ يتزنْ بيتُ الفخار بذكرِهِ فَبنانُهُ للمَكرُماتِ فَعُولُ
ثاوٍ على حَلَبٍ وَلكنْ جُودُهُ ينهلُّ منهُ على الفُراتِ النِّيلُ[7]
عُرِفت مبايعةُ المحامِدِ عِندَهُ وَوَفتْ فما في بَيعهَا مَجهولُ
وَزَهتْ برؤيتهِ الدِّيارُ كأنَّما كلُّ النَّسيمِ على الديارِ قبولُ
وَمَحتْ غثاثةَ دهرِهِ نعماؤُهُ فكأنَّ ذاك غَثاً وتلكَ سُيولُ[8]
يَسعى لمغناهُ المؤمَّل مَادِحاً ويعودُ وَهوَ مُمدَّحٌ مأمُولُ
لَو أثَّرَ التَّقبيلُ في يدِ ماجِدٍ لمحا تواجُدَ كَفِّهِ التَّقبيْلُ

---

(1) المقلة: العين.
(2) البان: شجر ـ الجور: الظلم.
(3) المهجة: الروح.
(4) الجرح والتعديل: مصطلحان من علم الرجال.
(5) مَهِ: اسم فعل أمر بمعنى اكفف ـ الصبابة: الشوق وحرارته.
(6) الدّروس: من درس البيت إذا زال وانمحت آثاره.
(7) ثاوٍ: مقيم.
(8) غثاً: غثاء وغثاء السيل ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء.

بعضُ الحديثِ إذا أُعيدَ لواصفٍ إلاّ حديثُ صِفاتِهِ مَملولُ
إيضاحُ رأيٍ قد حَوى جملَ العُلى فيهِ لكُلِّ عَرِيكَةٍ تَسْهيلُ
ومَواهبٌ مَقرونةٌ بمناقبٍ فالفضلُ حيثُ أقامَ والتَّفضِيلُ
ويُراعَةٌ ألفاظُها مَشمولةٌ تشفي وجمعُ فخارِهَا مَشمولُ[1]
من خَطرةِ العَسَّالِ فيها نِسْبَةٌ لا غروَ أنَّ كَلاَمَها مَعْسُولُ
يا حَبَّذا القلمُ الذي من دَأبِهِ حِفظُ الحِمى وثراؤُهُ مَبذُولُ
يُعلي الممالكَ وهو خَافِضُ رأسِهِ ويسمِّنُ الأحوالَ وَهُوَ هَزيلُ
حَمدَتكَ يا ابن سعيدٍ عَنَّا أنعمٌ رَوضُ المحامِدِ حَولها مَطْلولُ
طَارَ الحديثَ بها عَليلاً مُحلِّقاً هَذا وعطفُ جَناحِهِ مَبْلُولُ
لا أَنْسَ بِشرَكَ والزمانُ مقطِّبٌ وَنوالَ كفِّكَ والغمامُ نَحيلُ[2]
كَرَمٌ أشبِّبُ في ثناهُ لأنَّهُ أبداً بأنسابِ العُلى مَوصُولُ[3]
يا مَنْ عُلاهُ عن الثناءِ غَنيَّةٌ والصبحُ أوضَحُ أنْ يُقامَ دَليلُ
خُذْ مِنْ وليِّكَ سامِعاً ومُسَامحاً جُهدَ الثَّناءِ وإنَّهُ لَجليلُ
إنْ لم يكُنْ شِعري بِبابِكَ مُرقصاً فليهنَ مَدحِيْ إنَّهُ مَقْبُولُ[4]

* * *

132

قال بهاء الدين زهير يصف حنينه إلى الحجاز وأهله:

أحنُّ إلى عَهْدِ المُحَصَّبِ من مِنًى وَعَيْشٍ به كانتْ تَرِفُّ ظِلالُهُ
ويا حَبَّذَا أمواهُهُ ونسيمُهُ ويا حبذا حصباؤهُ وَرِمالُهُ[5]

(1) اليراعة: القلم يتخذ من القصب.
(2) مقطّب: عابس ـ النوال: العطاء.
(3) شبَّب: الشاعر بالفتاة تغزل بها ووصفها.
(4) فليهن: فليهنأ.
(5) الأمواه: جمعٌ مفرده الماء ـ الحصباء: الحجارة الصغيرة.

ويـا أسَـفِـي إذْ شـطَّ عـنـي مَـزارُهُ ويـا حَـزَنـي إذ غـابَ عـني غـزالـه[1]
وكـم لـيَ بـيـن الـمَـرْوَتَـيـن لُـبـانـةٌ وَبَـدْرٌ تَـمـامٍ قـد حَـوَتْـهُ حِـجَـالـه[2]
مقيمٌ بقلبي حيثُ كنتُ حديثُهُ وبادٍ لعيني حيثُ سِرْتُ خيالُه
وأذْكُـرُ أيـامَ الـحـجـازِ وأنْـثَـنِـي كـأنـي صَـريـعٌ يـعـتـريـه خَـبـالُـه[3]
ويا صاحبي بالخَيْفِ كُنْ ليَ مُسْعداً إذا آنَ مِنْ ذاك الحجيجِ ارتحالُه
وخُذ جانبَ الوادي كَذَا عن يمينِه بحيثُ القَنَا يهتَزُّ منه طِوالُه[4]
هـنـاكَ تَـرَى بـيـتـاً لـزيـنـبَ مُـشْـرِقـاً إذا جئتَ لا يَخْفَى عليكَ جَلالُه
فـقـلْ نـاشـداً بـيـتـاً وَمَـنْ ذاق مـثـلَـه لدى جيرَةٍ لم تَدْرِ كيفَ احتيالُه
وكـن هـكـذا حـتـى تـصـادفَ فـرصـةً تـصـيـبُ بـهـا مـا رُمْـتَـهُ وتـنـالُـه
فَعَرِّضْ بِذِكرِي حيثُ تسمعُ زينبُ وقلْ ليسَ يَخْلُو ساعةً منكِ بالُه
عساها إذا ما مَرَّ ذِكْرِي بِسَمْعِها تقولُ فلانٌ عندكم كَيْفَ حالُهُ؟!

133

قال صفي الدين الحلّي مادحاً:

عـاقَـنـي الـغَـيـثُ عـن زِيـارَةِ غَـيـثٍ، بِـشْـرُهُ الـبرقُ، والـعـطـاءُ الـسّـيـولُ[5]
غـارَ مـن كَـفّـهِ ومـن نُـطـقِ فـيـهِ بـصَـنـيـعٍ يُـسـدى لَـنـا، فـيُـذيـلُ[6]
قـطَـعَ الـوَصـلَ ثـمّ واصـلَ هَـطـلاً، فـبُـرغـمـي ذاكَ الـقـطـوعُ الـوَصـولُ
فـهـوَ فـي فـعـلِـهِ وَفـيٌّ، خَـؤونٌ، عـادلٌ، جـائـرٌ، جَـوادٌ، بـخـيـلُ[7]

(1) شط: بَعُدَ.
(2) اللُّبانة: الحاجة من غير فاقه ـ الحجالة: مُفردها حَجَلة: بيت يزين للعروس.
(3) الخبال: الجنون وفساد العقل.
(4) القنا: الرماح.
(5) الغيث الأولى: المطر ـ الغيث الثانية: الكريم الجواد.
(6) فيه: فمه.
(7) خؤون: كثير الخيانة.

فـلـذا جـاءَ، وهـوَ طَـلـقٌ عَـبـوسٌ، مَـنـظَـرٌ رائـقٌ، ودَمـعٌ هَـطُـولُ
فَـتَـحـيّـرتُ بَـيـنَ مَـدحٍ وذَمٍّ، لَـسـتُ أدري فـي حَـقّـهِ مـا أقـوُلُ
غَـيـرَ أنّـي لَـهُ شَـكُـوٌّ، شَـكُـورٌ، عـاذِلٌ، عـاذِرٌ، صَـمـوتٌ، قَـؤولُ[1]

134

قال صفي الدين الحليّ مجيباً عن أبيات وصلته من الشيخ مجيد الدين الخياط الدمشقي:

ألآلِ أشـرَقـتْ فـي نُـحـورِ أم نـجـومٌ أشـرَقـتْ فـي لَـيـالـي[2]
أم فـصـولٌ مـن خَـواطـرِ مـولًـى ذي مَـقـامٍ فـي الـعُـلـى ومَـقـالِ
كـم بَـنـتْ بـالـفِـكـرِ بَـيـتَ مَـعـانٍ، وابْـتَـنَـتْ بـالـذّكـرِ بـيـتَ مَـعـالـي
نَـفْـثُ أقـلامٍ خِـفـافٍ نـحـافٍ، كـم أبـادَت مـن خـطـوبٍ ثِـقـالِ[3]
وقِـصـارٌ فـي الأكـفّ ولـكـنْ قـصّـرَتْ فـعـلَ الـرّمـاحِ الـطّـوالِ
تَـجـعَـلُ الـغَـمْـضَ عـلَـيـنـا حَـرامـاً، كـلّـمـا جـاءَتْ بـسـحـرٍ حَـلالِ
قَـيّـدَتـنـي بـالـجَـمـيـلِ، ولـكـنْ أطـلَـقَـتْ بـالـشّـكـرِ فـيـهِ مَـقـالـي
أمّـنَـتـنـي غـيـرَ أنّـي عـلـيـهِ خـائِـفٌ مـن شـرّ عَـيـنِ الـكَـمـالِ
فـاعـفُ مـولايَ مُـحـبّـاً ثَـنـاهُ عـن ثَـنـاهُ فـيـكُـمُ شُـغـلُ بـالِ[4]
ذا هـمـوم، قـلـبُـهُ فـي اشـتـغـالٍ، ولَـظَـى أحـزانِـهِ فـي اشـتِـعـالِ[5]

(1) شكوٌّ: كثير الكشوى ـ عاذل: لائم ـ العاذر: الذي يضع أعذاراً ـ صموت: كثير الصمت ـ قؤول: كثير الكلام.

(2) لآلٍ: مفردها لؤلؤة ـ النحور: مفردها نحر، وهو مكان النحر من العنق.

(3) الخطوب: الحوادث والمصائب مفردها خطب.

(4) ثناه الأولى: منعه ـ ثناه الثانية: مديحه.

(5) اللّظى: لهب النار.

135

قالت عائشة الباعونية في مَدحِ النبي ﷺ وذِكرِ صفاته:

نَـبـيٌّ لـهُ فـي كـلِّ فـضـلٍ تَـقـدُّمٌ ... يُـريـكَ عُـلاهُ فـوقَ كـلِّ مـكَـمَّـلِ
وجيهٌ بِهِ يُستمطَرُ الفضلُ والعَطا ... ويَـفْـجأ بـالـمأمـولِ كـلَّ مؤمِّـلِ[1]
فـمـنْ مِـثـلـهُ والـحـقُّ جـلَّ جـلالُـهُ ... يـفـاتـحـهُ بـالـمـدحِ فـي كـلِّ مـنـزِلِ
ويـتـحـفُـهُ مـنـهُ بـكـلِّ خـصـيـصـةٍ ... أبَانتْ لهُ العليا على كلِّ مرسَلِ
وفـي حَـضْـرةِ الـتـقـريـبِ أعطاهُ رُتْبَةً ... تـأخَّـرَ عَـنـهـا كـلُّ صاحِـبِ مَـنْـزلِ
فـلا غـايـةَ إلاَّ ومَـرمـاهُ فـوقَـهَـا ... ولا سَـيِّـد إلاَّ وعـن فَـيـضِـهِ وَلِـي[2]
ويَـكـفـيـكَ بـالإسـراءِ عِـلـمـاً بـقـدرِهِ ... وبالمجدِ مافي الذِّكر من ذِكرهِ العَلي
وحـسـبُـكَ بُـرهـانـاً شـفـاعَـتُـهُ الَّـتـي ... يلوذُ بها في الحشرِ كلُّ مبجَّلِ[3]
ويَستنقِذُ الخاطينَ مِنْ بأسِ نقمةٍ ... ويـفـتـحُ لـلأدنـيـنَ بـابَ الـتَّـفـضُّـلِ[4]
فـأعـظِـمْ بـهِ جَـاهـاً يـدرُّ بـمـجـدِهِ ... سحابَ العطا في كلِّ بدءٍ ومَوئِلِ[5]
بـراهـيـنـهُ الأكـوانُ طـافـحـةٌ بِـهَـا ... كما طَفحَتْ بالمدْحِ في فَضْلِهِ الجلي
إذا قـلـتُ يـا طٰـهَ أغـثـنـي يـقـولُ لِـي ... وفاءُ الوفا ها هُوَ أمامَك فَاجتلي
وإنْ ظَمِئَتْ رُوحي إلى أكؤُسِ الوَفا ... أراهُ يـسـقـيـنـي امـتِـنـانـاً فـامـتَـلِـي
وإنْ أمَّ قـلـبـي آمِـلاً فـيـضَ جُـودِهِ ... وفاهُ بأقصى القَصدِ من قادرٍ ملي[6]
ومـا ظَـفِـرَتْ والـلَّـهِ كـفِّـي بـبـغـيَّـةٍ ... سِوى أنْ يَكُن فيـهـا بَطَهَ تَوسُّلِـي
ألا يـا رسـولَ الـلَّـهِ يـا أشـرفَ الـوَرَى ... ويـا مَـنْ عـلـيـهِ لا يـزالُ تَـطـفُّـلِـي

---

(1) المؤمِّل: من يتأمل العطاء والفضل.
(2) مرماه: غايته وهدفه.
(3) المبجَّل: المحترم ذو القَدْر.
(4) يستنقذ الخاطين: ينقذ المخطئين.
(5) يدرُّ: يمطِر ـ الموئلُ: المقرّ.
(6) أمَّ: قَصَدَ وتوجه.

تـمـلَّـكَـنـي صِـدقُ الـوِدَادِ ولـم يَـزَلْ
يـداخِـلُـنـي الـتَّـبـريـحُ فـي كـلِّ مـفـصَـلِ

إلـى أَنْ تـفـانَـتْ جُـلَّـقٌ بِـصـبـابَـتِـي
ولَـم أرَ لـي وَجْـهـاً إلـى وردِ مَـنـهَـلِ[1]

ألا يـا رسـولَ الـلَّـهِ مَـن كُـنْـتَ غَـوْثَـهُ
حَظَى ببلوغِ القصدِ في كلِّ مدخَلِ

وهَـذي يـدي بـالـفَـقْـر صِـدْقـاً بَـسطـتُـهـا
ومـالـي شـعـارٌ غـيـرَ فـرطِ تَـذَلُّـلـي

أعـاجـلـكَ الـوهـبَ الـذي أنْـتَ أهـلُـهُ
وأسألُكَ العيشَ الذي بِكَ يَصفُو لي

وأنـتَ رؤوفٌ والـمـراحـمُ تـقـتَـضِـي
إغـاثَـةَ مـن يَـرجـوكَ يـا خـيـرَ مُـرسَـلِ

وأنـتَ عـريـضُ الـجَّـاهِ والـفـضـلُ واسـعٌ
ومَـهـمَـا تـقُـلْ يُـسـمـعْ فَـجُـدْ بـالـتَّـطـوُّلِ

عـلـيـكَ صـلاةُ الـلَّـهِ ثـمَّ سـلامُـهُ
وآلِ وأصـحـابِ كِـرامٍ ومَـن يَـلِـي

صـلاةٌ بـغـايـاتِ الأمـانـي كَـفـيـلَـةٌ
وفـيـهـا لـنَـيـلِ الـسُّـؤلِ أيّ تـوصُّـلِ[2]

مـدى الـدهـرِ مـا افـترَّ الأفـاحُ بـروضـةٍ
يُـحْـيـى شَـذَاهـا مـسْـبَـلاً بـعـد مُـسْـبَـلِ[3]

ومـا أسْـعـفَ الـجـودُ الإلٰـهـيُّ بـالـوفَـا
وقَـرَّتْ عـيـونُ الـسِّـرِّ بـالـمـشـهـدِ الـعـلـي

136

قال بهاء الدين زهير واصفاً صبابته وحرقة قلبه وشوقه للحبيب:

عـنـدي أحـاديـثُ أشـواقٍ أضَـنُّ بـهـا
فـلَـسـتُ أُودِعُـهـا لـلـكُـتْـبِ وَالـرّسُـلِ[4]

وَلـي رَسـائـلُ فـي طَـيّ الـنّـسـيـمِ لـكُـمْ
فـفَـتّـشُـوا فـيـهِ آثـاراً مـنَ الـقُـبَـلِ

كـتَـمـتُ حـبَّـكُـمُ عـن كـلّ جـارحـةٍ
مـنَ الـمَـسـامـعِ وَالأفـواهِ وَالـمُـقَـلِ[5]

وَمـا تَـغَـيّـرْتُ عـن ذاكَ الـودادِ لـكـم
خُـذوا حَـدِيـثـيَ عَـنْ أيّـامـيَ الأُوَلِ

بَـيـنـي وَبَـيْـنَـكُـمُ مـا تَـعـلَـمُـونَ بـه
حـبٌّ يُـنَـزَّهُ عَـنْ عَـيـبٍ وَعـن مَـلَـلِ[6]

---

(1) جلّق: دمشق ـ الصبابة: الشوق وحرارته.
(2) السؤل: المطلب والحاجة.
(3) المسبل: المطر.
(4) أضن بها: أبخل.
(5) الجارحة: العضو العامل من أعضاء الجسد ـ المقل: العيون مفردها مُقلة.
(6) تنزّه عن الشيء: ترفّع.

وُدٌّ بـلا مَـلَـقٍ مِـنـا يُـزَخْـرِفُـهُ ... يُغني المَليحةَ عن حَليٍ وعن حُللِ[1]
غِبتمْ فَما ليَ من أُنْسٍ لِغَيبَتِكُمْ ... سِوَى التّعلّلِ بالتّذكارِ وَالأمَلِ
أحتالُ في النّومِ كيْ ألقَى خيالَكمُ ... إنّ المُحِبّ لمُحتاجٌ إلى الحِيَلِ
بعدَ الحبيبِ هجرْتُ الشعرَ أجمعَهُ ... فلا غَزَالٌ يُلَهّيني وَلا غَزَلي
وعاذِلٍ آمِرٍ بالصَّبْرِ قُلتُ له ... إنّي وحَقِّكَ مَشْغولٌ عنِ العَذَلِ
طَلَبتَ منّي شيئاً لَستُ أملِكُه ... وَخُذ يَميني وما عندي وما قَبْلي
أطَلْتَ عَذلَ محِبٍّ ليسَ يَقبَلُه ... فكانَ أضيَعَ من دَمعٍ على طَلَلِ[2]
إنّي لأعجَزُ عَن صَبرٍ تُشيرُ بهِ ... ولَوْ قدرْتُ لكانَ الصّبرُ أرْوَحَ لي

137

قال صفي الدين الحلي واصفاً فتًى من آل ليث جنىٰ جناية فضُرب بالسياط:

أفْدي غَزالاً مِن آلِ لَيثٍ ... تَمّت لَهُ دولَةُ الجَمالِ
تَفعَلُ ألحاظُهُ بقَلبي ... ما يَفعَلُ اللّيثُ بالغَزالِ[3]
ذا حاجِبٍ خُطّ تحت صَلتٍ ... مُنَوِّرٍ بالجَمالِ، حالِ[4]
كأنّ كَفّيْ فتى هِلالٍ ... عرّقنَ نُوناً على هِلالِ
يا مُشبهَ البَدرِ حينَ يبدو، ... في النّورِ والبُعدِ والكَمالِ
أفديكَ يا مَن تَراهُ عَيني ... في كلِّ يومٍ بسوءِ حالِ
فَكُلَّ يومٍ ببَطنِ سِجنٍ، ... وكلَّ آنٍ ببابِ والي
كيفَ أتَوا بالسّياطِ ضرباً ... من فَوقِ أردافِكَ الثّقالِ
فأثّروا فَوقَها رُسوماً، ... كأنّها الطّرقُ في الجِبالِ

(1) الملق: التَّودد بكلام لطيف والتضرُّع فوق ما ينبغي.
(2) الطلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار.
(3) الألحاظ: العيون.
(4) جبينٌ صَلْتٌ: الواضح في سعةٍ وبريق.

138

قالت عائشة الباعونية في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام:

الصَّلاةُ عَليكَ يا شمسَ الكَمالِ ... الصَّلاةُ عليكَ يا بَدرَ الجمَالِ
الصَّلاةُ عَليكَ مِن مَولى الموالِي ... دَواماً ما بَدا نُورُ الهِلاَلِ
رَسولَ اللَّهِ يا طورَ الشُّهودِ ... ويا عينَ المرادِ من الوجُودِ[1]
تَصَدَّقْ مِنَّةً بوفاءِ جَودِ ... يُبلِّغني مَقاماتِ الرِّجالِ
الصَّلاةُ عليكَ يا غيثَ النَّوالِ ... الصَّلاةُ عليكَ يا سَامي المَعالي[2]
الصَّلاةُ عليكَ مِنْ مَولى الموالِي ... دَواماً مَا صَفَا عَينُ الزُّلالِ[3]
بَلغْتَ مِنَ الكَرامَةِ أيُّ غايَه ... إليْهَا مُنتهى أقصَى النِّهايَه
وكَمْ لَكَ يا حبيبَ القَلبِ آيَهْ ... جلَتْ عَلياكَ في أهْلِ الكَمَالِ
الصَّلاةُ عليكَ يا حَسَنَ الفِعَالِ ... الصَّلاةُ عليكَ يا زاكي الخِلالِ[4]
الصَّلاةُ عَليكَ من مَولى الموالِي ... دَواماً ما أضَتْ غررُ اللآلي[5]
جمالُكَ فائِقٌ للعقلِ فاتِنْ ... وَحُبُّكَ في صَميمِ القَلبِ سَاكِنِ
وسِرُّكَ في الورى ظَاهِرْ وبَاطِنْ ... وجَاهُكَ عدَّةٌ عِندَ المَآلِ[6]
الصَّلاةُ عليكَ يا محي اللَّيالي ... الصَّلاة عَليكَ يا ذُخرَ الموالِي
الصَّلاة عَليكَ مِن مَولى الموالِي ... دَواماً ما هَمَتْ دِيَمُ النَّوالِ[7]
إليكَ تَوجُّهي في كلِّ أمرِ ... وعَنْكَ روايتي في كُلِّ خَيْرِ
وأنتَ وسيلتي في جَبْرِ كَسرِي ... وأنتَ ذَخيرَتي في كلِّ حالِ

---

(1) الطور: الجبل.
(2) النوال: العطاء.
(3) الزلال: الصافي.
(4) الزاكي: الطاهر ـ الخلال: الصفات والسجايا.
(5) أضت: أضاءت ـ اللآلي: مفردها لؤلؤة.
(6) المآل: الرجوع والعودة.
(7) الديم: مفردها ديمة: المطر يطول زمانه في سكون.

الـصَّـلاةُ عـلـيـكَ يـا سِـرَّ الـوِصَـالِ الـصَّـلاةُ عـلـيـكَ يـا كَـنـزُ الـرِّجَـالِ
الـصَّـلاةُ عـلـيكَ مِـن مَـولـى الـموالِـي دَوامـاً مـا بَـدا مَـعـنَـى مَـقـالِـي
تَـصَـدَّقْ يـا رسـولَ الله واشـفَـعْ إلـى الـرَّحـمٰـنِ يـا أعـلَـى مُـشَـفَّـعْ
بِـنَـيـلِ مُـرادِنَـا والـقَـصـدِ أجـمَـعْ مِـنَ الـدارَيـنِ يـا كَـنـزَ الـمـعـالِـي
الـصَّـلاةُ عَـلـيـكَ يـا ضَـافـي الـظِّـلالِ الـصَّـلاةُ عَـلـيـكَ يـا مَـاحِـي الـضَّـلالِ
الـصَّـلاةُ عـلـيـكَ مِـن مَـولـى الـموالِـي دوامـاً مـا صَـفَـا حَـالٌ لـحـالِـي
بِـهَـديـكَ أقـتَـدِي فـي كُـلِّ مَـنْـسَـكْ وَلـي قَـلْـبٌ بِـجاهِـكَ قَـدْ تَـمَـسَّـكْ[1]
تَـمُـسُّـكَ مَـنْ لَـهُ فـي الـحـبِّ مَـسْـلَـكْ حَـمـيـدٌ قَـدرُهُ عَـالـي وغَـالِـي[2]
الـصَّـلاةُ عَـلـيـكَ يـا عَـالـي الـمَـجَـالِـي الـصَّـلاةُ عَـلـيـكَ يـا بَـدرَ الـجَـمَـالِ
الـصَّـلاةُ عـلـيـكَ مِـن مَـولـى الـموالِـي دَوامـاً سَـرمَـداً فـي كـلِّ حـالِ
الـصَّـلاةُ عَـيـكَ مـا هَـبَّـتْ نـسـائِـمْ ومـا دَنَـتِ الـمـراحِـمُ بِـالـكَـرَائِـمْ
وأَسْـعَـفَـتِ الـمـكـارِمُ بـالـمـغَـانِـمْ وَلاحَ تَـجـلِّـيـاً لـلـوهْـمِ جَـالِـي

139

قال الشهاب محمود متغزلاً:

يـا مَـنْ أضـافَ إلـى الـجـمـالِ جـمـيـلاً لا كـنـتُ إن طـاوعـتُ فـيـكَ عَـذُولا
عـوّضـتَـنـي مـن نـارِ هـجـركَ جَـنَّـةً فـسـكـنـتُ ظِـلاً مـن رضـاكَ ظـلـيـلا
وحـلـلـتَ مـن أحـشـايَ رَبْـعـاً دارسـاً فـغـدا بـقُـرْبِـكَ عـامـراً مـأهـولا[3]
وقـنـعـتُ حـيـن مـنـحـتـني سـقـمـاً بـه أشـبـهـتُ خَـصْـرَكَ رقـةً ونـحـولا
وكـفـفـتَ لـحـظـكَ بـالـفـتـورِ تـلـطُّـفـاً كـي لا أبـيـتَ بِـحَـدِّهِ مـقـتـولا[4]

---

(1) كل منسك: قصدت كل عمل فيه عبادة.
(2) المسلك: الطريق.
(3) الربع: البيت وما حولهُ ـ دَرَسَ: انمحىٰ وزال.
(4) كففت: منعت ـ الفتور: الضعف المستحسن.

وسلكتَ بي في الحُبِّ أحسنَ مسلكٍ ... لم يُبقِ لي نحو السلوِّ سبيلا[1]
ولربَّ ليلٍ مِثْلُ وجهك بدرُهُ ... ودجاه مثلُ مَدِيدِ شَعْرِكَ طُولا[2]
أرسلتَ لي فيه الخيالَ فكان لي ... دونَ الأنيسِ مؤانساً وخليلا
إنْ لم أجُدْ بالوجْدِ فيك بمهجتي ... لا نالَ قلبي من وِصالك سُولا[3]

140

قال ابن مليك الحموي متغزلاً بدمشق:

وَأَضْحَتْ دِمَشْقُ الشَّامِ بِالحُسنِ جَنَّةً ... فَأَكْرِمْ بِهَا داراً وَرَبْعاً وَمنزِلاَ
وَغِزلانُهَا قَدْ غَازلتنَا عُيُونُهَا ... أَلمْ تَرَ فيها قَدْ حَمِدْنَا التَّغَزُّلاَ
وقَدْ كُسِيَتْ مِنْ سُنْدُسِ الرَّوضِ حُلَّةً ... تَجلُّ لمعنى حُسنِهَا أَنْ تُفصَّلاَ[4]
مُوشَّعَةٌ تَحلُو بِدرِّ النَّدى الذي ... عَلينَا بِهِ قَاضِي القُضَاةِ تَفضَّلاَ[5]

141

قالت عائشة الباعونية مادحة النبي المختار عليه الصلاة والسلام:

مَا زَالَ نورُ محمَّدٍ مُتنقِّلاَ ... في الطَّيِّبينَ أُولى المفاخِرِ وَالعُلى[6]
كتنقُّلِ الأقمارِ في أبراجِهَا ... حَتَّى بَدا من أُمِّهُ مُتهلِّلاَ
وتَباشَرَتْ كُلُّ العوالِم فَرحةً ... بِظُهورِهِ وبِذاكَ نُودِيَ في المَلا

---

(1) السلو: تقول: سلىٰ عنه: نسيه وانشغل عنه.
(2) الدجىٰ: الظلام.
(3) أجُدْ: من الجود، وهو الكرم ـ المهجة: الروح ـ الوجد: الحزن ـ سولا: يقصد سؤلاً أي مطلباً وغاية.
(4) السندس: الرقيق من الديباج ـ الحلة: الكساء والثوب.
(5) موشعة: موشَّحة مزيَّنة ـ الندى: العطاء والمعروف.
(6) أولي: أصحاب.

وَبِـيُـمْـنِـهِ دَفَـعَ الإلـهُ بِـمـنِّـهِ فِيَلاً وأهلَكَ صَحبَهُ مُسْتَأصِلاً[1]
وأبـانَ زَمْـزَمَ بَـعـدَ طُـولِ خَـفَـائِـهَـا وَفَـدى أبـاهُ ولـلـفِـداءِ تَـقَـبَّـلا
ومِنَ السِّفَاحِ حمى وَصَانَ جُدُودَهُ حتَّى بَدا مُتَطهِّراً مُتكمِّلاً[2]
حَـاوٍ لـغـايـاتِ الـكَـمـالِ منزَّهاً عـن كـلِّ نـقـصٍ عـارِفـاً متبتِّلاً
فَـرداً لأشْـتـاتِ الـمـعَـالـي جَـامِـعَـاً كَـنـزاً بِـلألآءِ الـعُـلـوم قَـد امْـتَـلا[3]
مَـحـمـودُ أوصـافٍ عَـزيـزُ مـحـامِـدٍ مَـخـصـوصُ آزالٍ تَـدانَـى وَاعـتَـلـى
وَحـوَى وُشُـوفِـهَ بـالـخِـطـابِ تـحـيَّـةً وَكَـرَامَـةً ورَأى وَشَـاهـد وَاجـتَـلَـى
فـي مَـدْحِـهِ نَـزَلَ الـقـرآنُ مـفـصَّـلاً وَبـمـجْـدِهِ نَـطـقَ الـكِـتَـابُ مـفـضِّـلا
وَإلـى الـصَّـلاةِ عَـلـيـهِ قـد نُـدِبَ الـوَرَى وأغـاثَ مَـن أضْـحَـى بـهِ مُـتَـوسِّـلاً
صَـلُّـوا عَـلـيـهِ تَـظـفَـرُوا بِـمـغـانِـم حَـامَـتْ عـلـى آلائِـهَـا هِـمَـمُ الأُولَـى
صَـلَّـى عَـلـيـهِ الـلَّـهُ رَبِّـي دائِـمَـاً أزكَـى صَـلاةٍ لـلـقُـلـوبِ بِـهَـا جَـلا
وعَـلـى جَـمـيـعِ الـمـرسَـلـيْـنَ وآلِـهِ وصِـحَـابِـهِ والـتَّـابـيـعـنَ ومَـنْ تَـلاَ
مَـا هَـيـمَـنَـتْ رِيـحُ الـصَّـبَـا وتـأوَّدَتْ قُـضـبٌ وَلاحَ مِـنَ الـزُّهُـورِ لَـهَـا حَـلاً[4]
وَتَـتـابَـع الـلُّـطـفُ الـخـفِـيُّ وأسـعَـفَـتْ بِـصَـنـائِـعِ الـمـعـرُوفِ أربـابُ الـوَلاَ

142

قال البوصيري مادحاً الوزير ابن الزبير:

الـيَـومَ قـد حَـكَـمَ الـهَـوَى بـالـمَـعْـدَلَـهْ وأراحَ قَـلْـبـيَ مِـنْ مُـكـابَـدَةِ الـوَلَـهْ[5]
وَتَـبَـدَّلَـتْ مِـنِّـي الـصَّـبـابَـةُ سَـلْـوَةً صِـيـنَـتْ بـهـا عَـبَـراتـي الـمُـتَـبَـذِّلَـهْ[6]
مـالـي وَلِـلـعُـشَّـاقِ أتْـبَـعُ مـنـهـمُ أُمَـمـاً تَـضِـلُّ عَـنِ الـرشـادِ مُـضـلَّـلَـهْ؟

(1) بمنّه: بفضله وجوده ـ فيلاً: يقصد أصحاب الفيل.
(2) السفاح: الزنى.
(3) لألأ: تلألؤ.
(4) القضب: الأغصان.
(5) المعدلة: العدل ـ الوله: العشق.
(6) الصبابة: الشوق وحرارته ـ السلوة: النسيان ـ عبراتي المتبذلة: دموعي المنسكبة.

مِنْ كلِّ مَنْ يَشْكو جِنايَةَ نَفْسِهِ ... وَيَرُومُ مِنْ أَحْبابِهِ ما ليسَ لَهْ؟[1]
إني امْرُؤٌ أعْطَى السُّلُوَّ قِيادَهُ ... وَأَراحَ مِنْ تَعَبِ الملامَةِ عُذَّلَهْ[2]
وَدَعا جميلُ ابنِ الزُّبَيْرِ مَديحَهُ ... فأطاعَهُ وعَصَى الهَوَى وَتَغَزُّلَهْ[3]
مَوْلَى عَرَفْتُ بِجاهِهِ وبِمالِهِ ... عِزَّ الغِنَى وجَهِلْتُ ذُلَّ المَسْأَلَهْ[4]
وأتَمَّ حَظِّي بعْدَ نُقْصانٍ فَكَمْ ... مِنْ عائِدٍ لي من نَداهُ ومِنْ صِلَهْ[5]
وَجَبَتْ عليَّ لهُ حُقُوقٌ لَمْ أقُمْ ... منها بماضِيةٍ ولا مُسْتَقْبَلَهْ
لا أَسْتَطيعُ جُحُودَها، وشُهُودُها ... عِنْدي بما أوْلَتْ يَداهُ مُعَدَّلَهْ[6]
ما طالَ صَمْتُ مَدائحي عَنْ مَجْدِهِ ... إلاَّ لأَنَّ صِلاتِهِ مُسْتَرْسِلَهْ[7]
فمتى هَمَمْتُ بشُكْرِ سالفِ نِعْمَةٍ ... أَلَفَيْتُ سالِفَتي بأُخرَى مُثْقَلَهْ
مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يَعْقُوبَ الذي ... أضْحَتْ بِهِ رُتَبُ الفَخارِ مُؤَثَّلَهْ؟[8]
عَمَّ الخَلائِقَ جُودُهُ فكأَنَّما ... يَدُهُ بأَرْزاقِ الوَرَى مُتَكَفِّلَهْ
حَكَمتْ أنامِلُها لهُ بالرَّفْعِ مِنْ ... أفعالِهِ الحُسنى بِخَمْسَةِ أمْثِلَهْ[9]
وأَحَلَّهُ الشَّرَفَ الرَّفيعَ ذَكاؤُهُ ... فرَأَيْتُ منهُ عُطارِداً في السُّنْبُلَهْ[10]
سَلْ عنه وَاسْأَلْ عَنْ أبيهِ وجَدِّهِ ... تَسْمَعْ أحاديثَ الكرامِ مُسَلْسَلَهْ
إنْ صالَ كانَ اللَّيْثُ منهُ شَعْرَةً ... أَوْ جادَ كانَ البَحْرُ منه أُنْمُلَهْ[11]
كَمْ أظْهَرَتْ أقْلامُهُ مِنْ مُعْجِزٍ ... لِلطِّرْسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُرْسَلَهْ[12]

---

(1) يروم: يطلب.
(2) العذَّل: اللُّوَام.
(3) الجميل: المعروف.
(4) المسألة: سؤال الناس أي الطلب منهم.
(5) الندىٰ: العطاء.
(6) الجحود: إنكار المعروف.
(7) مسترسلة: دائمة ومتتابعة.
(8) المؤثَّل: الأصيل.
(9) أمثلة: أضعاف.
(10) عطارد: كوكب ـ السنبلة: نجم في السماء.
(11) الأنملة: طرف الإصبع.
(12) الطرس: الصحيفة أو الكتاب.

مَــلأَتْ بــإِمْــلاءِ الــخــواطِــرِ كُــتْــبَــهُ حِــكَـمـاً عَـلـى وَفْـقِ الـصَّـوابِ مُـنَـزَّلَـهْ
وَبَـدَتْ فَـواصِـلُـهُ خِـلالَ سُـطُـورِهـا تُـهـدى لِـقـارِئِـهـا الـعُـقـودَ مُـفَـصَّـلَـهْ
ما صانَها نَقْصُ الكمالِ وَلَمْ تَفُتْ في الحُسْنِ بَسْمَلَةُ الكِتابِ الحَمْدَ لَهْ[1]
قد أَغْنَـتِ الفُـقَـراءَ وافْـتَـقَـرَتْ لَـهُـمْ هِـمَـمُ الـمـلـوكِ فـمـا تَـزالُ مُـؤَمِّـلَـهْ
مِنْ مَعْشَرٍ شَرَعُوا المَكارِمَ والعُلَى وتَـبَـوَّؤوا مِـنْ كـلِّ مَـجْـدٍ أَوَّلَـهْ[2]
آلُ الـزُّبَـيْـرِ الـمُـرْتَـجَـى إِسْـعـادُهُـمْ في كُـلِّ نـائِـبَـةٍ تَـنُـوبُ وَمُـعْـضِـلَـهْ[3]
الـمـكْـثِـرُونَ طَـعـامَـهُـمْ وَطِـعـانَـهُـمْ يَوْمَ النِّزالِ وَفي السِّنينَ المُمْحِلَهْ[4]
قَـوْمٌ لِـكُـلِّـهِـمُ عَـلـى كـلِّ الـورَى أَبَـداً يَـدٌ مَـرْهُـوبَـةٌ وَمُـنَـوِّلَـهْ[5]
إِنْ يُسْأَلوا كَرَماً وَعِلْماً أَعْجَزُوا بِـبَـديـعِ أَجْـوبَـةٍ لـتـلـكَ الأَسْـئِـلَـهْ
أَنِـفُـوا ذُنُـوبـاً ودَّ كـلُّ مُـقَـبَّـلٍ لـو أَنَّـهـا حَـسـنـاتُـهُ الـمُـتَـقَـبَّـلَـهْ
لـولا مَـنـاقِـبُـكُـمْ لـكـانـت هـذه الـدُّ نْـيا مِنَ الذِّكْرِ الجميلِ مُعَطَّلَهْ[6]

143

قال ابن عربي شارحاً أصول الجود والإنعام:

قَـدْ صَـحَّ أَنَّ الـغِـنـى لِـلَّـهِ والـكَـرَمـا فَـمـا أُبـالـي إذا مـا حَـلَّ بِـيْ عَـدَمُ[7]
لَـيْـسَ الـتَّـعَـجُّـبُ مِـنْ تـأْثِـيـرِ قُـدْرَتِـهِ عَجِبْتُ إذْ أَثَّرَتْ فِي جُودِهِ الهِمَمُ[8]
لَـيْـسَ الـكَـريـمُ الـذي مِـنْ نَـعْـتِـهِ كَـرَمٌ إِنَّ الـكَـرِيـمَ الـذي مِـنْ ذاتِـهِ الـكَـرَمُ[9]

(1) البسملة: قول بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ الحمد له: قول الحمد لله رب العالمين.
(2) تبوأ المكان: نزل وأقام به.
(3) النائبة: الحادثة والمصيبة.
(4) الممحلة: صفة من المحل وهو الجفاف والقحط.
(5) منوّلَه: مُعطية.
(6) المناقب: المفاخر والصفات الحسنة ـ معطَّلة: خالية.
(7) العَدَم: الفقر والفاقة.
(8) الجود: العطاء والكرم.
(9) النعت: الصفة.

لَيْسَ الكَريمُ الذي يُعْطِيكَ عَنْ قَدَرٍ ... إنَّ الكَريمَ الذي يُعطى وَيَتَّهِمُ
لَيْسَ الكَريمُ الذي يُعْطِي بِحِكْمَتِهِ ... إنَّ الكريمَ الذي تُعْطِي بِهِ الحِكَمُ
إنَّ الكَريمَ الذي يُعْطِي ويَغْتَنِمُ ... عَيْنَ القَبُولِ وَلا يُعْطِي ويَحْتَكِمُ
مَنْ يَطْلُبِ الشُّكْرَ بالإنْعامِ لَيْسَ لَهُ ... ذاكَ التَّكَرُّمُ فابْحَث أيُّها العَلَمُ(1)
غَيْرَ الإلهِ الذي أَوْلى بِنِعْمَتِهِ ... وَكُلٌّ مِنْ نَعْتِهِ الإيجادُ والعَدَمُ(2)
إنِّي ضَرَبْتُ حِجاباً لَيْسَ يَرْفَعُهُ ... سِواهُ أَوْ مَنْ بِهِ الأَلْبابُ تَعْتَصِمُ(3)
هَذا الذي قُلْتُهُ الأَلْبابُ تَجْهَلُهُ ... وَلَيْسَ تُثْبِتُهُ الأَعْرابُ والعَجَمُ
بِهِ خُصِّصْتُ عَلى كَشْفٍ ومَعْرِفَةٍ ... وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ لِي مِنْ قَبْلِ ذا قَدَمُ
قَدْ يَلْحَقُ النَّاسَ فِي أَقْوالِهِمْ نَدَمٌ ... وَلَيْسَ عِنْدِي فِيما قُلْتُهُ نَدَمُ
لأَنَّهُ المَنْطِقُ الأَعْلى فَكانَ لَهُ ... عَنِّي التَّلَفُّظُ والتَّعْرِيفُ والكَلِمُ(4)
والعَبْدُ فِي عُزْلَةٍ عَنْ كُلِّ ما كَتَبَتْ ... كَفٌّ لَهُ أَوْ هَمَتْ مِنْ كَفِّهِ دِيَمُ(5)
ما فِي الوُجُودِ سِواهُ فالوُجُودُ لَهُ ... لِذاتِهِ وأَنا الظِّلُّ الذي عَلِمُوا
لَوْلاهُ ما نَظَرَتْ عَيْني وَلا سَمِعَتْ ... أُذُنٌ لَنا وبِنا عَلَيْهِ قَدْ حَكَمُوا

144

قال بهاء الدين زهير شارحاً ما يعانيه من الوجد وآلام الصبابة:

صَدَقَ الواشُونَ فِيما زَعَمُوا ... أَنا مُغْرًى بِهَواها مُغْرَمُ(6)
فَلْيَقُلْ ما شاءَ عَني لائِمي ... أَنا أَهْواها ولا أَحْتَشِمُ(7)
غَلَبَ الوَجْدُ فَلا أَكْتُمُهُ ... إنَّما أَكْتُمُ ما يَنْكَتِمُ(8)

---

(1) الإنعام: الإعطاء والإحسان.
(2) العَدَم: ضد الوجود.
(3) الألباب: العقول.
(4) الكَلِم: الكلام.
(5) هَمت: هطلت ـ الديم: مفردها ديمة: وهي المطر الذي يطول زمنه في سكون.
(6) الواشون: مفرده واشي: وهو النمام الذي ينقل الكلام ويكذب فيه.
(7) أحتشم: أخجل وأستُر ما أقوم به.
(8) الوجد: الحزن الناتج عن الحبِّ وهمومه.

تَـعِـبَ الـعُـذّالُ بـي فـي حُـبّـهـا ... قُـضِـيَ الأمـرُ وجَـفّ الـقَـلَـمُ
أيـنَ مَـنْ يَـرْحَـمُـنـي أشـكـو لـهُ ... إنّـمـا الـشـكـوَى إلـى مـن يـرْحَـمُ
أنـا مَـنْ قَـلـبـيَ مـنـهـا آيـسٌ ... لـم يـكـنْ مـن مُـقـلـتَـيـهـا يَـسـلـمُ[1]
أيّـهـا الـسّـائـلُ عـن وَجـدي بـهـا ... إنّـهُ أعـظَـمُ مـمّـا تَـزْعُـمُ
ظُـنّ خَـيـراً بَـيـنَـنـا أوْ غَـيـرَهُ ... فـحَـبـيـبـي فـيـهِ تـحـلُـوا الـتُّـهَـمُ
وَلـقـد حـدّثـتُ مـن يَـسـألُـنـي ... وَحَـديـثـي لـكَ يـا مَـنْ يَـفـهَـمُ
طـالَ مـا ألـقـاهُ مـن شـرْحِ الـهـوَى ... أنـتَ يـا رَبِّـي بـحـالـي أعْـلَـمُ
عَـشِـقَ الـنّـاسُ ومِـثـلـي لـم يـكـنْ ... فـاعـلَـمـوا أنّـيَ فـيـهـم عَـلَـمُ
سُـطّـرَتْ قَـبـلـي أحـاديـثُ الـهـوَى ... وَبـمـسْـكٍ مـن حَـديـثـي تُـخـتَـمُ

145

قال الشاب الظريف متغزلاً، بكلامٍ قريبٍ من كلام الصوفية:

حَـديـثُ غَـرامـي فـي هَـواكَ قَـديـمُ ... وفَـرْطُ عَـذابـي فـي هَـواك نـعـيـمُ[2]
بـمَـا شـئـتَ عَـذِّبْ غيـرَ سُـخـطِـكَ إنّـه ... وصِـدْقِ وَلائـي فـي هَـواكَ ألـيـمُ[3]
تُـمـثِّـلُـكَ الأشـواقُ وَهْـمـاً لِـخَـاطـري ... فـيُـدرِكُـنـي بـالـخـوفِ مِـنْـكَ وجـومُ[4]
وتـقـنـعُ مـنـكَ الـروحُ لـمـحَ تـوهُّـمٍ ... فـتُـحـيـي بـهـا الأعـضـاء، وهـي رمـيـمُ
هـنـيـئاً لِـطـرفٍ فـيك لا يـعـرِفُ الـكَـرى ... وتـبّـاً لـقـلـبٍ فـيـكَ لـيـسَ يَـهـيـمُ[5]
ولـمّـا جَـلاكَ الـفِـكـرُ يـا غـايـةَ الـمـنـى ... فـظَـلَّ بـقـلـبـي مُـقْـعـدٌ ومُـقـيـمُ
ومـا الـكـونُ إلاّ صـورةٌ أنـتَ رُوحُـهَـا ... وجِـسـمٌ بـغـيـر الـرُّوحِ، . كـيـف يـقـومُ؟

---

(1) مقلتيها: عينيها ـ آيس: يائسٌ، مقطوع الرجاء.
(2) فرط عذابي: كثرته وزيادته.
(3) السخط: الغضب.
(4) الوجوم: السكوت والإطراق فزعاً.
(5) الكرى: النوم ـ يهيم: يعشق.

تَـوهَّـمَ صَـحـبـي أنَّ بـي مَـسَّ جِـنَّـةٍ   وأنـكـرَ حَـالـي صَـاحـبٌ وحَـمـيـمُ[1]
فـبُـحـتُ بـمـا ألـقـاهُ مـنـكَ مـصـرِّحَـاً   ومـا أنَـا لـذَّات الـغـرامِ كَـتـومُ
ولـمـا بَـدَتْ فـي طُـورِ خَـدِّكَ جَـذوةٌ   ولاحـتْ لـقـلـبـي عَـادَ وهـوَ كَـلـيـمُ[2]
يـلـذُّ لـقـلـبـي فـي هَـواكَ عَـذابُـهُ   ولِـمْ لا وبـالأحْـوَالِ أنْـتَ عَـلـيـمُ

146

قال ابن عربي ناصحاً:

أَمَّـنَـكَ الـلَّـهُ وَسُـلْـطَـانُـهُ   عَـلـى الـذي أنْـتَ بِـهِ قـائِـمُ
فـاحْـكُـمْ بِـمـا تَـعْـلَـمُـهُ لا تـنـي   فـإنَّـكَ الـمَـسْـؤولُ يـا حـاكِـمُ[3]
يَـحْـكُـمُ عَـدْلُ الـلَّـهِ فـيـكُـمُ كَـمـا   أنْـتَ بِـهِ فِـي خَـلْـقِـهِ حـاكِـمُ
وأنْـتُـمُ أَهْـلٌ لِـمـا نِـلْـتُـمُ   فِـي ظَـنِّـنـا وَرَبُّـنـا الـعـالِـمُ
وَحَـرِّرِ الـمِـيـزانَ يـا سَـيِّـدِي   فـإنَّـهُ الـعـادِلُ والـقـاسِـمُ
وَقَـدْ عَـلِـمْـتُـمْ أَنَّـنِـي نـاصِـحٌ   وَمُـشْـفِـقٌ ومَـا أنـا زاعِـمُ[4]
فَـلْـتَـعْـتَـصِـمْ بِـحَـبْـلِـهِ إنَّـهُ   ما عَـلِـمْـتُ الـحـافِـظُ الـعـاصِـمُ[5]
واحْـذَرْ مِـنَ الـمَـكْـرِ فَـقَـدْ يَـخْـتَـفـي   فـإنَّـهُ الـقـاهِـرُ والـقـاصِـمُ[6]

147

قال الشاب الظريف مادحاً ومفتخراً:

(1) الحميم: الشخص الذي تودُّه ويودُّك.
(2) الجذوة: الجمرة الملتهبة ـ كليم: جريح.
(3) لاتني: لا تقصِّر أو تفتر همَّتك.
(4) زاعم: نقول زعم الأمر: ادعاه.
(5) اعتصم: الجأ إليه وتمسك به.
(6) القاصم: القاطع وقصد به المهْلِك.

وَلـي مِـدَحٌ بَـالـغْـتُ فـيْـهَـا بَـلاغَـةً وأَثـنَـيْـتُ فِـيْـهَـا بـالَّـذِي أنَـا عَـالِـمُ[1]
وَلـي فـيْـكَ آمَـالٌ عَـلَـيـكَ بُـلـوغُـهَـا فَـلا دافِـعٌ دُونَ الَّـذِي أَنْـتَ حَـاكِـمُ
أبَعْدَكَ يَحوي المجْدُ مَنْ هُو فَاخِرٌ وَبَعْدِي يَقُولُ الشِّعرَ مَنْ هُوَ نَاظِمُ
وَإِنَّ لِـسَـانِـي ذُو الـفَـقَـارِ عَـلِـيُّـهُ عُـلاَكَ، فَمَنْ مِثلي وَمِثْلُكَ غَانِمُ[2]

148

قال عفيف الدين التلمساني واصفاً الطبيعة الفاتنة ومادحاً ابن الزبير:

رِيَـاضٌ بُـكـاهـا الـمُـزْنُ وَهـيَ بَـوَاسِـمُ فَنَاحَتْ بِغَيْرِ الحُزْنِ فَيْهَا الحمَائِمُ[3]
وَأَوْدَعَـتِ الأَنْـواءُ فـيـهِـنَّ سـرَّهَـا فَـنَـمَّـتْ عـلـيـهِـنَّ الرِّيَاحُ النَّواسِمُ[4]
يَبيتُ النَّدى في أفقِهَا وَهوَ نَاثِرٌ وَيُضحِي على أجيَادِهَا وَهوَ نَاظِمُ
كَـأَنَّ الأَقَـاحِـي والـشـقـيـقَ تَـقَـابَـلا خُدودٌ جَلاهُنَّ الصَّبا ومَبَاسِمُ[5]
كـأَنَّ بِـهَـا الـنَّـرجِسِ الـغَـضِّ أعيُـناً تَنبَّهَ مِنهَا البعضُ والبعضُ نَائِمُ
كَـأَنَّ ظِـلالَ الـقـضـبِ فَـوقَ غَـدِيـرِهَـا إذا اضطَرَبَتْ تحتَ الرِّيَاحِ أَرَاقِمُ[6]
كَـأَنَّ غِـنَـاءَ الـوُرْقِ أَلـحـانُ مـعـبـدٍ إذا رَقَصَتْ تِلكَ القُدودُ النَّوَاعِمُ[7]
كَأَنَّ نِثَارَ الشَّمس تَحتَ غُصونِهَا دَنَـانِـيـرُ فـي وقْـتٍ وَوَقْـت دَرَاهِـمُ
كَـأَنَّ بِـهَـا الـغُـدرانَ تَـحـتَ جَـدَاوِلٍ مُـتُـونُ دُروعٍ أفْـرِغَـتْ وَصَـوَارِمُ[8]

---

(1) المدح: مفردها مِدْحَة، وهي قصيدة المدْحِ ـ بالغتُ: تجاوزت الحدود ـ أثنيت: مدحت.

(2) ذو الفقار: سيف الإمام علي كرَّم الله وجهه ـ غانم: صفة من غَنِم: أي ربح وفاز.

(3) المزن: الغيوم الماطرة.

(4) الأنواء: الأمطار الشديدة ـ نمت: أفشت السرَّ.

(5) الأقاحي: واحدتها أقحوانة نوع من الزهور ـ الشقيق: قصد شقائق النعمان.

(6) الأراقم: مفردها أرقم وهو ذكر الحيَّات أو أخبثها.

(7) الوُرْق: الحمام.

(8) الصوارم: السيوف.

كَأَنَّ ثِمَاراً فِي غُصُونٍ تَوَسْوَسَت ... لِعَارِضِ خَفَّاقِ النَّسِيمِ تَمَائِمُ
كَأَنَّ القُطُوفَ الدَّانِيَاتِ مَوَاهِبٌ ... وفي كلِّ غُصنٍ ماسَ في الدَّوحِ حَاتِمُ[1]
كَأَنَّ بَنَانَ ابنِ الزبيرِ لِمَسْنَهُ ... فَأَغْدَاهُ منهنَّ النَّدَى وَالمَكَارِمُ[2]

149

قال ابن عربي أيضاً:

يا لائِمِي إنْ لَمْ تَكُنْ عَينُنا ... ذَواتَهُمْ يا لائِمِي كُنْ هُمُ
ما كُلُّ مَنْ حَرَّرَ أَنْفاسَهُ ... لِكُلِّ ما جِئْتَ بِهِ يُلْهِمُ
إنَّ الفَتى النَّاصِحُ هذا الذي ... يُوضِحُ ما قالَ وَلا يُبْهِمُ[3]
إنَّ الذي جاءَهُمْ ناصِحاً ... مُبَلِّغاً ومُشْفِقاً إنْ هُمُ
كانُوا لِما قَدْ سَمِعُوا أَهْلَهُ ... وعِنْدَنا السَّامِعُ مَنْ يَفْهَمُ
أَلْزَمْتُهُ الهاءُ إلى مِيمِها ... وحُكْمُ ذا فِي الشِّعْرِ لا يَلْزَمُ

150

قال البرعي مادحاً الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام:

سَجَعَتْ بأَيْمَنِ ذِي الأراكِ حَمائِمُهْ ... وهَمَتْ على عَذْبِ العُذَيْبِ غَمائِمُهْ[4]
وسَرى حِجازِيُّ النَّسِيمِ يُعانِقُ الـ ... ـمُخْضَرَّ من أثلاثِهِ ويُلائِمُهْ[5]
فأَجَبْتُ ساجِعَ وُرْقِهِ بِمَدامِعٍ ... ذَرَفَتْ على طَلَلٍ دَرَسْنَ مَعالِمُهْ[6]

---

(1) ماس: مال وانثنى.
(2) البنان: الأصابع.
(3) يبهم: ضد يوضح ويبين.
(4) سجعت الحمامة: رددت صوتها ـ الأراك: شجر يُستاك به.
(5) أثلاثه: شجر كثيف الأغصان يُعمَّر، واحدته أثلة.
(6) الورق: الحمام ـ الطلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار ـ درست الأطلال: انمحت وزالت.

سَحَبَتْ سَحابُ الجوِّ فيه ذُيُولَها ... ومَحاهُ من غَدَقِ الحَيا مُتَراكِمُهْ[1]
وتَضاحَكَتْ أَنْوارُهُ وتَنَوَّعَتْ ... أَزْهارُهُ حينَ ابْتَسَمْنَ كَمائِمُهْ
وتَنَكَّرَتْ أَعْلامُهُ ورُبُوعُهُ ... وتَفَرَّقَتْ هِنْداتُهُ وَفَواطِمُهْ
يا لائِمِي فِيمَنْ كَلِفْتُ فَلَمْ أَفِقْ ... عَنْ لَوْمِ صَبٍّ أَمْرَضَتْهُ لَوائِمُهْ
وأَبِيكَ ما أَنْصَفْتَ في عَذْلِي ولا ... عَلَّمْتَ قَلْبِي غَيْرَ ما هو عالِمُهْ
الحُبُّ ما أَجرى الدُّموعَ صَبابَةً ... وأَباحَ سِرّاً ما بَرِحْتُ أُكاتِمُهْ[2]
وَأَنا الذي لَعِبَ الفِراقُ بِعَقْلِهِ ... لَمَّا تَناءَتْ بالفَرِيقِ رَواسِمُهْ[3]
نَحْدُوا الحِجازَ عَنِ الحِمى وخَلا الحِمى ... مِنْ بَعْدِهِ عَقَداتُهُ وصَرائِمُهْ
فَسَقى الحِجازَ حَيا الغَمامَةِ كُلَّما ... تَبْكِي سَحائِبُهُ وَيَضْحَكُ باسِمُهْ
بَلَدٌ أَضاءَتْ من ضِياءِ مُحَمَّدٍ ... أَحْزانُهُ ونُجُودُهُ وتَهائِمُهْ[4]
وتَطاوَلَتْ رُتَبُ الفَخارِ لِمَنْ دَنا ... لِعُلاهُ إِكْلِيلُ العُلا ونَعائِمُهْ[5]
عَلَمُ النُّبُوَّةِ خاتَمُ الرُّسْلِ الذي ... مَلأَتْ جَمِيعَ العالَمِينَ مَكارِمُهْ
سَيْفٌ حَمائِلُهُ على عُنُقِ الهُدى ... وبِكَفِّ أَخْيارِ الخَلِيقَةِ قائِمُهْ[6]
لَمَّا دَعا الكُفَّارَ بالبِيضِ الظُّبا ... لَبَّتْهُ من جُنْدِ الضَّلالِ جَماجِمُهْ[7]
ومَحَتْ نُجُومَ الشِّرْكِ شَمْسُ ظُهُورِهِ ... وتَتابَعَتْ في المُلْحِدِينَ مَلاحِمُهْ[8]
بِعَرَمْرَمٍ في الخافِقَيْنِ غُبارُهُ ... صُعُداً وفي أُذُنَ السِّماكِ زَمائِمُهْ
مَلأٌ إذا لَبِسُوا الحَدِيدَ رأَيْتَهُمْ ... بَحْراً تَمَوَّجَ بالظُّبا مُتَلاطِمُهْ[9]

---

(1) الحيا: المطر.
(2) الصبابة: الشوق وحرارته.
(3) الفريق: المفارِق، أو الجماعة من الناس ـ رواسمه: نقول: رسمت الناقة أسرعت فهي راسمة.
(4) النجود: جمع نجد وهي الأرض المرتفعة، ومنطقة في شبه الجزيرة ـ التهائم: جمع تهامَة وهي أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن.
(5) الإكليل: التاج.
(6) قائم السيف: مقبضه.
(7) البيض: السيوف ـ الظبا: مفرده ظُبَة ـ وهو حدّ السيف والخنجر وما أشبهها.
(8) الملحدين: جمع ملحد وهو الطاعن في الدين المائل عنه.
(9) الملأ: الجماعة من أشراف القوم.

وأبُو اليَتامي بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ إذا ... زأَرَتْ ضَراغِمُهُ نَهَشْنَ أراقِمُهْ (1)
فَلَقَدْ سَرى مَسْرى النُّجُومِ هُمُومُهُ ... ومَضى مُضِيَّ الباتِراتِ عَزائِمُهْ
شَمْسُ النُّبُوَّةِ من ذُؤَابَةِ هاشِمٍ ... أَضْحى بِهِ فَوْقَ الكَواكِبِ هاشِمُهْ
وحُسامُ دِينٍ ما تَناءَى فِعْلُهُ ... وكَرِيمُ قَوْمٍ أَنْجَبَتْهُ كَرائِمُهْ
إنْ جادَ يَوْمَ الجُودِ فَهو غَمامَةٌ ... أَوْ صالَ يَوْمَ الرَّوعِ فَهو صَوارِمُهْ (2)
ومِنَ المَلائِكِ في المَعارِكِ جُندُهُ ... والمَوْتُ في حَرْبِ الضَّلالَةِ خادِمُهْ
والبِيضُ والأَسْلُ الطِّوالُ ظِلالُهُ ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ والنفُوسُ غَنائِمُهْ (3)
ذاكَ الذي سَجَدَ البَعِيرُ لِوَجْهِهِ ... والجِذْعُ حَنَّ وظَلَّلَتْهُ غَمائِمُهْ
وعَلَيْهِ سَلَّمَتِ الأوابِدُ مِثْلَ ما ... فاضَتْ مِنَ الضَّرْعِ الأَجَدِّ سَواجِمُهْ (4)
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ما زَهْرٌ زَها ... وضَحِكْنَ في خُضْرِ الرُّبا بَواسِمُهْ
فَهو المُتَوَّجُ بالكرامَةِ والذي ... عَصَبَتْ على الكَرَمِ العريضِ عَمائِمُهْ
شَرُفَ الزَّمانُ بِهِ فطارَ فَخارُهُ ... وتَقَطَّعَتْ ظُلُماتُهُ ومَظالِمُهْ
وَزَها بأَحْمَدَ بُرْدُهُ وقَضِيبُهُ ... والتاجُ والحَوْضُ المَعِينُ وخاتَمُهْ (5)
وبِهِ اسْتَبانَ الرُّشْدُ بَعْدَ دُرُوسِهِ ... وزَكَتْ مَطالِعُهُ وأَشْرَقَ ناجِمُهْ
وأَضاءَ مِصْباحُ الهُدى بِمُحَمَّدٍ ... والحَقُّ أَشْرَقَ واسْتَقَمْنَ قوائِمُهْ
لُذْ من جميعِ النَّائِباتِ بِهِ تَجِدْ ... حَرَماً عَلا أنْ تُسْتَباحَ مَحارِمُهْ (6)
وارْمِ الزَّمانَ بِعُظْمِ جاهِ مُحَمَّدٍ ... مَهْما رَمَتْكَ مِنَ الزَّمانِ عَظائِمُهْ
يا مَنْ له البَيْتُ الحَرامُ وفَضْلُهُ ... ومَقامُهُ وحَطِيمُهُ ومَواسِمُهْ (7)

---

(1) الضراغم: الأسود، مفرده ضرغام ـ الأراقم: أخبث الحيّات.
(2) يوم الروع: يوم الحرب ـ صوارمه: سيوفه.
(3) البيض والأسل: السيوف والرماح ـ يوم الكريهة: يوم الحرب.
(4) الأوابد: الوحوش.
(5) البُرد: كساء مخطط يُلتحف به ـ القضيب: الغصن.
(6) لذ: الجأ نائبات الدّهر: مصائبه.
(7) الحطيم: بناء قبالة الميزاب خارج الكعبة.

وله الصَّفا والحِجْرُ والحَجَرُ الذي ... يَرْتادُ ماسِحُهُ النَّعِيمَ ولائِمُهْ
ماذا تُعامِلُني جُعِلْتُ فِداكَ يا ... مَنْ يَرْتَجِيهِ غُرْبُهُ وأَعاجِمُهْ
في يَوْمِ المَظْلُومُ مُنْتَصِرٌ له ... وبِسِجْنِ سِجِّينٍ يُعاقَبُ ظالِمُهْ
ولِخَصْمِهِ يَرْجُو الجَزا وشُهُودُهُ ... الأعْضاءُ والمَلِكُ المُهَيْمِنُ حاكِمُهْ
ناداكَ من بُرَعِ أَسِيرِ ذُنُوبِهِ ... لَمَّا حَمَلْهُ عَنِ المَزارِ مآثِمُهْ[1]
فاشْفَعْ إلى البارِي له فَلَرُبَّما ... تُمْحى بِجاهِكَ في المَعادِ جَرائِمُهْ
إنْ لم تَصِلْ عَبْدَ الرَّحِيمِ بِرَحْمَةٍ ... مَنْ ذاكَ واصِلُهْ سِواكَ وراحِمُهْ
فاخْفِضْ جَناحَكَ يا ابْنَ آمِنَةٍ له ... ولِمَنْ يَلِيهِ مَوَدَّةً ويلائِمُهْ
وتَلَقَّ مَدْحِي بالبِشارةِ واسْتَمِعْ ... ما قالَ ناثِرُهُ عليكَ وناظِمُهْ
فالفَخْرُ مُفْتَخِرٌ وَفيكَ فَخارُهُ ... والجُودُ مَوْجُودٌ ومِنْكَ غَمائِمُهْ
وَعَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ ما هَبَّ الصَّبا ... بِرِياحِ نَجْدٍ أو نَسَمْنَ نَسائِمُهْ[2]
وعلى جميعِ الآلِ والأصْحابِ ما ... سَجَعَتْ بأَيْمَنِ ذِي الأَراكِ حَمائِمُهْ

151

القصيدة البديعية

قالت عائشة الباعونية في مدح رسول الله ﷺ:

في حُسنِ مَطلعِ أقمارٍ بذي سَلَمِ ... أصبَحتُ في زُمرَةِ العُشَّاقِ كالعلَمِ[3]
أَقولُ والدمعُ جارٍ جارحٌ مُقَلِي ... والجارُ جارٍ بِعَذْلٍ فيهِ مُتَّهِمِي[4]
يا لَلهوى، في الهوى رُوحٌ سمحْتُ بها ... ولم أجدْ رُوحَ بُشرى منهُمُ بِهِم
وفي بُكَائِي لحالٍ حالَ من عَدمِ ... لَفَّقتُ صَبراً فما أجدَى لِمنعِ دَمِي[5]

---

(1) المزار: الزيارة.
(2) الصَّبَا: ريح تهب من المشرق ـ نسمت: هبَّت.
(3) العلم: الجبل أو الراية وغيرها.
(4) المقل: العيون، مفردها مقلة.
(5) لفق التهمة: اختلقها واصطنعها من غير حق.

يا سعدُ إن أبصرَتْ عيناكَ كاظِمةً وجئتَ سِلعاً فسَلْ عن أهلِهَا القدُمِ[1]
فَثَمّ أقمَارُ تَمٌّ طالعينَ على طويْلِعٍ، حَيِّهِمْ وانزِلْ بِحَيِّهِمِ[2]
أحِبّةٌ لم يزالوا منتهى أمَلِي وإنْ هُمُوْ بالتَّنائي أوجَبُوا ألَمِي[3]
عَلَوا كَمالاً، جَلوا حسْناً، سَبوا أُمماً زادوا دَلالاً، فَني صَبري فيا سَقَمَي
أحسنتُ ظَنّي وإن هُمْ حاولوا تَلَفي وثَمَّ سرٌّ وَضَنّي فيهِ من شِيَمي[4]
اليَحْمَدِيْ وأبو تَمّام، كُلُّ شجٍ عانى الغرامَ إلى قلبي لأجلِهِمِ[5]
قِيلَ اسْلُهُم، قُلْتُ إن هَبّتْ صَبا سَحَراً وأشرَقَ البدرُ تَمّا سَلْخَ شهرِهِمِ[6]
مالي رُجوعٌ عن الأشجانِ في ولَهي بلْ عنْ سُلُوِّي رُجوعي صَارَ من لَزَمِي[7]
رَجوتُهُم يَعطِفوا فَضْلاً وقدْ عَطفوا لكنْ على تَلَفِي من فَرْطِ عِشْقِهِمِ[8]
هَانَ السُّهادُ غَراماً فيه أقلَقَنِي شَوقاً وعَزَّ الكرى وَجْداً فَلَم أَنَمِ[9]
وعَاذِلٍ رامَ سُلْواني فقلتُ لَهُ: «منَ المُحالِ وُجودُ الصيدِ في الأَجَمِ»
عذلْتَني وادّعَيْتَ النُّصحَ فيه فلا بَرِحْتُ أَسْعَى بِلا حَدٌّ إلى النعمِ[10]
كَيفَ السُّلوُّ ونَارُ الحبِّ موقَدَةٌ وسْطَ الحَشا وعُيونُ الدَّمعِ كالدِيَمِ[11]
وَلي جُفونٌ بغيرِ السُهدِ ما اكتَحَلتْ ولي رُسومٌ بغيرِ السُقْمِ لم تُسَمِ
تَهابُني الأسْدُ في آجامِها، وظُبا تلك الظِبا قد أذلّتني لِعِزِّهِمِ[12]

---

(1) كاظمة: وسلع: موضعان.
(2) أقمار تمّ: الأقمار المكتملون أي البدور.
(3) التنائي: البعاد والفراق.
(4) ثمّ: أي يوجد أو هناك سرٌّ - ضنّي به: احتفاظي به وبخلي - الشيم: الأخلاق والطبائع والعادات.
(5) شج: شجي: وهو الحزين.
(6) اسلُهم: انساهم وانشغل عنهم - صبا: ريح تهب من الشرق.
(7) لزمي: واجباتي.
(8) من فرط: من كثرة.
(9) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم - الكرى: النوم - عزَّ: امتنع.
(10) عذلتني: لمتني.
(11) الديم: مفردها ديمة: المطر الذي يمتد فترة طويلة دون أن يُسمع له صوت.
(12) آجام: مفردها أجمة: مجتمع الشجر وكثيفهُ - الظُّبَا: مفردها ظبَّة: حدُّ السيف والسنان =

أزْروا بِشمسِ الضُحى والبدرِ حينَ بَدوا ... وأومَضَ البرقُ من تلْقاءِ مبتسِمِ
يا نفسُ، ماذا الونىٰ؟ جدّي فإن يصِلوا ... فالقصْدُ، أولى، فموتي مَوتُ محتَشِمِ (1)
لِذِكْرهِمْ صارَ سمعُ العذلِ يُطربني ... من اللَّواحي ويُلجيني لشِكرِهِم (2)
بلغتُ في العِشقِ مَرْمى ليسَ يُدرِكُهُ ... إلاّ خليعٌ صَبا، مِثلي، إلى العَدَمِ (3)
كتمْتُ حَالي، ويأبى كَتْمَهُ شَجَني ... بِحُكْمِيَ الفاضِحَينِ، الدمعِ والسَقَمِ
قالوا ارْعَوِي قُلتُ قلبي ما يُطاوعني ... قَالوا انثَني قلتُ عهدي غيرُ منفصِمِ
قالوا سَلَوْتَ فقلتُ الصَّبرُ في كَلَفي ... قالوا يَئِسْتَ فقلتُ البُرءُ في سَقَمي (4)
يا عَاذِلي أنتَ معذورٌ فسوفَ تَرى ... إذا بَدا الصُّبحُ، ما عطَّى غشا الظُلَمِ
أبْرَمتَ عَذلاً ويُخشى أن تجرَّ به ... إلى السُلُوِّ وما السُّلوانُ من شِيَمي
أجْرِ الأمورَ على إذلالِها فَعَسَى ... تَرى بِعينيْكَ وَجهَ النُصْحِ في كَلِمي (5)
عن ذمِّ مثلِكَ تَبْيانِي أُنزِّهُهُ ... إذ أنتَ عندِيَ معدودٌ من النَّعَمِ
الجهلُ أغواكَ، أمْ في الطَّرْفِ مِنكَ عَمىً ... أغابَ رشدُكَ، أم ضَربٌ من اللَّمَمِ؟ (6)
أتْعبْتَ نَفسَكَ في عَذلي، ومعذرةً ... مني إليكَ، فَسمعِي عنكَ في صَمَمِ
اعذلْ وعَنِّفْ وقُلْ ما اسطَعْتَ لا تَرَني ... إلا كَما شاءَ وجْدي حَافِظاً ذِمَمِي (7)
تَسومُني الصبرَ عمَّن لي حلا بهم ... جميعُ ما مَرَّ من حالاتِ عِشقِهِم (8)
لُمْ يا عذولي وشاهِدْ حُسنَهُم، فإذا ... شاهدتَهُ واستَطَعْتَ اللَّوْمَ بعدَ، لُمِ
أَبِنْ أنِلْ، عَرِّفَن، فرِّغْ لَنا نَبَأً ... من المَلامِ، وحشِّهِ بِوصْفِهِم

= والخنجر وما شابهها.

(1) الونى: الضعف والوهن.

(2) اللواحي: اللائمين والمعنِّفين.

(3) الخليع: من ترك الحياء وركب هواه ـ صَبَا: اشتاق.

(4) الكلف: حب الشيء والتولع به ـ البرء: الشفاء.

(5) الكَلِم: الكلام.

(6) اللَّمم: الجنون.

(7) الوجد: الحب ـ الذِّمم: العهود.

(8) تسومني الأمر: تُكلِّفني وتُلزمني به.

وامزُج مَلامَك بالذِّكرى فإنَّ بها ... تَعَلُّلاً لِعَليلِ الشوقِ من ألَم[1]

كرِّرْ أعِدْ أطرِبِ ابْسُط ثَنِّ غَنِّ أجِبْ ... قل سَلْ جُد ترَنَّم برَّ مُنَّ دُمِ

أعِد حديثَ أحِبّائي فهم عَربٌ ... قد أعرَب الدمعُ فيهم كلَّ مُنعَجِمِ

واستوطَنوا السرَّ منّي فهو منزلُهُم ... ولم أفوّهْ بِهِ يوماً لِغيرِهِم

بدا الصدودُ ببُعدي عن جِوارِهِم ... فعادَ وصلٌ بِقُربي من مَحَلّهِم[2]

أحبّةٌ ما لِقلبي غيرُهُم أرَبٌ ... وحُبُّهم لم يزل يربو من القِدَم[3]

لَزِمتُ صِدقَ ولاهُم والتزمتُ بِهِ ... فلستُ أسلوهُ إلا عن سُلُوّهِم[4]

حَلُّوا بقلبي وحلَّى جودُ منَّتِهِم ... جيدي وشكرُ الأيادي مسمعي وفمي[5]

ما بهجةُ الشمس في الآفاقِ مُسفرةً ... يوماً بأبهَجَ من لألاءِ حُسْنِهِم[6]

لا مَكّنتني المَعالي من سيادتِها ... إن لم أكُنْ من جُملةِ الخَدَمِ

بفضلِهِمْ غَمَروني من فَواضِلِهِمْ ... بما عجِزتُ بِهِ عن حقِّ شُكْرِهِم

وأقبَسوني مُذْ آنَسْتُ نارُهُمُ ... من طُور حضرتِهِمُ نوراً جَلا ظُلَمي[7]

والبَسوني ثيابَ الوصل مُعْلَمَةً ... بقُربِهِم وأقرّوا في العُلا عَلَمي

وخوّلونيَ مُلْكاً فيه فزتُ بهِمْ ... فَوزَ العُفاةِ بوافي فيضِ فضلِهِم[8]

لهم شمائلُ بالإحسان قد شمِلَتْ ... وعلَّمتْ كَرَمَ الأخلاقِ والشِّيَم

ولي عوائدُ منهم بالجميلِ لها ... بِمَنِّهِم اتّصالٌ غيرُ مُنحَسِمِ[9]

قالوا الوفا، راقَ عيشُ المستهامِ بهم، ... فلا جفَا بعدما جادوا بِوَصْلِهِم[10]

---

(1) التَعلُّل: التَّسلّي ـ والانشغال ـ العليل: المريض.

(2) الصدود: التمنّع.

(3) الأرب: المطلب والغاية ـ يربو: ينمو ويزيد.

(4) ولاهم: ولاءهم.

(5) الجيد: العنق.

(6) اللألاء: التلألؤ.

(7) أقبسوني: أعطوني قبساً، أي: شعلة ـ الطور: الجبل.

(8) العفاة: الزائرون طلباً للرزق أو الطعام.

(9) بمنّهم: بفضلهم وعطائهم.

(10) المستهام: المحب العاشق.

حلّوا بقلبي، فيا قلبي تهنَّ بِهِم ... وافرح ولا تلتفت عنهم لِغيرِهِم
قد طالَ شوقي ـ وقلبي منزلٌ لهمُ ـ ... إلى الطُّلولِ التي تسمو باسمِهِمِ (1)
فليتَ شِعري هل حَالي بِمُنتَظِمٍ ... قَبلَ الوفاةِ وهَلْ شَملي بِمُلتئِمِ؟
نعم، نعم، حدَّثتني ـ وهيَ صادقةٌ ـ ... ظنونُ سرِّي حديثاً غيرَ مُتَّهَمِ
عن جودِهمْ، عن نَداهُمْ، عن فَواضِلهم، ... عن منِّهم عن وَفاهُم نَيل بِرِّهِم
سادوا فجودهُم جمٌّ، وبَذلُهُمُ ... حتمٌ، وموْرِدُهُمْ غُنمٌ لكلِّ ظَمي (2)
يا سعدُ، إن ساعَدَ الإسعادُ واجتمَعتْ ... لك الأماني وجئتَ الحيَّ عن أَمَمِ
عَرِّجْ على قاعةِ الوَعْساءِ منعَطفاً ... على العقيقِ، على الجَرعاءِ من إضَمِ (3)
واقصِد مُصلّى به بابُ السلامِ، وقِفْ ... لدى المَقامِ وقبِّلْ موطىءَ القَدَمِ
فلي فؤادٌ بذاك الحيِّ مُرتَهَنٌ ... سلا السُلُوَّ وعانى وجْدَهُ بهم
ناشَدتُهُ اللَّهَ، والأنوارُ مشرقةٌ ... تعلو المعالم من سكانها القُدُمِ
أنتَ الكليمُ، وهذا طورُ حضرتِهِمْ ... أقبِلْ ولا تَخَفِ الواشينَ بالكَلِمِ (4)
وشاهِدِ الحسنَ والإحسانَ جزؤهُمُ ... ولا تَدَعْ منكَ جزءاً غيرَ مقتسَمِ
ولا يصُدّكَ عن بذلِ الوُجُوهِ لهمْ ... نُصحُ اللَّواحي وما صَاغوا بنُطْقِهِمِ (5)
هم المفاليسُ ما ذاقوا الغرام ولا ... أمّوا حمى خيرِ خلقِ اللَّهِ كُلِّهِمِ (6)
محمدُ المصطفى، ابنُ المليح، أبو الز ... هراء، جدُّ أميرَيْ فِتيَةِ الكَرَمِ
الوافرُ العِظَمِ ابنُ الوافرِ العِظَمِ ابـ ... نِ الوافرِ العِظَمِ ابنِ الوافرِ العِظَمِ
المُرتضى المُجتبى المخصوص أحمدُ من ... اختارَه اللَّهُ قبلَ اللَّوحِ والقَلَمِ
خيرِ النبيّينَ والبرهانُ متَّضِحٌ ... عَقلاً ونَقلاً فلم نَرْتَبْ ولم نَهِمِ (7)

---

(1) الطلول: مفردها طلل: ما بقي شاخصاً من آثار الديار.
(2) جمٌّ: كثير.
(3) عرِّج: مِل وانعطف.
(4) الكليم: المُتَكلِّم معه ـ الكَلِم: الكلام.
(5) اللواحي: اللائمين والمعنِّفين.
(6) أمّوا: قصدوا واتجهوا نحو.
(7) نرتب: نَشُك.

أسناهُمُ نَسَباً، أزكاهُمُ حَسَباً ... أعلاهُمُ قُرْباً من بارِىء النَسَمِ[1]
طَهَ المنادَى بألقابِ العُلا شَرَفاً ... وغيرُهُ بالأسامي، ضِمْنَ كُتْبِهِمِ
عَزَّت جلالَتُهُ، جلَّت مَكانَتُهُ ... عمّت هدايتُهُ للخَلْقِ بالنِّعَمِ
أَعظِم بِهِ من نبيٍّ مُرسلٍ نزلتْ ... في مدحِهِ مُحكَمُ الآياتِ من حِكَمِ
يُنبي مُفصَّلُها عن عزٍّ مرتبةٍ ... من قابِ قوسينِ لَم تدرَك ولم تُرمِ[2]
تبارَكَ اللَّه من أوحى إليه بما ... أوحى، وخصَّصَهُ بالمنتهى العظَمِ
بِرُتبةِ القابِ، بالأدنى بحَظوَتِهِ ... برؤيةِ اللَّهِ، بالإيناسِ، بالكَلِمِ
دَنا ونَالَ فلا ثانٍ يشارِكُهُ ... في ما حَواهُ من التَّخصيصِ والكَرمِ
أتى وكان نبياً عندَ خالِقِهِ ... قِدماً وآدمُ طينٌ بعدُ لمْ يَقُمِ
ذُو الجاهِ حيثُ يضمُّ الخَلقَ مَحشَرُهُم ... ولا يُرى غيرُهُ في الكَشفِ للغُمَمِ
ذو المجدِ حيثُ أُهَيلُ المجدِ قاطِبَةً ... تسيرُ تحتَ لِواهُ يومَ حشرِهِمِ[3]
ذُو المعجِزاتِ التي منها الكتابُ فيا ... بُشْرى لِمُقْتَبِسٍ مِنْهُ بكلِّ جَمِ[4]
يُتْلى ويَحلو ولا يَبلى وليس لهُ ... مُبَدِّلٌ، وهو حَبلُ اللَّهِ، فاعتَصِمِ
قلْ للّذي ينتهي عمّا يحاوِلُهُ ... من حصْرِ مُعجِزِ طَهَ الطاهِرِ الشِيَمِ
كَمْ أعقَبَتْ راحةً باللَّمْسِ راحَتُهُ ... وكَمْ مَحا مِحنَةً ريقٌ لهُ بِفَمِ
والنَّيرانِ أطاعاهُ، فتلكَ بَدَتْ ... بعدَ الأُفولِ، وهذا شُقَّ في الظُّلَمِ[5]
والماءُ من أصبعيهِ فاضَ فيضَ ندىً ... كفّيهِ، مردودُ هذا مُعدِمُ العَدَمِ
فَريدُ حُسْنٍ تَسامَى عن مُماثَلَةٍ ... في الخَلْقِ والخُلقِ والأحكامِ والحِكَمِ
بدرُ الكَمالِ، كمالُ البدرِ مُكتَسَبٌ ... من نورِهِ وضياءُ الشمسِ، فاعتلمِ!
أعظِمْ به من نبيٍّ سيِّدٍ سَنَدٍ ... هادٍ، سِراجٍ مُنيرٍ، صفوةِ القُدَمِ

(1) أسناهم: أرفعهم وأعزُّهم.
(2) القاب: مابين مقبض القوس وطرفها.
(3) أهيل: أهل ـ لواه: لوائه.
(4) المقتبس: من يطلب شعلة.
(5) النّيران: الشمس والقمر ـ الأفول: الغياب.

بالحقِ مشتغلٍ، في الخلقِ مُكتملٍ ... بالبرِّ مُلتزمٍ، بالبرّ مُعتصِمِ
للبذلِ مغتنمٍ، بالبشر مُتَّسِمِ ... يسمو بمبتسمٍ كالدرِّ منتظِمِ(1)
مُمَجَّدِ الذِّكرِ في الفرقانِ بالعظَمِ ... مُحَمّدِ الأمرِ في التبيانِ من حِكَمِ
جَمالُ صورَتِهِ عنوانُ سيرتِهِ ... هذا بَديعٌ وهذي آيةُ الأُمَمِ
ولو غَدا البحرُ حِبراً والفَضا وَرَقاً ... في حصرِ أوصافِهِ ضَاقا ببعضِهِمِ
وذكرُهُ كادَ، لولا سُنّةٌ سبقَتْ، ... إذا تكرَّر يُحيى بالِيَ الرِّمَمِ(2)
علا عنِ المِثْلِ فالتشبيهُ مُمتنِعٌ ... في وصفهِ وقصورُ العقلِ كالعلمِ
إذ كلُّ حُسْنٍ مفاضٌ من محاسنِهِ ... وكلُّ حُسنَى فمن إحسانِهِ العممِ
محمّدٌ اسمُهُ نعتٌ لجمْلَةِ ما ... في الذِّكر من مدحِهِ في «نون والقلم»
عُلاهُ كالشَّمسِ لا يَخفى على بَصَرٍ ... والوجهُ كالبدرِ يجلو حالِكَ الظُّلَمِ
ولو كانَ ثَمَّ مثيلٌ قلتُ «طلعتُهُ ... كالبدرِ» حاشا تعالى كامِلَ العِظَمِ
قالوا: هوَ الغيثُ، قلتُ الغيثُ آوِنَةً ... يَهمِي، وغيثُ نَداهُ لا يزالُ هَمِي(3)
يُعطي العُفاةَ أمانِيَهُمْ فلستَ ترى ... في حُبِّهِ غيرَ ممنوحٍ ومُغْتَنِمِ
في النورِ لاح عُلاهُ لا نَظيرَ لهُ ... نورُ القرآن قرآناً من لَدُنْ حَكَمِ(4)
حَازَ الجَمالَ فما في حسنِ مُتَّصِفٍ ... بشطرِهِ بعضُ ما في سيِّدِ الأُمَمِ(5)
هو الحبيبُ من الرَّحمٰنِ رَحمتُهُ ... للعالَمينَ بإيجادٍ من العَدَمِ
غَوْثُ الورى، كعبةُ الآمالِ، ملتزمي ... في حبِّه بالتفاني صَارَ من لزِمي(6)
جَرَّدتُ حجّي له من كلّ مفسِدَةٍ ... ولم تزل بالصَفا تسعى لُه قدمي
بحرُ الوفاءِ دعاني بالوفاءِ إلى ... نَيْلِ الوفاءِ ورَوّاني من النغمِ

---

(1) البذل: العطاء والجود - متّسم: متّصف - المبتسم: الفم - الدُّرُّ: اللؤلؤ.
(2) الرِّمَم: مفردها رِمَّة: العظام البالية.
(3) الغيث: المطر - يهمي: يهطل.
(4) من لَدُنْ فلان: من عند فلان.
(5) حاز: ملك.
(6) اللُّزم: الواجبات التي لا يمكن تركها.

بَـلـغـتُ مـا رُمْـتُـهُ مـنـهـم فـلـم أرُمِ عمّـن جَـلا غُـمَـمِـي بـالـعزمِ والـهِمَـمِ
وأفـرِدْهُ الـمدحِ واستثني بـمدحِـكَ مَـنْ حازوا عُلا الفضلِ مذ فازوا بسبقهمِ
البـاذِلو النفسِ بَذْلَ الـمالِ من يدهمْ والحافِظو الجارِ حِفظَ العهدِ والذمَمِ
لا يُـسلـبـونَ بـفـضـلِ اللَّـهِ ما وُهِـبـوا ويـسـلـبـوا ضـررَ الإمـلاقِ بـالـكَـرَمِ(1)
سودُ الوقائعِ، حُمرُ البيضِ في حربِ خضرُ المرابعِ بيضُ الفعْلِ في سلَمِ
كـأنـهُـم فـي عَـجـاجِ الـنَّـقْـعِ حيـنَ بَـدوا بُـدورُ تَـمٍّ بَـدَتْ فـي حـنْـدسِ الـظُّـلَـمِ(2)
لـلـجـمـع فـلُّـوا ومـا فـلَّـت عـزائـمُـهُـمْ وهيَ المواضي على استئصالِ كلِّ عمِ
هُـمُ الـنـجـومُ فـمـا أسـنـى مـطَـالِـعَـهُـمْ فـي أُفـقِ مـلَّـتِـهِ الـبـيـضـا بـهـديـهِـمِ(3)
لا يـمـزجُ الـشـكُّ مـنـهـم صـفـوَ مـعـتَـقَـدٍ ولا يـشـيـنُ الـتُـقـى بـالـلـمِّ والـلـمَـمِ
بـالـسَّـبـقِ فـازوا بـتـخـصـيـصٍ، تَـقَـدَّمَـهُـم فـيـهِ خـلـيـفَـتُـهُ الـصـديـقُ ذُو الـقـدَمِ
لا عـيـبَ فـيـهِـم سِـوى أنْ لا يُـضَـامَ لـهـم وفْـدٌ ولا يـبـخَـلـوا بـالـرَّفـدِ فـي الـعدمِ(4)
طَـهَ الَّـذي إن أخَـفْ ذنـبـي ولُـذتُ بِـهِ آمـنـتُ خَـوفـي ونَـجَّـانـي مـن الـنِّـقَـمِ(5)
ولا طـمـحـتُ إلـى نـيـلٍ مـن الـكَـرَمِ إلا وبَـلَّـغَـنـي فـوقَ الـذي أرُمِ
مـا هـبّـتِ الـريـحُ إلا شِـمْـتُ بَـرقَ وفـا لـي فـيـهِ وبلَ عطا من ديمةِ الـنِّـعَـمِ(6)
يـا أكـرمَ الـرُسْـلِ سُـؤلـي مـنـكَ غـيـرُ خفِ وأنـتَ أكـرمُ مَـدعـوٍّ إلـى الـكَـرَمِ
حسْبي بـحُـبِّـكَ أنَّ الـمرءَ يُـحشَـرُ مـع أحـبـابِـهِ فـهَـنـائـي غـيـرُ مـنـحَـسِـمِ(7)
مَـدحـتُ مـجـدَكَ والإخـلاصُ مـلـتَـزَمي فـيـهِ وحُـسنُ امـتداحِي فـيـكَ مَـخْـتَـتَـمي

152

قال ابن عربي:

(1) الإملاق: الفقر.
(2) العجاج والنقع: الغبار ـ الحندس: شديد السواد.
(3) ما أسنى النجم: ما أشد نوره.
(4) يُضام: يُظلم ـ الرفد: الوصل والعطاء.
(5) لذت به: لجأت إليه.
(6) وفا: وفاء ـ عطا: عطاء.
(7) منحسم: مقطوع.

النُّورُ سِتْرُ الذي الأظلامُ تحجُبُهُ عَنّا وتَرْفَعُهُ مَفاتِحُ الكَرَمِ[1]
وَقُلْ بِهِ كَرَماً إنْ كُنْتَ ذا كَرَمٍ فإنَّما الكَشْفُ بينَ النُّورِ والظُّلَمِ
ما أُسْدِلَ السِّتْرُ إلاّ أنْ يَصُونَ بِهِ وَجْهَ الكِيانِ مِنَ الإحراقِ والعَدَمِ
إذا أرَدْتَ تَرى ما لا تَراهُ فَكُنْ بِهِ عَلى قَدَمٍ عَلْياءَ مِنْ قَدَمِ
لَهُ الإحاطَةُ لَيْسَتْ لِي فأطْلُبُها فإنَّها قَدْ تُؤدِّيني إلى النَّدَمِ
لا شَيءَ أعْلَمَ بَعْدَ اللّهِ مِنْهُ سِوى نُونِ الدَّواةِ فرأسُ السَّيِّدِ القَلَمِ
هُوَ المُفَصِّلُ ما فِي النُّونِ أجْمَلَهُ رَبُّ العِبادِ بِمَنْثُورٍ وَمُنْتَظِمِ
فهذِهِ حِكَمٌ جاءَتْكَ مِنْ حِكَمٍ لَهُ التَّحَكُّمُ في الألْبابِ بالحِكَمِ[2]
فالعِلْمُ فِي عالَمِ الأنْوارِ والظُّلَمِ أقْوَى ظهوراً مِنَ العِرفانِ في الكَلِمِ

153

قال بهاء الدين زهير واصفاً حنينه وشوقه لمحبوبه:

سَلامي عَلى مَن لا يَرُدّ سَلامي لَقَد هانَ قَدري عِندَه وَمَقامي[3]
وَإنّي عَلى مَن لا أُسَمّيهِ عاتِبٌ فَيا رَبّ لا يَبلُغْ إلَيهِ كَلامي
فَكَمْ بَيْنَنا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَوَدّةٍ وَكَمْ بَينَنا مِنْ مَوْثِقٍ وذِمامِ[4]
يَحُقّ لَكُمْ هذا التّصَلّفُ كُلُّهُ لِعِلْمِكُمُ وَجدي بِكُمْ وغَرامي[5]
حفِظتُ لكُمْ وُدّاً أضَعتُم عُهودَه فَها هوَ مَختومٌ لَكُمْ بخِتامي
أحِنّ إلَيكُمْ كلّ يومٍ ولَيلَةٍ وَأهذي بكُمْ في يقظتي ومَنامي[6]
فلا تُنكِروا طيبَ النّسيمِ إذا سرَى إليكُمْ فذاكَ الطّيبُ فيهِ سَلامي

---

(1) الستر الغطاء.
(2) الألباب: العقول.
(3) هان قدري: قلّ.
(4) الذمام: العهد والأمان.
(5) التصلُّف: التكبر ـ الوجد: الحب.
(6) أهذي: أتكلم كلاماً غير مفهوم.

فَهَلْ عائِدٌ منكُمْ رَسولي بفَرْحَةٍ كَفَرْحَةِ حُبلَى بُشّرَتْ بغُلامِ
ويَرْتاحُ قَلبي للصّعيدِ وأهْلِهِ وعَيشٍ مضَى لي عندهم ومَقامي
وَأهوَى وُرُودَ النّيلِ من أجل أنّهُ يَمُرّ عَلى قَوْمٍ عَليّ كِرامِ

154

قال التلعفري مادحاً:

بِأَبِي أنتَ، يَا خَليلي، وأُمِّي أنتَ قوسي إذا رَمَيْتُ وسَهمي (1)
أَنتَ واللَّهِ سيِّدي، لي حُسامٌ فيهِ للنَّائباتِ أعظمُ حَسمِ (2)
كيفَ أَخْشَى ذُلِّي ولي مِنْكَ عَزٌّ مَا ترقَّتْ إليْهِ هِمَّةُ نَجمِ
نظمَتْ فيْكَ لِلمعالي عُقُوداً معجزات جميعُ نَثري ونَظمي
اللَّيَالي عِنْدِي ظَلامٌ وظُلمٌ بعد ذا اللمى وذاك الظلمِ (3)

155

قال ابن عربي:

مَقُولاتُ أَهْلِ العِلْمِ مَحْصُورَةُ الكَمِّ بِجَوْهَرِ أَعْراضٍ مَع الكَيْفِ والكمِّ (4)
وَتَتْلُو إضافاتٌ وَوَضعٌ مُحَقَّقٌ وَلَفْظُ مَتى والأَيْنُ مِنْها لِذِي أمّْ
وَفاعِلُ أشْياءٍ ومُنْفَعِلٌ لَهُ وَما ثَمَّ إلاّ ما ذَكَرْتُ مِنَ الحُكْمِ (5)
وَقَدْ قَسَمُوا لَفْظِي فَلَفْظٌ مُحَقَّقٌ يَدُلُّ على مَعْنىً كَما جاءَ فِي العِلْمِ
وإنْ قَدَّمُوا المَعْنى عَلَيْهِ فإنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ أيُّ لَفْظٍ لِذِي فَهْمِ

---

(1) بأبي وأمي: أي أفديك بهما.
(2) الحسام: السيف ـ النائبات: الحوادث ـ والمصائب ـ الحسم: القطع والفصل.
(3) اللمىٰ: سُمرة في الشفة مستحسنة ـ الظلم: بريق الأسنان وماؤه.
(4) جوهر الشيء: حقيقته الثابتة ضد العَرَض.
(5) ما ثمَّ: أي لا يوجد.

وَقَدْ حَصَرُوا فِي المُفْرَداتِ حَقائِقاً كَجِنْسٍ وَنَوْعٍ ثُمَّ فَصْلٍ بِلا قِسْمِ
وَيَتْلُوهُ ما يَخْتَصُّ مِنْهُ بِذاتِهِ وعارِضُ أَمْرٍ أَقُلْ ذاكَ عَنْ وَهْمِ
فَتَقْتَنِصُ الأَفْرادُ بالحَدِّ والذي تَرَكَّبَ مِنْها بالبَراهِينِ فِي عِلْمِي
فَبُرْهانُ تَحْقِيقٍ وبُرْهانُ رافِعٍ وبُرْهانُ إِفْصاحٍ وسَفْسَطَةُ الخَصْمِ (1)
وما ثَمَّ إلاَّ ما ذَكَرْتُ فَحَقِّقُوا وَلا تَكُ مِنْ أَهْلِ التَّحَكُّمِ والظُّلْمِ
فإِنِّي أَتَيْتُ الأَمْرَ فِي ذاكَ قاصِداً فَقُلْ وَتَنَزَّهْ عَنْ مَلامِي وَعَنْ ذَمِّي
وهذِي عُلُومٌ إِنْ تَأَمَّلْتَها بَدا لِعَينِ سَناها فِي الإِضاءَةِ كالنَّجْمِ
وَما لَفْظُهُ إلا مِثالٌ مُحَقَّقٌ لَها فانْظُرُوهُ بالتَّقاسِيمِ فِي القِسْمِ

156

قال الشاب الظريف نادباً حظَّه التَّعِس في مطلع إحدى مِدَحِه:

أملٌ سَعيتُ أجدُّ في إتمامِهِ فعلامَ حلَّ الدَّهرُ عقدَ نظامِهِ (2)
وإلى متى يَسعى الزمانُ لنقضِ مَا أسعى بكلِّ الجهدِ في إبرامِهِ؟ (3)
وإذا الفتى قَعدتْ قوائمُ حظِّهِ قامَ الرَّدى من خلفِهِ وأمامِهِ؟ (4)
أأُذلُّ في أيامِ مَنْ قَدْ كانَ لي ظنٌّ بنيلِ العِزِّ في أيَّامِهِ؟
أينَ المروءةُ والقيامُ بحقِّ مَنْ لقِيَ إليكَ ذِمامَهُ بزمامِهِ؟ (5)
لا تحقِرَنَّ صغيرَ قومٍ رُبَّما كُبُرَتْ فضائِلُهُ على أقوامِهِ؟
تَعسَ الشبابُ فما سعدتُ بشرخِهِ ولقد شَقِيْتُ بظُلْمِهِ وظَلامِهِ (6)
أمُكلِّفي ذنبَ الزمانِ ولَيْس لي ذَنبٌ يُؤاخِذني على إجرامِهِ

(1) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والفرض منه إفحام الخظم وإسكاته.
(2) أجدُّ: أسعى بكل جهدي ـ حلَّ: فك ـ نظامه: النظام السلك الذي ينظم العقد.
(3) النقض: إفساد الشيء بعد إحكامه.
(4) الردى: الموت.
(5) الذِّمام: العهد والأمان ـ بزمامه: يقصد بنفسه.
(6) شرخ الشباب: أوّله ونضارته.

الـرِّزقُ أَحْـقَـرُ أَنْ أُضـيِّـعَ مُـدَّتـي ... بـالـعـذرِ عـنـدَ سِـواكُـمُ ومـلامِـهِ

157

قالت عائشة الباعونية مادحة النبي ﷺ:

نَـبـيٌّ بَـراهُ الـلَّـهُ مـن نـورِهِ الأسـمَـى ... ولا عرشَ موجودٌ ولا حَادِثَ يُسمَّى[1]
وأبـدَعَ كـلَّ الـكـائـنـاتِ لأجـلِـهِ ... ليجلُوْ عليها مظهَرَ الرَّحمةِ العُظمى
وخـصَّـصـه مـنـهُ بـمـا شـاءَ مِـنَّـةً ... وأودعـه سِـرّاً ووسَّـعَـهُ عِـلـمَـا
وأَشـهـدَهُ ذاتـاً وعـرَّفَـهُ حـلـىً ... ومَـكَّـنـهُ قُـربـاً وصـرَّمـه حُـكْـمَـا
وَنـبَّـأَهُ قِـدَمـاً فـأعـظِـمْ بـفـاتـحٍ ... نُـبُـوَّتـهُ لـلأنـبـيـاءِ غَـدتْ خَـتْـمَـا[2]
وأرسـلَـهُ فَـضْـلاً إلى الـخلـقِ كُـلِّـهِـم ... واسبَغَ في إرسالِهِ الفَضْلَ والنّعمَا
وأفـرَدَهُ بـالأولـيـةِ مـطـلَـقـاً ... بـكـلِّ كـمـالٍ لا يُـرامُ لـهُ مَـرمَـى
وفي العَهدِ يَومَ الذَّرِّ تقديمهُ جَلا ... علاهُ على الأعيانِ قاطبةً حَتمَا
وفـي قَـسَـمِ الـمولـى لـهُ بـحـيـاتِـهِ ... آجلْ نَظَراً تلقاه أوفرَهُم قسمَا
وأَعـلاهُـمُ قَـدراً وأشـرفُـهـمْ عُـلاً ... وأكـرمُـهُـمْ جاهاً وأثـبـتـهُـمْ عَـزْمَـا
وأرفعـهُـمْ ذِكْـراً وأعـظـمُـهُـمْ تُـقَـى ... وأوسعهُمْ عِلمَاً وأجودُهُم فَهْمَا[3]
وأعـدَلَـهُـمْ حـكـمـاً وأرجـحُـهُـمْ نُـهَـى ... وأحسنُهُم خلقاً وأكثرُهُم حِلمَا[4]
وأكـمَـلُـهُـم ذَاتـاً وأطـهَـرُهُـم حـلـى ... وأجملُهُم وجْهَاً وأشرَفُهُم جِسْمَا
وأعـظـمُـهُـم بـأسـاً وأمـنـعُـهُـم حِـمَّـى ... وأصدقُهُم قِيلاً وأحمدُهُم اسْمَا[5]
وحَـسـبُـكَ بُـرهَـانـاً عـلـى ذاكَ أنَّـهُ ... بـهِـمْ لـيـلـةَ الإسـراءِ قـاطـبـةً أمَّـا[6]

(1) براه: خلقه ـ الأسمى: الأعلى.
(2) نبأهُ: خبَّره.
(3) التقى: الورع والخوف من الله في كل حال.
(4) النهى: العقل.
(5) القيل: القول.
(6) أمَّا: أمَّهُم أي كان إماماً لهم.

وقامَ مقاماً لم يقمْ غيرهُ به | مكيناً بقابِ القُربِ مستعمِلاً حَزْمَا
وشاهَد آياتِ الإلٰه ومالَها | بِسُعدى عن المقصودِ كلاً ولا سَلمىٰ
وخُصِّصَ في يومِ الجزا بشفاعَةٍ | تَعمُّ بحسْنَاها إذا قَلِقُوا غَمَّا[1]
وَحَشْرُ جميعِ الرُّسلِ تحتَ لوائِهِ | فللَّهِ ما أسناهُ مجداً وما أسما
ولولا ضياهُ لاحَ في وجْهِ آدم | لما أمرَ الأملاكَ أنْ يسجُدُوا لزما
تحيةُ إعظامٍ لمجدِ محمَّدٍ | نبيِّ الهُدى الماحي بأنوارِهِ الظُّلمَا
عليهِ مِنَ الرَّحمٰنِ أزكى صلاتِهِ | صَلاةٌ بحقِّ الحقِّ تستهلِكُ الوهمَا
مدى الدَّهرِ ما انهلَّتْ سحائِبُ وَصْلِهِ | ووافى غياثُ اللَّهِ بالمننِ العُظمَى[2]

158

قال صفي الدين الحليّ يصف عازف عودٍ من الغلمان:

شجَى وشفَى، لما شَدا وترَنّما، | فأنعَسَ أيقاظاً وأيقَظَ نُوّمَا[3]
وجَسّ من الأوتارِ مُثنًى ومَثلَثاً، | فحَقّتْ بنا الأفراحُ فذّاً وتَوأمَا[4]
أغنُّ كأنّ العُودَ ضَمّ صَدىً له، | يُحاكِيهِ في ألفاظِهِ إن تَكَلّمَا
يُحاكيهِ في الحالَينِ صَوتاً ولهجةً، | فقد كادَ يُلفَى ضاحِكاً مَتبسِّمَا
إذا رَتّلَتْ ألفاظُهُ الشّعرَ مُعرَباً، | أعادَتْ لَنا أوتارُهُ اللّفظَ مُعجَمَا
له مَنطِقٌ يَستَنزِلُ القَطْرَ عندَما | يحرّكُ في الأوتارِ كَفّاً ومِعصَمَا
يَضمّ إلى نَهدِيهِ عُوداً تَظنّهُ | نَسيماً مُجَزّاً، أو نَعيماً مُجسَّمَا
كأنْ حَشاهُ ضَمّ سرّاً مكَتَّماً، | يُمَوّهُ عَنه، أو حديثاً مُجمجَمَا[5]

---

(1) الجزا: الجزاء.
(2) انهلت: هطلت: وانسكبت.
(3) شجىٰ: أحزَنَ ـ شدا: غنّى ـ ترنما: طرَّب بصوته وتغنّى.
(4) جسَّ: مَسَّ ـ مثنى ومثلثاً: من أوتار العود ـ فذاً: فرداً.
(5) الحديث المجمجم: الحديث غير المفهوم وغير الواضح.

يُطارِحُنا شرحَ الضروبِ مُبرِهِناً، فنأخُذُ نَقلَ اللّفظِ عَنهُ مُسلَّمَا
وإن حَرّكتهُ الكَفُّ أبدى تَمَلمُلاً، فحرّكَ منّا يَذبُلاً ويَلَملَمَا

159

قال ابن نباتة مادحاً الملك الأفضل ويعزيه بوفاة والده الملك المؤيد الأيوبي:

هناءٌ مَحَا ذاكَ العَزاءَ المقدَّما فما عَبَس المحزونُ حتى تَبَسَّما
ثغورُ ابتسامٍ في ثغورِ مدامعٍ شبيهانِ لا يمتازُ ذو السَّبْقِ منهما
نَرُدُّ مجاري الدمع والبِشْرُ واضحٌ كَوَابلِ غيثٍ في ضُحى الشَّمسِ قد هَمَى[1]
سَقَى الغيثُ عَنّا تُرْبَةَ المَلِكِ الذي عهدْنا سَجاياه أبَرَّ وأكرَمَا[2]
ودامتْ يَدُ النعمى على الملك الذي تدانت له الدنيا وعزَّ به الحِمَى[3]
مليكانِ هذا قد هَوَى لضريحِهِ برَغْمِي، وهذا للأسِرَّةِ قد سَمَا[4]
فَقَدْنا لأعنانِ البرية مالكاً وَشِمْنا لأنواعِ الجميلِ مُتَمِّما[5]
إذا الأفضلُ المَلْكُ اعتبرتَ مَقَامَهُ وجدتَ زمانَ المُلْك قد عاد مِثْلَما[6]
أعادَ معاني البيت حتى حَسِبْتَهُ بِوَزْنِ الثَّنا والحمدِ بيتاً مُنَظَّما
ونَاداه مُلْكٌ قد تقادَمَ إرْثُهُ فقام كما تَرْضَى العُلا وتَقَدَّما
تقابلُ منه مُقْلَةُ الدهرِ سُؤْدَداً صميماً وتَنْضُو الرأي عَضباً مُصَمِّما[7]
وَيَقْسِمُ فينا كلَّ سَهْمٍ من النَّدَى ويبعثُ للأعداء في الرَّوْعِ أسْهُما

(1) البشر: طلاقة الوجه ـ الوابل: المطر الغزير ـ همى: هطل.
(2) السجايا: الصفات.
(3) عزَّ: أصبح عزيزاً أي منيعاً.
(4) الضريح: القبر.
(5) شمنا: تطَّلعْنا مترقبين.
(6) مثلما: أي مثلما كان.
(7) المقلة: العين ـ السؤدد: السيادة ـ ينضو السيف: يخرجه من غمده ويشهده في وجه غريمه.

فَعِشْ للوَرَى واسْلَمْ سعيداً مُهَنَّأً ... فحظُّ الوَرَى في أن تعيشَ وتَسْلَما[1]
وسِرْ في أمانِ اللَّهِ قُدْماً بفضلِهِ ... أَسَرَّ الوَرَى مَسْرىً وأيمَنَ مَقْدَما
أَعَدْتَ زمانَ البِشْرِ والجود والثَّنَا ... إلى أن ملأتَ العينَ والأنفَ والفَمَا

160

قال ابن عربي:

عَلَيْكَ بِحِفْظِ النَّفْسِ فالأَمْرُ بيِّنٌ ... فإنَّ وُجُودَ القِشْرِ لِلُّبِّ صائِنُ
يَصُونُ بِحُكْمِ الحالِ لا عِلْمَ عِنْدَهُ ... فَما يَدْرِي ما تَحْوِي عَلَيْهِ المَصاوِنُ
وإنَّ وُجُودِي صائِنٌ مَنْ عَلِمْتَهُ ... وبَيْنِي وبَيْنَ الحَقِّ فيهِ تَبايُنُ
فَيَحْفَظُنِي وَقْتاً وَوَقْتاً أَصُونُهُ ... ويَدْرِي الذي قَدْ قُلْتُهُ مَنْ يُعايِنُ[2]
فَما ثَمَّ إلاّ الكَشْفُ ما ثَمَّ غَيْرُهُ ... وَما بَعْدَ عِلْمِ العَيْنِ عِلْمٌ يُوازِنُ
إذا كانَ مَخْدُومِي الذي قَدْ تَرَكْتُهُ ... بِبَسْطامَ خَلْفِي قُلْ لِمَنْ أنا سادِنُ[3]
إذا كانَ مَطْلُوبِي وَمَنْ هُوَ غايَتِي ... وبَذْلِي فَما في العالَمِينَ تَغابُنُ
أرى فِتْيَةً عَمْياءَ جاءَتْ لِنُصْرَتِي ... تَقُولُ لَنا بالحالِ أَنْتَ المُفاتِنُ
فَحَصَّلْتُ مِنْها كُلَّ خَيْرٍ وإنَّنِي ... أُسايِفُ أَوْقاتاً وَوَقْتاً أُطاعِنُ[4]
وَما أَنْتَ فِيها ذُو نَواءٍ نَوَيْتَهُ ... وَلا أنا عَنْها بالجَماعَةِ ظاعِنُ[5]
فَمَنْ شاءَ فَلْيَرْحَلْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَقُمْ ... فَما الأَمْرُ إلاّ كائِنٌ وَهُوَ بائِنُ[6]

161

يقول التلعفري وقد هاجت الأشواق في قلبه حنيناً إلى دمشق:

---

(1) الورى: الناس.
(2) يعاين: ينظر ويتأمل ويتفكر.
(3) السادن: الخادم في الأماكن ذات الطابع الديني.
(4) أسايف: أحارب بالسيف ـ أطعان: أطعن بالرمح.
(5) ظاعن: مسافر.
(6) البائن: البعيد المفارق.

يَهيجُ بِالنِّيلِ بي شَوقي إلى بَرَدَى … إنِّ ومنْ بَردِهِ ظمآنُ لهفَانُ[1]

اللّهُ يا ورقُ في عَاني الحَشَا وَصب … صَبٌّ لهُ من رُبَا جَيْرونَ جيرانُ[2]

يقولُ، وَهوَ بمصرٍ عندَ حَاجِرِهَا … ليسَ اللُّبَانَةُ إلا حيثُ لبنانُ[3]

جَادتكَ يا شَرفَ الميدانِ سَاريةٌ … ولا تعدَّاكَ هَامِي الوَدْقِ هَتَّانُ[4]

وَدُبِّجَتْ لكَ يَا سطرى سُطورَ رُباً … من الرياضِ لها بالزهرِ ألوانُ[5]

وفاحَ يَا وادِيَ الشَّقراءِ مِنْكَ شَذاً … يَضيعُ حينَ يضُوعُ الوَرْدُ والبَانُ[6]

ورَاقَ مَاؤكَ يَا ثورَا ولا بَرِحَتْ … تَميلُ فوقَكَ بالأطيَارِ أغصانُ

وَدامَ دَفقُكَ يَا بَانَاسُ متَّصِلاً … حتى يُرى كلُّ ظامٍ وَهوَ رَيَّانُ[7]

تِلكَ الجِنَانُ التي حيْثُ التَفَتَّ تَرى … قَصْراً مَشيداً بِهِ حُورٌ ووِلْدَانُ

تَدْعُوكَ فيها إلى اللَّذَّاتِ أربعةٌ … بَيعُ الحياةِ بِهَا ما فيهِ خَسْرَانُ

ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ باردٌ غَدِقٌ … وجَوسَقٌ مشرفٌ عالٍ وَبُستَانُ[8]

162

وقال بهاء الدين البهائي (*) راثياً مدينة دمشق عندما هاجمها تيمورلنك، واصفاً ما حلّ بها من تدمير وقتل وسبي على أيدي التتار:

---

(1) ظمآن: عطشان ـ لهفان: متلهفٌ مشتاق.

(2) الورق: الحَمَام ـ العاني: المريض المتعب ـ الوَصَب: الموجع والمرض ـ الصبّ: المحب المتشاق ـ جيرون: يقصد دمشق.

(3) اللبانة: الحاجة.

(4) السارية: الغيمة ـ الودق: المطر ـ همي وهتن: هطل.

(5) دُبّجت: زُيِّنت ووشِّحت.

(6) يضوع العطر: يفوح وينتشر.

(7) باناس وثورا: من فروع بردى.

(8) الجوسق: الحصن أو القصر ـ غدق: غزير.

(*) بهاء الدين البهائي: شاعر دمشقي من أصل تركي، عاش في دمشق وتوفي فيها سنة 815هـ ـ وقد تردد إلى القاهرة عدة مرات ـ وله شعر في الوصف وفي أغراض أخرى.

لهفي على تِلكَ البروجِ وحُسْنِها حفَّتْ بهنَّ طوارقُ الحَدَثانِ[1]
لهفي على وادي دمشقَ ولُطْفِهِ وتبدُّلِ الغزلانِ بالثيرانِ
وشكا الحريقَ فؤادُها لمَّا رأت نُوْرَ المنازل أُبدلت بِدُخانِ
جَنَّاتها في الماء منها أُضرمتْ فَعَجِبْتُ للجَنَّاتِ في النيرانِ
كانت معاصمُ نَهْرِها فضيَّةً والآن صِرْنَ كذائب العِقْيانِ[2]
ما ذاك إلاّ تُرْكُهُم وَلِجَتْ بها فتخضَّبتْ منها بأحمرَ قانِ[3]
كرهت جداولُها حوافرَ خيلهم فتسابقت هرباً كخيل رهانِ
خافت خدودُ الأرض من أفعالهم فَتَلَثَّمَتْ بعوارِضِ الريحانِ
لو عاينتْ عيناكَ جامعَ تنكزٍ والبِرْكَتَيْنِ بحسنها الفتَّانِ
وتعطُّشَ المَرْجَيْن من أورادها وتهدُّمَ المحراب والإيوانِ[4]
لاذَتْ جفونُكَ بالدموعِ ملوّنا دمعاً على اللولو مع المرجانِ[5]
قطراتُ جَفْنٍ تَرْجَمَتْ عن حُرْقتي فكأنهنَّ قلائدُ العِقْيانِ
أبني أميَّةَ أينَ يُمْنُ وَلِيدِكم والمُغْلُ تَقْتُلُ في ذُرا الأركانِ[6]
شرِبُوا الخمورَ بصَحْنِهِ حتى انتشَوْا ألقوا عرابِدَهم على النسوانِ[7]
لم يرحموا طفلاً بكى فقلوبُهم في الفتك صَخْرٌ لا أبو سفيانِ
قَصُّوا جناح النَّسْرِ عند نهوضِهِ يا ليتَهُ لو فازَ بالطَّيَرانِ[8]
ألواحُهُ أجْرَتْ دموعي أسطُراً كُتِبَتْ على اللَّوْحَين من أجفاني
إن أنكروا يومَ الحساب فَعَالَهم فشهيدنا عثمان ذو القرآن

---

(1) الحَدَثان: نوائب الدهر ومصائبه.

(2) العقيان: الذهب.

(3) تخضبت: صبغت.

(4) الإيوان: مجلس كبير على هيئة صفَّة واسعة، لها سقف محمول من الأمام على عُقَد.

(5) اللولو: اللؤلؤ.

(6) المغل: المغول.

(7) عرابدهم: العربيد هو من يؤذي الناس في سكره.

(8) جناح النسر: قصد به قسماً من الجامع الأموي فيه قبَّة تدعى قبة النسر.

لهفي على كُتُبِ العلوم ودَرْسِها صارتْ معانيها بغيرِ بَيان
أعروسَنا لك أُسوةٌ بحَماتنا في ذا المصاب فأنتما أختانِ
غابت بدورُ الحسن عن هالاتها فاستبدلت من عزِّها بِهَوانِ[1]
ناحتْ نواعيرُ الرياض لفقدهم فكأنها الأفلاك في الدورانِ
حُزْني على الشهباء قبل حَماتنا (هو أول وهي المحل الثاني)
لا تَدَّعي الأحزانَ يا شقراءنا السَّبْقُ للشهباء في الأحزان
رَتَعَتْ كلابُ المُغْل في غزلانها وتحكَّمَتْ في الحُورِ والولدانِ
لهفي عليكِ منازلاً ومنازِهاً ومقامَ فردوسٍ وبابَ جِنان[2]
لم أدرِ من أبكي وأندبُ حسرةً للقَصْرِ، للشرفين، للميدانِ
للجبهة الغرّاء، أم خلخالها للمزَّة الفيحا، أم اللَّوَّانِ[3]

163

قال ابن نباتة مادحاً الملك المؤيد:

سَلَّتْ صَوارِمَها من الأجفانِ فسَطَتْ على الآسادِ والغِزلانِ[4]
وتبسَّمتْ عن لؤلؤ متمنعٍ حتى بكَيتُ عليه بالعِقْيانِ[5]
غيداءُ أستجلي البدورَ لِوجهها إذ ليسَ حظّي منهُ غيرَ عَيانِ[6]
تركيَّةٌ للقانِ يُنسبُ خدُّها واصبوتي منهُ بأحمرَ قاني
خدٌّ يريكَ تنعُّماً وتلهُّباً يا مَن رَأى الجنَّاتِ في النِّيرانِ[7]

---

(1) الهوان: الذل.
(2) منازه: منتزهات.
(3) الغرّاء: البيضاء اللامعة.
(4) الصوارم: السيوف ـ سطا على الشيء: بطش به وقهره الآساد: الأسود.
(5) العقيان: الذهب الخالص.
(6) الغيداء: المتمايلة والمثنية بلينٍ ورِقَّة ـ العيان: المشاهدة.
(7) التلهُّب: الاشتعال والاستعار.

ومحاسنٌ تزهو وتخلفُ عَهدَها وكذا يكون الرَّوضُ ذا ألوانِ
كالجنَّةِ الزهراءِ إلاّ أنَّ لي من أدمُعي فيها حَميماً آنِ[1]
يَحمي نعيمَ خُدودِها أنْ يُجتنى أو ما سَمِعْتَ شَقائقُ النُّعمانِ
ترنو لواحِظُها إلى عُشّاقِهَا فَتصولُ بالأسيافِ في الأَجْفانِ
ويهزُّ حلوَ قوامِهَا مَرَحُ الصِّبَا هزَّ الكُماةِ عَواليَ المُرَّانِ[2]
إنْ صدَّها عني المشيبُ فطالما عَطفتْ شَمائلُهَا بِمَا أرضَاني
وبلغتُ ما لا سَوَّلتهُ شَبيبتي وفعلتُ مَا لا ظنَّهُ شَيطاني
وجَنيتُ من ثَمرِ الذُّنوبِ تَعمُّداً لما رأيتُ العفوَ حظَّ الجَاني
وحلبتُ هذا الدهرَ أشطرُ عيشَهُ فوجدتُ زُبدتها مَتَاعاً فاني
وسَبرتُ أخلاقَ الكرامِ فلم أجدْ في الفضلِ للملكِ المؤيَّدِ ثاني[3]
ملكٌ ترنَّحتِ المنابرُ باسمِهِ حتى ادَّكرنَ معاهدَ الأغصانِ
بادي الوقارِ إذا احتبى وحَبا النَّدى أبصرتَ سيرَ السَّيلِ من نَهلانِ[4]
قامَتْ بسؤدُدِهِ مآثرُ بيتِهِ وعلى العمادِ إقامةُ البُنيانِ
قَسماً بمنْ أعلى وأعلنَ مجدَهُ وأفاضَ أنعمهُ بكلِّ مكانِ
ما حادَ عنِّي الفقرُ حتى صحتُ في مِدَحِي أنا باللَّهِ والسُّلطانِ
فوجدتُ للنعماءِ ملءَ مآربي ووجدتُ للأوصافِ ملءَ لِسَاني[5]
ومَدحتُ من نَشرتْ مدائحُ مجدِهِ ذِكري فلو لم يُعطني لكَفَاني
ملكاً أبرَّ على الأولى متأخِّراً عنهمْ كَبِسْمِ اللَّهِ في العنوانِ
تعبُ الأناملِ لا يغبُّ نوالَهُ إنَّ العلى والمجدَ للتعبانِ[6]

(1) الحميم: المصهور من المعادن والحجارة.
(2) الكماة: جمع كمي وهو: الفارس الكامل السلاح والدرع.
(3) سَبرتُ: جرَّبت واختبرت.
(4) نهلان: جبل.
(5) المآرب: الغايات والمطالب.
(6) الأنامل: مفردها أنملة: طرف الإصبع ـ يغبُّ: يقلِّل ـ النوال: العطاء.

أعطى وقد منعَ الغمامُ وأرشدَتْ ... آراؤهُ، والنجمُ كالحيرانِ[1]
واعتادَتِ الهيجَاءُ منهُ غَضَنفراً ... سارٍ من اليزنيَّ في خفّانِ[2]
تتألَّفُ العقبانُ فوقَ رماحِهِ ... إلفَ الحمامِ على غصونِ البانِ[3]
ويصحُّ علمُ الكيمياءِ وسيفُهُ ... فترى اللُّجينَ يعودُ كالعِقيانِ[4]
ويقولُ فيضُ فعالِهِ ومقالِهِ ... مرج النُّهى بحرينِ يلتقِيَانِ
يا مُشتري سِلَعَ الثَّناءِ بمالِهِ ... هُنِّئتَ مَرتَبةً على كِيوانِ
صانَتْ يداكَ عن الأنامِ وسائِلي ... وثنى حماكَ عن البلادِ عِناني[5]
فمحوتُ إلاَّ من ثَناكَ خواطِري ... ونفضْتُ إلاَّ من نَداكَ بَناني[6]
وتركتُ مدحَ العالمينَ وذمَّهمْ ... وشُغِلْتُ عن هذا النَّدى في شاني
وأقمتُ متَّصلَ الرجاءِ بواحدٍ ... لم يختلفْ في الفضلِ منهُ اثنانِ
متسلسلُ الكلماتِ في أوصافِهِ ... متقيداً بصنائِعِ الإحْسانِ
لا يعدمُ الدَّهرُ الأخيرُ بدائِعاً ... تنهالُ بينَ سَماحةٍ وَبَيانِ
أكتالُ بالمكيالِ فَضْلَ هِباتِهِ ... وأبيحُهُ الأمداحَ بالأوزانِ[7]

* * *

164

قال صفي الدين الحلّي واصفاً ما يلاقيه من الصَّبابة والوجد:

لولا الهوى ما ذابَ من حَنينهِ ... صَبٌّ أصابَتهُ عيونُ عِينِهِ[8]

---

(1) منع الغمام: أي: لم ينزل المطر.
(2) الغضنفر: الأسد.
(3) تتألَّف: تجتمع وتترافق ـ العقبان: جمع عُقاب وهو النسر ـ البان: شجر.
(4) اللجين: الفضة ـ العِقيان: الذهب.
(5) العِنَان: سيرُ اللّجام الذي تُمسكُ وتوجَّهُ بها الدابة.
(6) البنان: الأصابع.
(7) أكتال بالمكيال: أزنُ بالميزان.
(8) الصبُّ: المحبُّ المشتاق.

مُـتَـيَّـمٌ لا يَـهـتَـدي عُـوّادُهُ، إلاّ بـمـا يَـسـمَـعُ مـن أنـيـنِـهِ[1]
أصبَحَ يَخشى الظَّبيَ في كِناسِهِ، ولا يَـخـافُ الـلّـيـثَ فـي عَـريـنِـهِ[2]
يَـعـتَـذِرُ الـرّشـدُ إلـى ضَـلالِـهِ، ويَـقـرأ الـعَـقـلُ عـلـى جُـنـونِـهِ
يـا جيـرَةَ الـحَيّ أجيـرُوا عـاشِـقـاً، مـا حـالَ عـن شرعِ الـهَـوى ودينِـهِ[3]
بـاطـنُـهُ أحـسَـنُ مـن ظـاهِـرِهِ، وظَـنُّـهُ أوضَـحُ مـن يَـقـيـنِـهِ
لا تَـحـسَـبـوا مـا سـاحَ فـوقَ خَـدّهِ مَـدامِـعـاً تُـسـفَـحُ مـن عُـيـونِـهِ[4]
وإنّـمـا ذابَ جـلـيـدُ قَـلـبِـهِ، فَـطَـرْفُـهُ يَـرشَـحُ مـن مَـعـيـنِـهِ[5]

165

قال البوصيري معاتباً أحد أصدقائه:

قُـلْ لِـعَـلِـيٍّ الّـذي صَـداقَـتُـهُ عَـلـى حُـقُـوقِ الإخْـوانِ مُـؤْتَـمَـنَـهْ:
أَخُـوكَ قَـدْ عُـوِّدَتْ طَـبـيـعَـتُـهُ بِـشَـرْبَـةٍ فـي الـرَّبـيـعِ كُـلَّ سَـنَـهْ
والآنَ قَـدْ عَـفَّـنَـتْ عَـلَـيْـهِ وَقَـدْ هَـدَّتْ قُـواهُ وَجَـفَّـفَـتْ بَـدَنَـهْ[6]
وَعـاوَدَتْ يَـوْمَـهـا زِيـارَتَـهُ ومـا اعْـتَـرَاهَـا مِـنْ قَـبْـلِ ذاكَ سَـنَـهْ[7]
وَعـادَ عِـنْـدَ الـقِـيـامِ يَـحْـمِـلُـهـا بِـراحَـتَـيْـهِ كَـأَنَّـهـا زَمِـنَـهْ[8]
جِـئْـتُ بِـهـا لِـلـطَّـبـيـبِ مُـشْـتَـكِـياً وَدَمْـعَـتـي كـالـعَـوارِضِ الـهَـتِـنَـهْ[9]

---

(1) العوَّاد: الزائرون عند المرض.
(2) الكناس: المكان الذي يلتجىء إليه الظبي بين الشجر ـ العرين: مأوىٰ الأسد.
(3) حال عن: تحوَّل وبدل طريقه.
(4) ساح: سال.
(5) الطرف: العين.
(6) عَفَّنت: فَسُدَتْ.
(7) اعتراها: أصابَها وحدثَ لها.
(8) الزَّمنة: المريضة، نقول زَمِنَ أي مرِضَت مرضاً يدوم زماناً طويلاً.
(9) العوارض: الغيوم التي تعترض الأفق ـ الهتنة: الهاطلة.

فقالَ: عُدْ لي إذا احْتَمَيْتَ وكُلْ … فـي كُـلِّ يَـوْمٍ دَجاجَـةً دَهِـنَـهْ[1]
كَيْفَ وُصُولي إلى الدَّجاجَةِ والـ … بَـيْـضَـةُ عِـنْـدي كَـأَنَّـها بَـدَنَـهْ؟[2]
جَـزَاكَ رَبِّـي إذا انْـسَـهَـلْـتُ بِـمـا … شَـرِبْـتُ عَـنْ كُـلِّ خَـرْبَـةٍ حَـسَـنَـهْ

166

قال صفي الدين الحلّي مادحاً الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل:

لا راجَعَ الطّرفُ باللّقا وسَنَهْ، … إن ذاقَ غَمضاً من بعدِكم وسِنَهْ[3]
طالَ على الصّبِّ عُمرُ فُرقَتِكم، … فكلُّ يومٍ مِنَ الفِراقِ سَنَهْ[4]
صَبٌّ أجابَ الغَرامَ، حينَ دَعا … طَوعاً، وألقَى إلى الهَوى رَسَنَهْ
لم يَقضِ مِن وصلِكُم لُبانَتَهُ، … وإنْ قضَى في هواكُمُ زَمَنَهْ[5]
ما عَرَفَ الشّركَ في هَواه، ولا … خالَفَ دينَ الهَوى ولا سُنَنَه
ولو غَدا، وهو عابدٌ وثَناً، … لَما غدا غيرُ شخصكُم وثَنَهْ[6]
إن كَرّرَ العاذِلونَ ذِكرَكُمْ، … صغَا، وأصغَى إلَيهِم أُذُنَهْ
ما لامَهُ لائِمٌ ليُحزِنَه، … إلاّ وسَلّى بذكرِكُم حَزَنَهْ
لولاكُم لم تَبِتْ جَوانحُهُ … حرّى، ولا أنحَلَ الضّنى بدَنَهْ[7]
كم ضَمّنَ الدّمعَ رِيَّ غُلّتِهِ، … فَما وفَى بعدكم بما ضَمِنَهْ[8]
لا تُودِعوا سِرّكم نَواظِرَه، … فهيَ على السرّ غيرُ مُؤتَمَنَهْ

(1) الدَّهنة: السمينة.
(2) البدنة: السمينة بقرة أو غيرها.
(3) الطرف: العين ـ الوسن والسِّنة: النّعاس واشتداده.
(4) الصب: المحب المشتاق.
(5) اللبانة: الحاجة دون افتقار.
(6) الوثن: الصنم.
(7) الضنىٰ: المرض.
(8) الغلّة: الغليل، اشتداد حرارة الجوف.

نَواظِرٌ بالدّموعِ وافيَةٌ، ... وهيَ لإظهارِ سرِّكمْ خَوَنَهْ[1]
ورُبّ لَفظٍ فَسّرْتُ مُجمَلَهُ، ... واللّيلُ قد فصّلَ الضّحى كَفَنَهْ
ساءتْ ظنونُ الحسّادِ فيّ بهِ، ... لمّا غَدا الجفنُ جافِياً وسَنَهْ
لم يَبسطوا العُذرَ لي، ولا علموا ... أنّ يَدي بالصّنيعِ مُرتَهَنَهْ[2]
ولو بمَدحِ المُؤيَّدِ اعتَبَروا ... لَبُدّلَتْ سَيّئاتُهُمْ حَسَنَهْ
الملكُ الجامعُ الفَضائلَ والبا ... ذِلُ في الصّالحاتِ ما خَزَنَهْ
يَمتَنُّ للقابلي عَطاهُ، ولا ... يُقَلّدُ الوَفدَ في النّدَى مِنَنَهْ
ملكٌ لو أنْ البِحارَ تُشبِهُهُ ... لأصبحَ البَحرُ باذِلاً سُفُنَهْ[3]
ولو أتَى الأصمَعيُّ يُنشِدُهُ ... شِعراً لأمسى من خوفهِ لُحَنَهْ[4]
ولو رَعَى ألكَنٌ عِبارَتَهُ، ... أزالَ من سِحرِ لَفظِهِ لُكَنَهْ[5]
مُهذَّبُ اللّفظِ في الفَصاحَةِ لا ... كَسائِلِ المازِنيّ مَن خَتَنَهْ
مِن آلِ أيّوبَ الذينَ لهمْ ... حَماسَةٌ بالسّماحِ مُقتَرِنَهْ
ذوي بيوتٍ في المَجدِ سالمةٍ، ... كلُّ أفاعيلِهِنّ مُتّزِنَهْ
هم اشتروا المُلكَ غالياً خَطراً، ... وصَيُّروا أنفُسَ العِدَى ثَمَنَهْ
طَوراً سِلاحَ الملكِ العَقيمِ تَرَى ... تلكَ المَساعي، وتارَةً جُنَنَهْ[6]
يا مَلِكاً دانَتِ المُلوكُ لَهُ، ... واتّبَعَتْ في اعتِمادِها سُنَنَهْ
ومَنْ سَنا بِشرِه، ونائِلُهُ ... رَفّهَا سَعيَ الحُجّابِ والخَزَنَهْ[7]
والصّادِقُ الوَعدِ في الكِتابِ ومَن ... فَداهُ ذو العَرشِ بعدما امتَحَنَهْ
أوسَعتَ للعَبدِ مِن هِباتِكَ ما ... أضاقَ عن حَملِ بَعضِهِ عَطَنَهْ

(1) خونة: مفردها خائن.
(2) مُرتهنة: يقصد مقيّدة.
(3) باذلاً: معطياً.
(4) لُحنه: نقول لحنَ بالكلام إذا لم يعرف التعبير أو خالف قواعد اللغة.
(5) الألكن: من صعب عليه الإفصاح لعلّة، أو لعجمة لسانه.
(6) طوراً: تارة أو مرّة ـ الجنن: مفردها جُنَّة: كل ما وقى من سلاح وغيره.
(7) النائل: العطاء.

أتعَبتَ بالشّكرِ جُهدَ مُهجَتِهِ، كأنّما بالنّعيم مُمتَحَنَهْ[1]
آنَسَهُ فَضلُكُمْ، فَما طَلَبَتْ مَسكَنَهُ نَفسُهُ، ولا سَكَنَهْ
أسلاهُ عن أهلِهِ صَنيعُكُمُ بِهِ، وأنساهُ ظِلُّكُم وطَنَهْ[2]
يُعلِنُ بالمَدحِ والثّناءِ، وَقد أشبَهَ في الوُدّ سِرُّهُ عَلَنَهْ
ما ساءَهُ غَيرُ فَوتِ مُدّتِهِ، وما قضَى تحتَ ظِلّكُمْ زَمَنَهْ
فلا أرَتنا الأيّامُ فيكَ رَدىً، ولا أماطَتْ عن حاسِدٍ حَزَنَهْ
وعَمّرَ اللّهُ حاسديكَ لكَيْ تَعيشَ في الذّلّ عيشَةً خَشِنَهْ[3]

167

قال البوصيري يروي ما حدث له مرّةً عندما أراد أن يتصابىٰ:

أَهَوَى والمَشِيبُ قَدْ حالَ دونَهْ والتَّصابي بَعْدَ المَشِيبِ رُعُونَهْ؟[4]
أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وقالَتْ: إنَّ جِنّي لا يَدْخُلُ القِنِّينَهْ[5]
كَيْفَ أعْصي الهَوَى وطِينَةُ قَلْبي بالهَوَى قَبْلَ آدمٍ مَعْجُونَهْ؟
سَلَبَتْهُ الرُّقادَ بَيْضَةُ خِدْرٍ ذاتُ حُسْنٍ كالدُّرَّةِ المَكْنُونَهْ[6]
سُمْتُها قُبْلَةً تُسَرُّ بِها النَّفْـ سُ فقالَتْ: كذا أكُونُ حزينَهْ[7]
قُلْتُ: لا بُدَّ أَنْ تَسِيري إلى الدَّا رِ فقالَتْ: عَسَى أنا مَجْنُونَهْ!
قُلْتُ: سِيري فَإِنَّني لَكِ خَيْرٌ مِنْ أَبٍ راحِمٍ وَأُمٍّ حَنُونَهْ

---

(1) المهجة: الروح.
(2) أسلاه عن أهله: شَغَله عنهم وأنساه إياهم.
(3) عمَّره: أطال عمره.
(4) التصابي: الميل إلى اللهو واللعب ـ الرعونة: الحُمْق والسفه.
(5) الجني: الواحد من الجنّ.
(6) الخدر: ستر يُمدُّ للمرأة في ناحية البيت ـ الدُّرَّة المكنونة: اللؤلؤة المحفوظة.
(7) سمتها: طلبت منها.

أَنَا نِعْمَ القَرينُ إنْ كُنْتِ تَبْغِيـ ـنَ حَلالاً وَأَنْتِ نِعْمَ القَرينَهْ[1]
قالَتِ: اضْرِبْ عَنْ وَصْلِ مِثْلِيَ صَفْحاً وَاضْرِبِ الخَلَّ أَوْ يَصيرَ طَحينَهْ[2]
لا أَرَى أَنْ تَمَسَّني يَدُ شَيْخٍ كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لِطَشْتي مَشِينَهْ؟[3]
قُلْتُ: إنِّي كَثيرُ مالٍ، فقالَتْ: هَبْكَ أَنْتَ المُبارِزُ القارُونَهْ[4]
سَيِّدي لا تَخَفْ عَلَيَّ خُرُوجاً في عَرُوضي فَفِطْنَتي مَوْزُونَهْ[5]
كُلُّ بَحْرٍ إنْ شِئتَ فيهِ اخْتَبِرْني لا تُكَذِّبْ فَإنَّني يَقْطِينَهْ[6]

168

قال التلعفري متغنياً بالشَّام وربوعها:

يا بارقَ الشامِ حيِّ الأثلَ والبَانَا وانقلْ حديثَكَ عن لُبنى ولُبنانَا[7]
وهاتِ ما حَمَلتْ عِطفاكَ من خبرٍ فإنَّ لي بِرُبَا جَيرونَ جيرانَا[8]
سَقَتْ لياليكَ بالأحبابِ ساريةٌ تعيدُ ظامِىءَ ذاكَ التُّرْبِ رَيَّانَا[9]
ولا تعدَّى الرُّبَا من قاسيونَ حَياً يُعيد فوق الصَّياصي منه غُدرانا[10]
تِلكَ الرُّبوعُ التي لم تألُ مُذْ عُمِرَتْ في الأَرْضِ للهْوِ والأَوْطارِ أوطانَا[11]

* * *

(1) القرين: الزوج.
(2) ضربَ صفحاً عنه: تركته وذهب إلى غيره.
(3) المشينة: الأمر المعيب.
(4) المبارز: المنافس ـ القارونة: يقصد قارون.
(5) العروض: الطريق.
(6) اليقطين: نبات ثماره كبيرة ينمو ملاصقاً للأرض.
(7) الأثل والبان: نوعان من الشجر.
(8) الرُّبا: جمع رابية وهي: المرتفع من الأرض أقلُّ من الجبل ـ جيرون: موضع في دمشق.
(9) السارية: الغيمة ـ الظامىء: العطشان.
(10) الحيا: المطر والخصب ـ الصياصي: الحصون وكل ما يمتنع به.
(11) عُمِرَتْ: بُنِيت ـ أو سُكِنَتْ ـ الأوطار: الغايات والمطالب.

169

قال صفي الدين الحلّي متأسفاً ومتحسّراً على الأيام الخوالي وسائماً وضَجِراً من الراحة واللهو:

لَسَيري في الفَلا والليلُ داجٍ، وكَرّي في الوغى والنّقعُ داجِنْ[1]
وحَملي مُرْهَفَ الحَدّينِ ضامٍ لحامِلِهِ وجودَ النّصرِ ضامِن[2]
وهَزّي ذابِلاً للخَيلِ مارٍ، يلينُ بِهَزّهِ صَدراً ومارِن[3]
وركضي أدهَمَ الجِلبابِ صافٍ، خَفيفَ الجريِ يومَ السّلمِ صافن[4]
وخَطوي تحتَ رايةِ لَيثِ غابٍ، بسَطوَتِهِ لصَرْفِ الدّهرِ غابِن[5]
شديدِ البأس ذي لينٍ مُطاعٍ، مُضارِبِ كلِّ قَرمٍ، أو مُطاعِن[6]
أحَبُّ إليَّ من تَغريدِ شادٍ، وكأسِ مُدامةٍ من كَفّ شادِن[7]
وحَثّي بالكُؤوسِ إلى بَواطٍ، ظَواهِرُهُنّ غابٌ والبَواطِن[8]
ولَثمِ مُضَعَّفِ الأجفانِ ساجٍ، بمُطلَقِ حُسنِهِ للقَلبِ ساجِن[9]
وفِكري في حَياةٍ، أو وَفاةٍ، لأُرضي كلَّ فاتِنَةٍ وفاتِن
فأُمسي، والشّوامتُ بي هَوازٍ، كما شِمِتَتْ ببَكرٍ في هَوازِن[10]

(1) الفلا: الفلاة، الأرض الخالية المقفرة ـ داجٍ: مظلم ـ الوغىٰ: الحرب ـ النقع: غبار المعركة ـ الداجن: الأسود.
(2) مرهف الحدين: السيف ـ الضامن: الكفيل والملتزم.
(3) مارٍ: من مرى الفرس، استخرج ما عنده من الجري بسوط أو غيره ـ المارن: الأنف.
(4) صافٍ: من صفي الماءُ كان صافياً، والأدهم: الأسوَدُ قصد به الفرس ـ صافن: قام على ثلاث قوائم وطُرَفِ حافر الرابعة.
(5) الغابن: القاهر.
(6) القرم: السيِّد المعَظَّم.
(7) الشادن: صغير الغزال.
(8) البواطِ: البواطي مفردها باطية، إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب ـ البواطن: باطن كل شيء داخله.
(9) ساجٍ: ساجي الطرف: ساكنه وفاتره.
(10) هوازٍ: هوازئ ـ هوازن: قبيلة.

وَلَيسَ المَجدُ إلاّ في مَواطٍ على هامِ السّماكِ لَهَا مَواطِن[1]
بِعَزمٍ في الشّدائدِ غَيرِ واهٍ، وبأسٍ في الوقائعِ غيرِ واهِن[2]
وصُحبَةِ ماجدٍ كالنَّجمِ هادٍ، يُسِرُّ البَطشَ حِلماً، وهوَ هادِن[3]
وكلُّ غَضَنفَرٍ للبأسِ كامٍ، شَبيبهِ السّيفِ فيهِ الموتُ كامِن[4]
كَريمٍ لا يُطيعُ مَقالَ لاحٍ، غَدا في فِعلِهِ والقولِ لاحِن[5]
تَقيٍّ من ثيابِ العارِ عارٍ بهمّتِهِ لأنفِ الدّهرِ عارِن[6]
وعِشرَةِ كاتِبٍ للعِلمِ قارٍ، لحُسنِ الخُلقِ بالآدابِ قارِن[7]
أخي كَرَمٍ لداءِ الخِلّ آسٍ، وماءُ الوُدّ منهُ غيرُ آسِن[8]
وإنْ أنقَذتَ نَفسَكَ في مَعادن، وصَيّرْتَ العَفافَ بها مَعادِن[9]
فَما لكَ في السّعادَةِ مِن موازٍ، ولا لكَ في السّيادة من موازِن[10]

* * *

170

قال ابن مليك الحموي جامعاً بين الخمرة والغزل:

أَمَا وعذابِ قلبي في هَواهَا وما صَنعتْ بأحشَائِي حُباهَا

---

(1) مواطٍ: مواطىء مكان الوطء.
(2) الواهي: القليل الحقير ـ الواهن: الضعيف.
(3) هادٍ: هادي ـ الهادن: الهادىء والساكن.
(4) الكمي: الفارس الكامل السلاح والدرع ـ الكامن: المتواري والمختفي.
(5) اللاحي: اللائم المعنّف ـ اللاحن: المخطىء.
(6) عارن: من العران: وهو خشبة توضع في أنف البعير.
(7) قارٍ: قارىء ـ قارِن: جامِع.
(8) آسٍ: الآسي الطبيب ـ الآسن: الماء الآسن المتغير الذي له رائحة كريهة.
(9) معادن: يقال فلان معدِن الخير والكرم إذا كان مجبولاً عليهما، مفردها معدِن من وهو المادة الأساسية في التكوين والصُّنع.
(10) موازٍ: الموازي، المقابِل والمواجِه الموازن: المماثل في القدر والوزن.

فـؤاديَ لـوْ شَـوتْ بـالـهـجـرِ يـومـاً ... عـلـى نَـارِ الـغَـرامِ لـمَـا قَـلاهَـا[1]
سَـلاهَـا هـل سَـلا عَـنْـهَـا فـؤادي ... فـؤاديَ هـلْ سَـلا عَـنْـهَـا سَـلاهَـا[2]
مُـهَـفْـهَـفَـةُ الـقَـوامِ إذا تَـثَـنَّـتْ ... فـيـا خَـجَلَ الـغُـصونِ ويَـا حَـيَاهَـا[3]
رَنَـتْ لـي بـالـلِّـحَـاظِ فـقـلـتُ هَـذي ... سـيـوفٌ جُـرِّدتْ أمْ مُـقـلـتـاهَـا[4]
وَفَـتْ وَعـدِي فَـمَـا أشْـهَـى وأَحْـلَـى ... وقـد قـبَّـلـتُ وجـنَـتَـهَـا وفَـاهَـا[5]
بِـمـرشَـفِـهَـا لـقَـدْ هَـامَ الـمـعـنَّـى ... ولَـو لـم يـرتَـشِـفْ منـهـا لـمَـاهَـا[6]

171

قال ابن عربي في تنزيهِ الذَّات الإلٰهية وتقديسِها:

هَــذا الــذي عَــنَــتْ لَــهُ الأَوْجُــهُ ... لَـيْـسَ لَـهُ مِـنْ خَـلْـقِـهِ مُـشْـبِـهُ[7]
وَلَـوْ بَـدا لِـلْـعَـيْـنِ فِـي صُـورَتِـي ... لَــهُ الـمَـقـامُ الأَفْـخَـمُ الأَنْـزَهُ[8]
قَـدِ اسْـتَـوى فِـيـهِ وَفِـي نَـفْـسِـهِ ... الـعـالِـمُ الـهَـمْـهَـمُ والأَبْـلَـهُ[9]
مـا يَـعْـرِفُ الـحَـقَّ سِـوى نَـفْـسِـهِمْ ... إنْ عَـرَفُـوا وَكُـلُّ ذا كُـنْـهُـهُ[10]
فـإنْ تَـجَـلَّـى لِـعُـيُـونِ الـوَرى ... رأَوْهُ مِـنْـهُـمْ وَلِـذا نَـزَّهُـوا[11]
أَنْـفُـسَـهُـمْ فِـي بَـعْـضِ أَقْـوالِـهِمْ ... قـالَ بِـهِ أَرْبـابُـهُ الـوُلَّـهُ

(1) قلاها: أبغضها وهجرها.
(2) سلاها: أي اسألاها ـ سلا عنها: انشغل عنها ونسيها.
(3) المهفهفة: الدقيقة الخصر والضامرة البطن.
(4) رنت: نظرت ـ اللحاظ: العيون، وكذلك المقل.
(5) الوجنة: ما ارتفع من الخد ـ فاها: فمها.
(6) المرشف: الفم ـ لماها: شفتاها، واللمىٰ: سُمرة في الشفة تستحسن.
(7) عنت: خضعت وذلّت.
(8) الأنزه: الأرفع.
(9) الهَمْهَم: الهَمْهَام: وهو الهُمَام أي السّيد والسخي من الرجال.
(10) كنهه: حقيقته.
(11) الورى: الناس.

تَـنْـزِيـهُـهُـمْ عـادَ عَـلَـيْـهِـمْ كَـمـا   جـاءَ بِـهِ الـنَّـصُّ الـذي نَـزَّهُـوا
وفـيـهِ قـالَ الـعَـبْـدُ سُـبْـحـانَـهُ   عَـلَـيـهِ أَهْـلُ الـلَّـهِ قَـدْ نَـبَّـهُـوا
فـإِنَّـهُ لـيْـسَ بِـأَنْـفـاسِـهِـمْ   مـا اعْـتَـقَـدَ الـنَّـاسُ وَمـا شَـبَّـهُـوا

172

قال شرف الدين الأنصاري متغزِّلاً في جارية:

سُـروري بِـسَـاقـيَـةٍ جـارِيَـةْ   وَوَجـدِي بِـجَـارِيَـةٍ سـاقِـيَـةْ[1]
أَهُـزُّ بـهـاتـيـكَ عِـطْـفَ الـقَـريـض   لِـيُـثْـنِـي عـلـى هـذه الـثـانِـيَـةْ[2]
سَـبَـتْـنِـيَ كـاسـيـةٌ بـالـجَـمَـالْ   فـروحـيَ عِـنـدي لَـهَـا عـارِيَـةْ
عـلـى الـجِـسْـمِ حـاكـمـةٌ بـالـضَّـنَـى   وفـي الـقَـلْـبِ آمِـرَةٌ نـاهِـيَـةْ[3]
تَـرانـي إذا لـم أَزُر بـيـتَـهـا   كـأَنِّـيَ بَـيْـتٌ بِـلا قـافِـيَـةْ
تُـواصِـلُـنـي فـأَحُـوزُ الـمُـنَـى   وأجـلـسُ فـي الـدَّسْـتِ والـحـاشِـيَـةْ[4]
وتَـنْـأَى فـأَجْـلُـسُ فـي مَـسْـجِـدِي   وحـيـداً وأَلْـتَـفُّ بـالـبـارِيَـةْ[5]
ولَـمَّـا شَـكَـوْتُ إلـيـهـا الـجَـوَى   وعَـنْـهُ لَـهـا أُذُنٌ واعِـيَـةْ
فـقـالَـتْ: بِـعَـيْـنَـيَ هَـذا الـسَّـقـام   فـقـلـتُ: عـلـى عَـيْـنِـكِ الـواقِـيَـةْ!
أضـاحـكـةَ الـسِّـنِّ لَـو زُرْتِـنـي   عَـجِـبْـتِ لِـمُـقْـلَـتِـيَ الـبـاكِـيَـةْ[6]
وإِنِّـي وإنْ نـالَ مِـنِّـي الأَذَى   مُـعـافَـى إذا كُـنْـتِ فـي عـافِـيَـةْ

---

(1) الوجد: الحب.
(2) القريض: الشعر.
(3) الضنى: المرض الطويل.
(4) أحوز: أملكُ ـ الدست: صدر المجلس.
(5) البارية: البارياء وهي: الحصير.
(6) المقلة: العين.

173

قال ابن عربي متحدثًا عن أسرار التوحيد:

عَبَدتُ اللَّهَ لَمْ أعْبُدْ سِواهُ فَما مَعْبُودُنا إلاّ الإلٰهُ
سَرى تَوْحِيدُهُ فِي كُلِّ عَيْنٍ فَما شَيءٌ يُسَبِّحُهُ سِواهُ
ولَكِن لَيْسَ نَفْقَهُ عِلْمَ هذا وإنْ كانَ المُسَبِّحُ قَدْ دَعاهُ
لَقَدْ حَجَبَ العِبادَ بِما أراهُمْ مِنْ أنْفُسِهِم فَلا عَيْنٌ تَراهُ
وَلا عَقْلٌ يَراهُ بِعَيْنِ فِكْرٍ وبُرْهانٍ وَلَمْ يَبْعُدْ مَداهُ
قَرِيبٌ بالشَّرِيعَةِ حِينَ قالَتْ بأَنَّ القَلْبَ صَيَّرَهُ حِماهُ
بَعِيدٌ بالأدِلَّةِ عَنْ عُقُولٍ لَقَدْ عَزَّ الذي يَحْمِي ذُراهُ(1)

174

قال ابن نباتة مخاطباً أحد إخوانه:

مرحباً بالنَّظمِ يَأتي نفحةً من بعدِ نَفْحَهْ
من بياضٍ بَاكَرتهَا سَحَراً بالسَّفحِ سَفحَهْ(2)
ولآلٍ نَظَمَتْها بركاتٌ ضمنَ سُبْحَهْ(3)
وعروسٍ جَعلتْ لي من بَياضِ الوَصلِ صبحَهْ
مَع أنِّي عَاجِزٌ عن ضَمةٍ دَعْ ذِكرَ فَتحَهْ
كُنتُ في الشِّعرِ جَواداً يحرزُ السَّبقَ بِلمحَهْ(4)
فثنانِي العُسرُ والأو لادُ لا أملكُ فَسحَهْ

---

(1) الذُّرا: مفردها ذروة: وذُروَةُ الشيء أعلاه.

(2) باكره: جاءه في وقت مبكِّر، وبادرَ إليه.

(3) لآلٍ: مفردها لؤلؤة ـ السُّبحة: خرزات منظومة للتسبيح.

(4) يحرز السبق: يحقق النصر في السباق.

كــلُّ ابــنٍ لــي وَبــنــتٍ ... كَـشـكـالٍ لـي وَشـبـحَـهْ[1]
وزنــادُ الــقــولِ لا يَــســـ ... ـمحُ في وجهي بِقدحَهْ
ودُعــائــي بِــكَ عــن قَــا ... فـيـةٍ يـغـنـي وصَـدحَـهْ
خُــذْ صَـفـاءَ الـودِّ كـاسـا ... تٍ وفـيـهـا ألـفُ صَـحّـهْ
واحـتَـمـلـنـي إنْ تـحـالـيـ ... ـتُ وأغـربـتُ بـلـمْـحَـهْ
سَـيِّـدي، مـا فـي الـنـوى والـ ... ـقُـربِ لـلـمـشـتـاقِ فَـرحَـهْ
إنْ تَـغِـبْ عـنِّـي وإن تـقـ ... ـدمْ فـلـي بـالـهـجـرِ قـرحَـهْ[2]
أيُّـهـا الـفـتـحُ الـمـفـدَّى ... خَـفْ مـن الـعـاتـبِ فـتـحـهْ

175

قال بهاء الدين زهير راجياً من محبوبه الوصال ومذكّراً إياه بعهودٍ قد نسيها:

مــا لَــهُ قــد خــانَ عَــهــدَهْ ... نــاسـيـاً تِـلـكَ الـمَـوَدّهْ
أنْــعَــمَ الــدّهْــرُ بِــهِ فــي ... خُــلْــسَــةٍ ثــمّ اسـتَـرَدّهْ[3]
هُــوَ كــالــزُّهْــرَةِ وَالـــ ... ـمَـرّيـخِ فـي لِـيـنٍ وَشِـدّهْ[4]
وَجـهُـهُ الـبُـسـتَـانُ فـاقْـطِـفْ ... آسَــهُ أوْ فــاجــنِ وَرْدَهْ[5]
لَـيـسَ عِـنـدي غَـيـرُ شِـعـري ... لَــيــتَــهُ يَــنـفُـقُ عِـنْـدَهْ
يــا كَــلــيــلَ الــطَّـرْفِ إلاّ ... فــي فُــؤادي مــا أحــدّهْ[6]
هَـزَمَ الـهَـجـرُ اصْـطِـبـاري ... فَـعَـسَـى لـلـوَصْـلِ رَدّهْ[7]

---

(1) الشكال: حبل تشد به قوائم الدابة ـ الشبحة: سلسلة تشدُّ بها رجل الدابة أيضاً.
(2) القرح: الجرح.
(3) الخُلسة: الفرصة.
(4) الزهرة والمريخ: كوكبان.
(5) الآس: نبات.
(6) كليل الطرف: فاتره وضعيفه، وهو من الصفات المستحسنة.
(7) ردَّة: رجعة.

لَـيْـتَـهُ يَـرْثـي لِـمَـا عِـنْـ ـدِيَ أوْ يَـرْحَـمُ عَـبْـدَهْ

176

قال ابن مليك الحموي متغزلاً:

قـتـيـلُ هَـواكِ لـيـسَ يَـرومُ ثَـارَهْ فَـصُـدِّي تَـارةً وصِـلـيْـهِ تَـارَهْ[1]
عـسـى تِـلـكَ الـحَـزازةَ مـن فُـؤادي تـزولُ وتَـنـطـفـي تِـلْـكَ الـحَـرارهْ[2]
ألا إنَّ الـهَـوى فـيـهِ هَـوانٌ وإنَّ الـحـلـوُ مـنْـهُ ذُو مَـرارَهْ[3]
فَـهَـلْ خِـلٌّ يُـعـيـرَ الـصَّـبَّ دمـعَـاً لـيَـجلُـو الانـسـمـامَ بـالاسـتِـعَـارَهْ[4]
تَـراءَتْ فـي الـخِـمَـارِ فَـخِـلْـتُ بَـدْراً تَـبـدَّى مُـشـرِقـاً وعَـلـيـهِ دَارَهْ[5]
ويـعـبـسُ لـحـظُـهـا فـأقـولُ شـنَّـتْ بـنـو عـبـسٍ عـلـى الـعُـشَّـاقِ غَـارَهْ[6]
لـهـا رِدفٌ تـقـاعَـدَ عـن وِصَـالـي وأثـقـلَـهُ الـنُّـهـوضُ عـن الـزِّيَـاره
وخَـصـرٌ قَـد تـلـطَّـفَ فـي اخـتـصـارٍ فـيـا لـلَّـهِ مـا أحْـلـى اخـتِـصَـاره
وقَـدٌّ قَـدْ تـفـرَّدَ بِـالـتَّـثـنِّـي وقَـدْ جَـمَـعَ الـرَّشَـاقَـةَ والـنَّـضَـاره[7]
وخَـدٌّ جُـلَّـنَـارَ الـروضِ أبْـدَى ومـن تِـلـكَ الـنـهـودِ غَـدَتْ ثـمـاره[8]
وثَـغـرٌ قَـدْ رَوى الـنـظَّـامُ عَـنْـهُ وألَّـفَ مـن بـدائِـعِـه ابـتِـكَـاره
وجَـفـنٌ قَـدْ حَـكـى جِـسـمـي سقـامَـاً ومـا أقْـوَى عـلـى ضَـعَـفِـيْ اقـتِـدَاره[9]
ومـن عـجـبٍ لـقَـدْ أضـحَـى كَـسـيـراً وأبـغـي فـي الـهَـوى مِـنْـهُ انـتـصَـاره

---

(1) يرومُ: يطلب ـ صدِّي: امتنعي ـ تارة: مرَّة.
(2) الحزازة: ألم يحزُّ في القلب من وجع أو غيظ أو خوف.
(3) الهوان: الذل.
(4) الصبّ: المحبّ المشتاق.
(5) الدارة: الهالة.
(6) اللحظ: العين.
(7) القد: القوام ـ التثني: التمايل.
(8) الجلّنار: زهر الرمّان.
(9) سقاماً: مرضاً وضعفاً ووهناً وهو مما يستحسن في الجفن.

ولا عجب هَواهَا كيفَ يَنمُو ... فإنَّ النَّارَ أولُهَا شَرارَه

177

قال صفي الدين الحلّي مادحاً الملك المنصور:

وحَقِّكَ إنّي قانعٌ بالذي تَهوَى، ... وراضٍ ولو حمّلتني في الهوَى رَضوَى[1]
وهَبتُكَ روحي فاقضِ فيها ولا تَخفْ، ... لأن عِناني نحوَ غَيرِكَ لا يُلوَى[2]
وَهي جلَدي إن كان أضمرَ خاطِري ... سُلُوّاً، ولو أنّي قضَيتُ من البَلوَى[3]
وعيشِك قد عزّ السُّلُوُّ، فمُنّ لي ... بِوَصلٍ، فإن المَنّ أحلى من السَّلوَى
وَجَدتُ الهوى حُلواً، فلَمّا وَرَدتُهُ ... تأجّنَ حتى شابَ بالكَدَرِ الصّفْوَا[4]
وأعقَبتني من خمرِ حُبّكَ نَشوَةً، ... فَها أنا حتى الحشرِ لا أعرِفُ الصّحْوَا[5]
وَلِعتُ بذكر الغانياتِ مُمَوِّهاً ... عن اسمك كيلا يَعلَمَ النّاسُ من أهوَى
وأكثرتُ تذكاري لَحزوى ورامَةٍ، ... وما رامَةٌ لولا هَواكَ وما حَزوَى؟[6]
وَعدت جميلاً ثمّ أخلَفتُ مَوعِدي، ... فما بالُ وَعدِ الهَجرِ عندك لا يُلوَى
وَصَلتُ العدى رَغماً عليّ، وحبّذا ... لوَ انّكَ أصفَيتَ الودادَ لمن يَسوَى
وحَقِّ الهوى العذريّ، وَهيَ ألِيّةٌ ... تُنَزِّهُ أربابَ الغَرام عن الدّعوَى[7]
وِصالُكَ للأعداءِ لا الهَجرُ قاتِلي، ... ولكن رأيتُ الصّبرَ أولى من الشّكوَى
وفَيتَ لهم دوني، فسَوفَ أكيدُهم ... بصَبري إلى أن أبلُغَ الغايةَ القُصوَى

---

(1) رضوى: جَبَل.
(2) عنان الفرس: مقودها ـ يُلوى: يميل ويحيد.
(3) السُّلو: من سلا عنه إذا انشغل عنه ونسيه ـ البلوى: البلاء والمصيبة.
(4) تأجن الماء: فسد وتغير طعمه ولونه ورائحته ـ الكدر: ضد الصفاء.
(5) يوم الحشر: يوم القيامة.
(6) حزوى ورامة: موضعان.
(7) الأليَّة: القَسَم.

وإلاّ، فلا أضحَتْ بِنُجبِ عَزائمي إلى المَلكِ المنصورِ هُضبُ الفَلا تُطوَى
وَليٌّ لأمرِ المُسلمِينَ، وحافِظٌ شرائِطَ دينِ اللَّهِ بالعَدلِ والتّقوَى
وَصُولٌ، قَطوعٌ، عابسٌ، مُتَبسِّمٌ، يُخافُ ويُرجى عنده الحَتفُ والجدوَى(1)
وَليٌّ عن الفَحشا، سريعٌ إلى النّدى، بعيدٌ عن المرأى، قريبٌ من النّجوَى
وَبَالٌ لمن عادَى، وَوَبْلٌ لمن دَعَا وقَحطٌ لمن لاوَى، وخِصبٌ لمن ألوَى(2)
وَفيٌّ يُجازي المُذنبينَ بعَفوِهِ، ولكِنّهُ عن مالِهِ لا يرَى العَفوَا
ويُصبحُ عن عَيبِ الخَلائقِ ساهِياً، وعن رَعيِهِم بالعَدلِ لا يَعرِفُ السّهوَا(3)
وأبلَجُ قد راعَ الزّمانَ ببأسِهِ، وشَنّ على أموالِهِ غارَةً شَعوا(4)
وصَفنا نَداهُ للمَطيّ، فأطلَعَتْ يَدَيْها، وسارَتْ نحوَه تُسرِعُ الخَطوَا
وبِيدٍ عَسَفتُ العيسَ في هَضباتِها، وأنضَيتُ بالإدلاجِ في وَعرِها النِّضوَا(5)
وظَلَّتْ بها يَكوي الهَجيرُ جُلودَها، وأخفافُها من لَذعِ قدحِ الحصَى تُكوَى
وَرَدنا بها رَبعاً بهِ مَوردُ النّدَى، نَميرٌ، ومَرْعَى الجودِ في ظلّهِ أحوَى
ولُذنا بمَلكٍ ليسَ يُخلِفُ وَعدَه، إذا مَوعدُ الوَسميّ أخلَفَ أو ألوَى(6)
ولمّا أنَخنا عِيسَنا بفِنائِهِ، أفادَتْ يداهُ كلَّ نَفسٍ بما تَهوَى(7)
وأورَدَنا من جُودِ كَفّيهِ كوثراً، وصَيّرَ جَنّاتِ النّعيمِ لَنا مثوى(8)
وحَسبي مِنَ الأيّامِ أنّي بظِلّهِ، ولي جُودُهُ مَحياً ولي رَبعُهُ مَحوَى

---

(1) الجدوى: الخير والنفع.
(2) الوَبَال: الشدّة وسوء العاقبة ـ الوبل: المطر الغزير ـ القحط: المحل والجفاف ضد الخصب.
(3) الساهي: الشارد الذهن.
(4) الأبلج: من أضاء وجههُ سروراً وانشرح صدره ـ الغارة الشعواء: الشديدة التي تفرق صفوف الأعداء.
(5) عسفَ الشيء: فعله بلا رويّة ولا تدبُّر ـ نَضِيَت الناقة: إذا هزلت وضعفت ـ النضو: الهزيل.
(6) الوسميُّ: مطر الربيع.
(7) ناخ الجملُ: برك ـ العيس: الإبل التي يخالط بياضها شقرة.
(8) الكوثر: نهر في الجنة، يقصد الخير ـ المثوى: المقام.

178

قال ابن نباتة يرثي الملك المؤيد:

ما للندى لا يُلبِّي صوتَ داعيه؟ أظنُّ أن ابنَ شادٍ قامَ ناعيه[1]
ما للرجاءِ قد اشتدَّتْ مذاهبُه؟ ما للزَّمان قد اسودَّتْ نواحيهِ؟
مالي أرى الْمُلك قد فُضَّت مواقفُه؟ مالي أرى الوفدَ قد فاضتْ مآقيهِ[2]
نَعَى المؤيَّدَ ناعيه فيا أسفي للغيثِ كيفَ غدتْ عنا غواديه[3]
واروعتَا لصباحِ عند رؤيتهِ أظنُّ أن صباحَ الحشرِ ثانيه[4]
واحسرتاهُ لنظمي في مدائحهِ كيف استحالَ لنظمي في مراثيهِ[5]
أبكيه بالدُّرِّ من جَفْني ومن كِلِمي والبحرُ أحسنُ ما بالدرِّ أبكيهِ[6]
أروي بدمعي ثَرَى مُلْكٍ له شِيَمٌ قد كان يذكرُها الصَّادي فَتَرْويهِ[7]
أذيلُ ماءَ جفوني بعدُ أسفاً لماء وجهي الذي قد كانَ يَحْميهِ[8]
جارٍ من الدمعِ لا ينفكُّ يُطْلِقُه مَنْ كان يُطْلَقُ بالأنعامِ جاريهِ
ومهجةٍ كلما فاهتْ بلوعتِها قالتْ رزيةُ مولاها لها: إيهِ[9]
ليتَ المؤيدَ لا زالتْ عوارفُه فزادَ قلبَ المعنَّى في تلظِّيهِ[10]
ليتَ الحِمامَ حبا الأيامَ موهبةً فكان يُفنى بني الدنيا ويُبْقيهِ[11]

(1) الندىٰ: العطاء ـ الناعي: الذي يذيع نبأ الوفاة.
(2) فُضَّت: تناثرت وتفرَّقت ـ المآقي: العيون.
(3) الغوادي: السُّحب.
(4) يوم الحشر: يوم القيامة.
(5) استحال: تحوَّل.
(6) الدُّرّ: اللؤلؤ.
(7) الشيم: الأخلاق والطبائع ـ مفردها شيمة ـ الصادي: العطشان.
(8) أذيل: أهين أي: أسكب.
(9) المهجة: الروح أو بقية الدم في القلب ـ اللوعة: الحُرقة ـ الرزية: الرزيئة وهي المصيبة.
(10) المعنَّى: المعذب المتألم ـ التلظِّي: الاحتراق والاشتعال.
(11) الحِمَام: الموت ـ حبا: أعطى ومنح.

ليتَ الأصاغرَ تُفْدَى الأكبرونَ بها ... فكانت الشهبُ بالآفاقِ تَفْديهِ
أعزِزْ عليَّ بأنْ ألْقَى عوارفَه ... ملءَ الزمانِ وإنِّي لا أُلاقيهِ
أعززْ عليَّ بأن تبلى شمائلُه ... تحتَ الترابِ وما تَبْلَى أياديهِ[1]
أعززْ عليَّ بأن تَرْعَى النجومُ على ... سَرْحٍ من الْمُلْك قد خلاّه راعيهِ
هلاّ بغيرِ عمادِ الدينِ حادثةٌ ... ألْقَتْ رداه وأوهتْ مِنْ مبانيهِ
هلاّ ثَنَى الدهرُ غَرْباً من محاسنه ... فكانَ كوكبَ سعدٍ في لياليهِ
تُرى دَرَى الدهرُ مقدارَ الذي فُقِدَتْ ... من فيضِ أدمعهِ أحوالُ أهليهِ
تُرى دَرَى الدهرُ ما معزى سماحتِه ... فجاءَ مهجتَه في زِيِّ عافِيهِ[2]
لا أعتِبُ الزمنَ الْمُودي بسيّدِه ... يَكْفيه ما قد تَولَّى عنه يَكْفيه
لَهْفي وهل نافعي لهفي على مَلِكٍ ... باتَ الغمام على الآفاق يَبْكيه
لَهْفي وهل نافعي لهفي على مَلِكٍ ... كُسيْ الزمانُ حِداداً من دياجيهِ[3]
لَهْفي على الْمُلْكِ قد أهْوَتْ سناجقُه ... إلى الترابِ وقد حُطَّتْ غَواشِيه[4]
لَهْفي على الخيل قد وَفَّتْ صواهلُها ... حقَّ العَزا فهو يُشجيها وتُشجِيه
لَهْفي على ذلك السلطانِ حين قَضَى ... من الحِمامِ عليه حكمُ قاضيه
لَهْفي عليه لممتارٍ ومطَّلِبٍ ... بالمالِ يقريهِ أو بالعلم يُقْريه[5]
لَهْفي عليه لجودٍ كان يعجبُه ... فيه الملامُ كأنَّ اللومَ يُغريه
لَهْفي عليه لِحُكْم كانَ يبسُطُه ... على العُفاةِ ومدحٍ كانَ يُجْنيهِ
ما خلَّفَ ابنُ عليٍّ من ذخائرِهِ ... إلاّ ثنا أضْحَتِ الدُّنيا تُواليه
كانَ المديحُ له عرساً بدولتهِ ... فأحسنَ اللّهُ للشِّعر العزا فيه

---

(1) شمائله: خصاله الحميدة وأخلاقه.

(2) العافي: الزائر طلباً للرزق أو الطعام.

(3) الدياجي: مفردها داجية: الليلة المظلمة.

(4) السناجق: الألوية، مفرده سنجق.

(5) الممتار: أمتار لعياله، أي: جلب لهم الطعام والمؤونة ـ بالمال يقريه: يضيفه ويعطيه ـ بالعلم يقريه: يقرئه.

كانَ الفقيرُ إذا أمرُ الزمانِ بَغَى ... عليه قام إلى السلطان يُنْهيه[1]
كانَ المؤيَّدُ في يَوْميْ نَدىً وردىً ... غيثاً لراجيه أو غوثاً للاجيه[2]
تُروَى صِحاحُ القضايا عن براعته ... والنصرُ في الحربِ يَرْوي عن عواليه[3]
مَنْ للعلومِ وللأعلامِ يَنْشرُها ... وللوغى ورداءُ الخوفِ يَطْويه؟[4]
مَنْ للكسيرِ مِن الأهوالِ يَجبرُه؟ ... وللطريد من الأيام يُؤويه؟[5]
مَنْ للتصانيفِ أمثالَ الكواكبِ في ... ليلِ الْمِدادِ لساري الفِكْر يَهديه؟
مضَى وقد كان عضباً للزمانِ فيا ... لَهْفي على مُغْمدٍ في التربِ ماضيه[6]
لو أمكنَ الصبرُ عنه ما أنِستُ به ... فكيفَ والحزنُ مِنْ أحشايَ يَنْعيه
آهاً لأحمرِ دمعٍ بعد أشْهبِهِ ... أجراهُ حتى لقد أفناهُ مُجْريه[7]
أفنَى المؤيَّدُ تِبْرَ الدمعِ من بَصَري ... وتلك عادتُه في التِّبْرِ يُفْنيه[8]
كيفَ السُّلوُّ وحولي من صنائعِه ... ما يمنعُ الصخرَ من أدنى تَسلِّيه
هذي (حماةُ) أغصَّ الهمُّ وادِيها ... وطاوعَ الحزنَ فيه دمعُ عاصيه[9]
كأنَّه استشعرَ الأحزان مِن قِدَم ... فللنواعيرِ نوحٌ في نواحيه
هذي المنازل والدنيا معطَّلةٌ ... كأنَّها اللفظُ خالٍ مِنْ معانيه
جادَ الْحيا قبرَه الزاكي فلا بَرحَتْ ... سحائبُ العفوِ والرِّضوانِ تَسْقيه[10]
نِعْمَ السحائبُ تَسْقي صوبَ وابِلها ... نَعْمَ الضَّريحُ ونعمَ المرءُ ثاويهِ[11]

---

(1) بغى: طغى وظلم.

(2) الندىٰ والردى: العطاء والموت ـ لاجيه: أي: اللاجىء إليه.

(3) عواليه: رماحه.

(4) الوغىٰ: الحرب.

(5) الكسير: المكسور ـ الطريد: المطارَد.

(6) العضب: السيف القاطع ـ مغمد: من أغمد السيف إذا أدخله في غمده.

(7) الأشهب: الأبيض الذي يشوبه سواد يقصد حصانه.

(8) التبر: الذهب.

(9) عاصيه: نهر العاصي.

(10) الحيا: المطر والخصب.

(11) الصوب: الانصباب والانسكاب ـ الوابل: المطر الغزير ـ ثاويه: المقيم فيه.

مهنؤٌ بجنانِ الْخُلْدِ دانيةً ونحنُ نصْلى بنارٍ من تنائيه
مَنْ كان يُتْعِبُ في المعروف راحته فهو المهنَّا بترحيبٍ وترفيه
يا آلَ أيوبَ صبراً إنَّ إرثكُم من اسم أيوبَ صبرٌ كان يُنْجيه
هِيَ المنايا على الأقوام دائرةٌ كلٌّ سيأتيهِ منها دورُ ساقيه[1]
هِيَ المقاديرُ هذا الأصل تَنْزِعُه بعد النُّموِ وهذا الفرعُ تُنْميه[2]
كأنَّني بسليلِ المكرماتِ وقد سعَى بحقٍّ تراثِ الْمُلْكِ ساعيه[3]
محمدٌ وهو اسم عنه مُشْتَهرٌ وُلِّي به بيتَ إسماعيل ينشيه
يا ناصرَ الدِّينِ أنتَ الْمَلِكُ قد قرأتْ علائمَ الْمُلْكِ فيه عينُ رائيه[4]
ومن أبيكَ تعلَّمْتَ الثَّباتَ فما تحتاجُ تَذْكرُ أمراً أنتَ تَدْريه
لاتخش بيتَك أنْ يلويْ الزمانُ به فإنَّ للبيتِ ربّاً سوف يَحْميهِ

179

قال ابن مليك الحموي متغزلاً بدمشق وكأنها أضحت معشوقته:

يَا حَبَّذَا جُلَّقُ الفَيحَا ونَاديها وطيبُ عَهدِ أويقاتٍ مَضَتْ فِيهَا
واهاً لعيشٍ لَنَا بِالبسطِ مَرَّ بِهَا حلواً وأيَّامُنَا بيضٌ ليَاليهَا
حيثُ المياهُ بها تَسقي الرياضَ وقد قامَتْ على سُوقِهَا تَجري سَواقيهَا
ومن كمائِمها تلكَ الغُصونُ غَدَتْ تُلقي علينا نِثاراً مِن أَعَاليها
والسُّحبُ حَاكَتْ بها من سُندُسٍ حُلَلاً بديعةَ الوشي قدْ رقَّتْ حَواشيها
ومرسلُ الغيثِ قد حَلَّ النباتَ بها والقطرُ يَنهَلُّ سَكباً في نَواحيها
وأعينُ الطلِّ دُرَّ الدمعِ قَد نَثَرَتْ والروضُ يضحكُ عُجباً من تَبَاكيها

(1) المنايا: جمع منية وهي الموت.
(2) المقادير: الأقدار.
(3) السليل: تقول: فلان سليل العظماء أي: ابن العظماء ومن ذريتهم.
(4) رائيه: الناظر إليه.

وأرضُـهَـا كَـسـمـاءٍ فـي نَـضَـارَتِـهَـا ... ونـورُهَـا الـمـشـرقُ الـزَّاهـي دَرَارِيـهـا
وفي منازِلِها الحورُ الحِسانُ بَدَتْ ... كـأنـهـنَّ شُـمـوسٌ فـي ضَـوَاحـيـهـا
والطيرُ يُطْرِبُ إذ تشدو صَوادِحُها ... ما ليس يُطرِبُ بالألحانِ شَاديها
وتَـحـتَ رَبْـوَتـهـا الأنـهـارُ جـاريـةٌ ... تجري لجيناً على حَصْبَا لآليها
ويعبقُ العَرْفُ من طيبِ النَّسيمِ بِهَا ... ويحجبُ الشمسَ عنَّا ظلُّ واديهَا
كـأنَّـهـا جـنـةٌ قـد زَخـرفَـتْ وَزَهَـتْ ... حُسناً وشَادتْ طبَاقاً في مَبَانيها
إنْ لم تكُنْ أشبَهَتْهَا في محاسِنِهَا ... يَوماً فقد أشبَهَتْهَا في مَعَانيهَا
عَـرُوسـهَـا بـحـمـاةَ لـسْـتُ أُبْـدِلُـهَـا ... ولـو إلـيَّ مُـطـيـعَـاً جَـاءَ عَـاصِـيْـهَـا
مَنْ ذا الَّذي عن دِمَشْقَ يَبتغي بَدَلاً ... ومَـنْ بـمـصـرَ وبـغـداد يُـضَـاهِـيْـهَـا
وما رَحيليَ عَنْهَا عن رِضَايَ وإنْ ... يَكُنْ فمِنْ نكَدِ الدُّنيا وأَهليْهَا

180

قال البرعي في مدح الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم:

بـانَـتْ عَـنِ الـعَـدْوَةِ الـقـصـوَى بَـوادِيـهـا ... واستنشقت ريحَ نَجدٍ في بَوادِيها
بُزْلٌ دَعاها الصَّبا النَّجديُّ فَانطلقَتْ ... وَالـشَّـوقُ فـي الـبـيْـدِ هـادِيـهـا[1]
حَنَّتْ وَأَنَّتْ لِمعنَى طِيبةَ طَرباً ... كـأنَّ فـي طِـيـبـةَ صَـوْتـاً يُـنـادِيـهـا[2]
وَعـلَّـلـتْـهـا رِيـاحُ الـشـأمِ رائِـحـةً ... مِنَ المعينِ تَروِّي غِلَّ صاحِيها
ولـم تَـزَلْ لِـغـبـارِ الأرْضِ خـائـضـةً ... نحو الرِّياضِ الذي نُورُ الهُدى فِيها
مـحـمّـدٌ سـيِّـدُ الـسَّـاداتِ مِـنْ مُـضـرٍ ... وَخَـيْـرُ الـبَـرِيَّـةِ قـاصِـيـهـا وَدانِـيـهـا[3]

---

(1) البُزْل: جمع بازِل البعير الذي طلع نابه في السنة الثامنة أو التاسعة ـ الصَّبا: ريح تهب من الشرق عند تساوي الليل والنهار ـ البيد: جمع بيداء وهي: الصحراء.

(2) طيبة: المدينة المنورة.

(3) البرية: المخلوقات ـ قاصيها ودانيها: بعيدها وقريبها.

بَدْرٌ سَرَى فَوْقَ أطباقِ السَّماءِ إلى ... أن نالَ مِنْ رُتبِ العلياء سارِيها[1]
وَالوشلُ تشْهَدُ بِالفَضْلِ العَظيمِ لَهُ ... إذْ كانَ مُرْشِدَهَا الدَّاعي وهادِيها[2]
نالَ الذي لَمْ يَنلْهُ قبلَهُ أحدٌ ... في ليلةٍ طابَ مَسْراها لساديها
أمْسى يُخفِّفُ مِنْ أوْزارِ أُمَّتِه ... ثقلاً وَيَشْفَعُ إكْراماً لعاصِيها[3]
بانَتْ عَنِ المَسْجِدِ الأقْصَى رَكائِبُهُ ... تَسْري لَدَى العَرْشِ لا فَخْراً وَلا تِيها[4]
والنُّورُ يَقدمُهُ مِنْ كُلِّ ناحيةٍ ... وَالحُجُبُ تَرْفعُها أحْكامُ بارِيها[5]
لما رأى الآيةَ الكُبرى وَأدرَكَ مِنْ ... مَكْنُونِ سِرِّ غيوبِ اللَّهِ خافِيها[6]
بانَتْ حَضائرُ قدسِ اللَّهِ مشرقةً ... بِنُورِهِ إذا أَتَمَّتْ أنْ يُدانِيها
وَالحجبُ وَالعَرْشُ وَالكُرْسيُّ ما افتخَرَتْ ... إلاَّ بِأحمدَ لما جازَ عالِيها[7]
ذاكَ الذي لَوْ أعارَ المزنَ راحَتَهُ ... ما كَفَّ واكفُ غادِيها وَسارِيها[8]
وَلَوْ مَشَى في بِلادٍ غيرِ مُخْصبةٍ ... لَجَادَها المزنُ واخضَرَّتْ نواحِيها
وَلَوْ أشارَ إلى النَّارِ التي سَعُرَتْ ... أضْحَى سلاماً وَبرداً حرُّ حامِيها[9]
كَمْ فَرَّقَتْ حَسداً أوْ أملَيْتَ جُوداً ... وَكَمْ مِنْ كلِماتٍ كفِيها
يا صَفْوةَ اللَّهِ يا أغلى الوَرَى وَفا ... يا خاتِمَ الرُّسلِ يا مَوْلَى موالِيها
يا مُنتقَى مُضرَّ الحَمراءِ بأيدِها ... العُليا يا نورُها يا رشدَ غاوِيها
يا صاحبَ الشَّرفِ العالي ومقصدِنا ... يا ضيغَمَ الحربِ يا مورِي مواضِيها[10]

---

(1) سرىٰ: ذهب ليلاً.
(2) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قَطره.
(3) الأوزار: الأثقال.
(4) الركائب: الإبل المركوبة أو التي تحمل شيئاً.
(5) الباري: الخالق عزَّ وجل.
(6) المكنون: المخبّأ والمخفي.
(7) جاز: تجاوز.
(8) وكف الماء: سال وقطر قليلاً قليلاً ـ المزن وغاديها وساريها: الغيوم الممطرة.
(9) سعرت: اشتعلت والتهبت.
(10) الضيغم: الأسد ـ المواضي: السيوف.

يا فاضِحَ القطرِ وَالبحرِ المحيطِ ندًا ... يا مَنْ جَنا نعماً حلواً مجانِيها
يا واهبَ المالِ والأعمارِ حُزْتَ يداً ... تَغْدِي أيادي البَرايا مِنْ أيادِيها
يا صاحِبَ الكَرَمِ الفيَّاضِ دَعُو مَنْ ... نادَاكَ مِنْ بلدٍ شَطَّتْ مرامِيها
إنّي أخبرُ مِنْ نيابَتي برعَ ... مَدائِحاً فِيْكَ زانتها قوافِيها
عَرائسٌ لرياضِ المِسْكِ رائفةٌ ... زَهْرٌ محاسِنُها عزَّ لأليها
ما أُنْشِدَتْ يا رَسُولَ اللّهِ في ملةٍ ... إلاَّ وَسرَّ قلوبَ النَّاسِ راوِيها
وَلا تَجَلَّتْ معانِيها لِذِي أدَبٍ ... إلاَّ وَحازَ نصيباً مِنْ معانِيها
أمليتُها فِيكَ يا فردَ الوجودِ عُلاً ... كَفارةً لذنوبِ كنتُ جانِيها
لمَّا غَدَتْ صُحُفُ أوْزاري مُسْودَّةً ... جَعَلْتُ مَدْحَكَ يا مَوْلايَ ماحيها
فَصِلْ بمرحمةٍ عبدَ الرَّحيمُ مَنْ ... يَلِيهِ أهلاً وَأرحاماً يعانِيها
وَالطفْ بنفسٍ تريدُ الفضلَ مِنْكَ وَكُنْ ... مِنْ صَولةِ المكرِ وَالمكروهُ حامِيها
عاشَتْ بِفضلِكَ في أمْنٍ وفي رَغَدٍ ... وَأنْتَ مِنْ محنِ الدَّارَيْنِ كافِيها
صَلَّى عَلَيْكَ إلٰهيّ كُلَّ آونَةٍ ... يا سيّدي ما تَلا الآياتَ تالِيها
وَعَمْ صُحبٍ يا ابنَ الطيِّبينَ ومَنْ ... وَالاكَ مُستقبِلاً الدُّنيا وَما فِيها
وَجادَ أرضاً حوتْكَ المنيرَ ما سجعَت ... وَرقُ الحَمامِ وَغنَّتْ في نواحِيها

181

قال بهاء الدين زهير مستعطفاً محبوبته، ومبيناً أشواقه الحرَّى إليها:

هَوَاناً بالهَوَى كمْ ذا التّجَنّي ... وكمْ هذا التّعَلّلُ والتّمَنّي (1)
هَوًى وَصَبابَةٌ وَقِلًى وَهَجرٌ ... حَبيبي بَعضُ هذا كانَ يُغني (2)
فَيا مَنْ لا أُسَمّيهِ وَلَكِنْ ... أُعَرّضُ عَنهُ للواشي وَأكْني (3)

(1) الهوان: الذل ـ التجنّي: مِن تجنّى عليه: اتهمهُ تهمةً وهو بريء منها ـ وقصد به الظلم.
(2) القلىٰ: مِن قلاه إذا أبغضه ونفرَ منه.
(3) أكني: أضع له أسماءً وهمية.

حَبيبي كلُّ شيءٍ منكَ عندي … مَليحٌ ما خَلا الإعراضَ عَنّي
كَمَلْتَ مَلاحَةً وَكَمَلْتَ ظَرْفاً … فلَيتَكَ لوْ سَلِمتَ منَ التّجنّي
ظَنَنْتُ بكَ الجَميلَ وَأنتَ أهلٌ … بحَقّكَ لا تُخَيِّبْ فيكَ ظَنّي
رَأيتُكَ فُقتَ كلّ النّاسِ حُسناً … فكانَ بقَدْرِ حُسنِكَ فيكَ حُزْني
وَما أنا في المَحَبّةِ مثلُ غَيري … إلَيكَ أُشيرُ في قَوْلي وَأعْني
فقد أضحى الغرامُ حَليفَ قَلبي … كمَا أمسَى السُّهادُ أليفَ جَفني[1]
فَيَا شَوْقي إلى ثَغْرٍ وَقَدٍّ … حَلَتْ منهُ الثّنَايا وَالتّثَنّي[2]
أقولُ لصاحبٍ في الحبّ يَلْحَى … كَفاني ذا الغَرامُ فَلا تَزِدْني[3]
تَرَى في الحُبّ رَأياً غيرَ رَأيي … ونَسلُكُ فيهِ فَنّاً غيرَ فَنّي
فإنْ وَافَقتَني أهْلاً وَسَهلاً … وَإلاّ لَستُ منكَ وَلَستَ منّي

182

قال بهاء الدين زهير أيضاً في استعطاف المحبوب واسترضائه:

كم ذا التّجَنّبُ وَالتَجَنّي … ما كانَ هذا فيكَ ظَنّي[4]
أنتَ الحَبيبُ وَلا سِوا … كَ وَلَم أخُنكَ فَلا تَخُنّي
أسْقَيْتَني صِرْفَ الهَوَى … فإذا سكِرْتُ فلا تَلُمْني[5]
حاشاكَ توصَفُ بالقَبيـ … حِ وقد وُصِفْتَ بكُلّ حُسنِ
لا لا وَحَقِّ اللّهِ مَا … عَوّدْتَني هذا التّجَنّي
غالَطْتَني وَزَعَمتَ أنّـ … كَ لم تخُنْ وَزَعمتَ أنّي[6]

---

(1) السهاد: السهر وعدم القدرة على النوم ـ الأليف: الرفيق الدائم.
(2) الثنايا: الأسنان ـ التثني: التمايل.
(3) يلحىٰ: يلوم ويعنّف.
(4) التجنُّب: البعاد والصدّ ـ التجني: الاتهام والظلم.
(5) الصرف: الصافي الذي لا يداخله شيء.
(6) وزعمت أني: أي: زعمت أني خائن.

قُــلْ لــي وَحَــدِّثْــنــي فَــمــا ذا مَــوْضِــعُ الــكِــتْــمــانِ مِــنّــي
إنّ الــقَــضِــيّــةَ مــا تَــغَــطّــتْ عــن ســوايَ فــكــيــفَ عَــنّــي
ولــقــد عــلِــمــتُ بــمــا جَــرَى لــكَ كُــلّــه حــتــى كــأنّــي[1]
وَمــتــى جَــهِــلْــتَ قــضِــيّــةً وَأَرَدْتَ تَــعــلَــمُــهــا فــسَــلْــنــي

(1) حتن كأني: أي حتى كأني كنت موجوداً آنذاك ـ أو حتى كأني أنا فاعله.